نُدُوبٌ عَمِيقة

obeikan.com

الكتاب : ندوب عميقة

المؤلف : منال جلال

تصميم الغلاف :

تدقيق لغوي : أحمد أسامة

رقم الإيداع : 22900 / 2015

الترقيم الدولي : 978-977-778-044-5

الطبعة الأولى : 2016

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikan.com

نُدُوبٌ عَمِيقة

رواية لـ

منال جلال

للنشر والتوزيع

obeikan.com

obeikan.com

(<u>وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى</u>)

سورة طه – الآية 121

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إلى الذي أهداني حياة ليست كالحياة، و منحني عمرًا من السعادة في لحظات، وكنزًا من الجمال لا يفنيه قبح العالم ...

إلى الذي تشير إليه حروفي و تنبض له كلماتي

...

دمت في القلب إلى الأبد !

obeikan.com

obeikan.com

السُلْطَة

obeikan.com

تذكرى أنك كنتِ كُلَّكِ لى، قالها بنبرة تحدٍ وغيظ

فابتسمت ابتسامة هادئة ثم قالت:

- بل تذكر أنتَ أن هذا لم يحدث أبدًا.

و صمتت لحظة ثم أكملت:

- و لن يحدث.

فأطلت من عينيه نظرة حارقة و قال مهددًا:

- إذا أصريت على عنادك فاستعدى لفضيحة ستكونين أنت الخاسرة بسببها.

فنظرت إليه باحتقار و قالت بتهكم:

-حقًا؟ وماذا لديك لتفضحنى به؟

- النار من مستصغر الشرر كما فى الأمثال، و قد لا يكون ما لدى كثير و لكنه مؤثر.. ثقى بذلك.

- بمعنى؟

- مثلًا إذا ذهبت إلى زوجك و حكيت له مقتطفات من قصة الغرام الطاهر البرئ.. قصة الماضى، كما تسمينها، ألا تعتقدين أنه سيتأثر و لو قليلًا و يبدأ الشك ببذرة صغيرة تنبت و تُزْهِر و.....

فابتسمت ابتسامة ساخرة ثم قالت باستهزاء:

- تهديد خطير فعلًا، كم أخافنى !

ثم أردفت بجدية:

obeikan.com

- لا تُهْدِر وقتك ووقتى وكُفَّ عن مطاردتى

فلمعت عيناه و قال بثقة:

- بل لن أكرر خطأى و أُفلِتُكِ كما حدث فى الماضى حين هربتِ منى.

فنظرت إليه بمزيج من الدهشة و الإستنكار ثم بعد دقيقتين قالت بهدوء:

- تعرف أن الشجرة المُحرّمة لم تكن أجمل شجرة فى الجنة و لا ثمرها أطيب ثمر لكن آدم إبليس غواه و هيّأ له أنها الأجمل و الأفضل وصَدَّقّهُ آدم لمجرّد أنها مُحرّمة. أدعو الله أن يهديك لنفسك.

قالت الجملة الأخيرة بإشفاق ثم أولته ظهرها و همّت بالإنصراف لكنه أسرع يمسكها من معصمها بقوة، و قال بلهجة وعيد و قد ضاقت حدقتاه:

- ستأتين إلى و تكونين تحت حذائى عن رضًا أو رُغمًا عنكِ

و أسرعت هى تجذب معصمها من يده و ألقت عليه نظرة مزيج من الغضب و الإزدراء ثم غادرت مسرعة.

* * *

و ما مر الأسبوع إلا و قد فوجئ بمكالمة هاتفية تهنئه بتولى الوزارة و فى البداية، و على عكس المتوقع، لم يفرح بالخبر لأنه عرقله عن تنفيذ نيته فى طلاق زوجته، فقد أصبح وزيرًا، و أمست حياته الشخصية نهبًا للأعين و تصرفاته خاضعة للبحث و التدقيق و كل خطوة محسوبة له أو عليه، و فى عصر السماوات المفتوحة أصبحت الصورة أمام الرأى العام لها كل الأهمية فلابد أن يظهر بالمظهر المثالى الذى ينال إعجاب الجماهير و يحوز ثقتهم، و بالتالى ينال رضا القيادة العليا فيستمر فى منصبه، و كم من

المظاهر خادعة، لكنها لعبة السياسة و هو يفهمها جيدًا لاسيما و قد نشأ فى بيتٍ نال فيه والده و خاله شرف الوزارة من قبل، و لابد أن هذا كان أحد العوامل الهامة التى رشحته ليتبوأ المنصب الوزارى، و أما الوالد و الخال فقد سارعا، بعد تأكدهما من الخبر، إلى الإجتماع به و تلقينه، من واقع خبراتهم السابقة والحالية أيضًا، إذ أنهم حين تركوا المنصب الوزارى تقلدّوا مناصب سياسية أخرى ذات ثِقَلْ استراتيجى أيضًا و على درجة من الأهمية و مستمرون فى العمل فيها حاليًا، أبجديات العمل السياسى فى البلد الذى يحدث فيه نمو و لا تحدث فيه تنمية و يسير بمعجزات لا إنجازات، أفهماه أيضًا ما يجب أن يضعه نُصْبَ عينيه و أهمّ من يجب أن يحسب لهم حسابًا قبل أي تصريح يطلقه أو خطوة يخطوها فى عمله بالوزارة.

و استغرق شهرًا ليرتب أوضاعه فى المكتب الجديد و يضع يده على أهم الملفات فيه، و رغم زحام العمل وتكدس الملفات أمامه و مطاردة الصحفيين و لهاث الأضواء خلفه : إلا أنه لم ينسها..

و استدعى إليه مدير مكتبه حيث قدم إليه ورقة قائلًا:

- أريد أن أراها غدًا جالسة بجوارك أنت و أميرة و سليم فى الغرفة الأخرى

فنظر المساعد فى الورقة و قرأ بصوتٍ عالٍ:

- خديجة.. خديجة رفعت الأسيوطى؟

ثم نكس الورقة و أكمل بحماس:

- ما أجمل اختيارات معاليك خديجة فعلًا ستأتى لتضيء الوزارة.

فرفع حاجبًا و قال بدهشة:

- أو تعرفها يا همام؟

- بالطبع معاليك لأنى كنت أعمل معهم فى نفس الهيئة قبل أن أنتقل إلى هنا.. صحيح ليس نفس القسم، لكن كنت أعرفها، فهى ما شاء الله جميلة بشكلٍ لافت و عندما تمر من أما..

فقاطعه قائلًا باستهجان:

- ماذا يا همام هل ستتغزل فيها أمامى؟

- المعذرة معاليك أنا لم أقصد وهى، وللحق، سمعتها فى الهيئة ناصعة البياض و كل من تعامل معها يشهد كم هى محترمة ومخلصة جدًا فى عملها.

وسكت لحظة ثم استدرك بفضول:

- ولكن من الذى رشحها لمعاليك؟ لأنها لا يبدو عليها أنها على صلة بشخص من أصحاب النفوذ.

فتأمله صامتًا للحظات ثم قال بهدوء وهويعبث ببعض الأوراق أمامه:

- رغم أنك تدس أنفك فيما لا يعنيك إلا أنى سأخبرك.. أنا من رشحها

فنظر إليه همام بدهشة وذهول ثم ابتلع ريقه وقال بحذر:

- معاليك؟ أمعقول؟... هل هى على صلة قرابة بمعاليك؟

- كلا... لكنها كانت تعمل فى مكتبى من عشر سنواتٍ تقريبًا.

- فهمت معاليك تعنى أنها معرفة قديمة.

- كفاك ثرثرة وتفضل نفذ واختفى من أمامى الآن ولا تُدْخِل إلىَّ أحدًا لأنى أريد أن أركز فى ملف مهم جدًا .

قالها بصرامة

وأسرع همام يقول:

- كما تأمر معاليك... بإذن معاليك .

واتجه للخروج من الحجرة وأثناء ذلك قال الأول متذكرًا:

- همام لا تنس أن تأمرهم بإحضار فنجان قهوة لى الآن .

فقال همام وهويفتح باب الحجرة:

- حالاً يادكتور عاصم .

وخرج وأغلق الباب خلفه، وأسرع عاصم بإشعال سيجارة وأسند ظهره ليلتصق بظهر المقعد الجلدى الفخم وأخذ يحرك المقعد ذى العجلات يُمْنَةً ويُسْرَةً بتؤدة وهوينفث دخان سيجارته بهدوءٍ وتلذذ.. كان يشعر بالإثارة وهو يفكر أنها غدًا ستكون أمامه.. كم اشتاق لرؤيتها ! وكان قد مر أكثر من شهر منذ ذلك اللقاء الأخير العاصف والهادر بينهما.. هل يحبها كما يدّعى أمامها أم أنه فقط يريدها كما تدّعى هى؟ إنه لا يعرف ولا يهمه أن يعرف.. سواء أحبها أم لا فقط يهمه أن ينالها فهى تملك قوامًا فاتنًا وظلت محتفظة بهذا القوام الفاتن رغم زواجها وحملها أكثر من مرة... عشر سنوات مرت لم تنل من جمالها وفتنتها، بل زادتها توهجًا وألقًا، انتقلت من العشرينات إلى الثلاثينات، حيث قمة الأنوثة والشباب، وإذا كانت أفلتت منه فى الماضى فإنه لن يسمح بتكرار ذلك مهما يكن، وشعر بفوران جنسى حارق، جاهد لكبحه، وهو يتخيلها بين أحضانه وفوق مخدعه

تذيقه من أصناف الغرام ما يروى نهمه ويطفئ غُلّته بعد تمنعها السنوات و...

دق جرس هاتفه فجأة فقطع عليه خيالاته وتناول السماعة ووضعها على أذنه وهويقول فى انزعاج:

- لا أريد أن تمرروا لى أى مكالمات الآن... أنا مشغول.

وأغلق السماعة فى عنف.

ولم ينم تلك الليلة بجوار زوجته حيث ادعى انشغاله بالتفكير فى أحد المشاكل بالوزارة، بينما الحقيقة أنه كان يفكر فيها – أى خديجة – ماذا سيفعل إن رفضت العمل معه؟ ولكن هل تجرؤ على الرفض؟ كيف والهيئة التى تعمل بها تابعة لوزارته؟ ثم لماذا ترفض وانتقالها إلى مكتبه بالوزارة فرصة يحلم بها كثيرون ويسوقون الوسائط والرشاوى ليصلوا إلى منصب كهذا الذى يعرضه عليها، وقرر أخيرًا أن يخلد إلى النوم عملًا بالحكمة القائلة إن غدًا لناظره قريب، واتجه للنوم فى غرفة أخرى غير تلك التى تنام فيها زوجته لكى ينفرد بخديجة فى أحلامه الفاحشة حيث جردها من ملابسها وأخذ يصول ويجول ويُمتّع نفسه بما تَخَيَّلَهُ من الجسد الشهى ويُعبّ من بحور اللذة حتى حدث الإحتلام وهدأ الجسد المنهك بخيالات الجنس ونام قريرًا بما حققه من انتصاراتٍ فى الحلم راجيًا بأن يحقق أفضل منه فى الواقع.

أما خديجة فقد فوجئت تمامًا بالقرار، وبينما مكتبها يضجّ بالمهنئين كان قلبها يغوص بين قدميها وهى لا تدرى ماذا ستفعل؟.... لقد ظنت أنه بتوليه الوزارة انشغل عنها ونسيها على اعتبار أنها كانت نزوة لا يصح أن يسعى خلفها الآن، وهو فى هذا المنصب الحساس وتحت الأضواء... تحت الأضواء! هذا ما ستعوّل عليه إذن قبولها للعمل الجديد، فليس من المعقول

وهوالمطارَد من الإعلام أن يلطخ مستقبله السياسى بنزوة ولكن... لولم يكن فى نيته شر لها فلماذا يريدها معه؟ وهى تعلم – يقينًا – أن كفاءتها واجتهادها فى عملها لم يلفتا انتباهه فى يوم من الأيام، ومنذ كانت تعمل فى مكتبه قبل عشر سنوات، إنها ليست مستريحة للعمل الجديد وغير مطمئنة، على الإطلاق، مما يُضْمِرَهُ عاصم لها، لكن هل هى تملك ترف الإختيار وحرية الرفض أوالقبول؟ وبأى سبب ستبرر رفضها والجميع حولها يرونها فرصة عظيمة لا يتركها عاقل؟ وكيف لا والوظيفة الجديدة تنقل صاحبها إلى درجة وظيفية أعلى ودخل أكبر بما لا يقارن مع راتبها المتواضع الحالى، وحتى زوجها الطيّب أحضر لها هدية لتهنئتها بالمنصب الجديد، ويالها من هدية! حيث جلست على حافة السرير، فى غرفة نومهما، وطلب منها أن تغمض عينيها ثم أسرع، حاملًا الهدية، إليها مرة أخرى وقدمها لها قائلًا بحماس:

- افتحى عينيك الآن، وفتحت عينيها وتناولت منه ثلاثة حقائب ورقية وأخذت تستخرج ما فيهم وتأملتهم، ثم قالت بدهشة:

- ما كل هذا؟ تايير وحذاء وحقيبة؟ هذا كثير.

فانحنى يطبع على وجنتيها قبلة حانية ثم اعتدل واقفًا مرة أخرى، وابتسم قائلًا:

- ليس هناك كثير على حبيبتى.

ثم استدرك قائلًا باهتمام:

- وأدعوالله أن ينالوا إعجابك.

وأسرعت ترسم على وجهها ابتسامة زائفة وهى ترد قائلة:

- لقد أعجبونى فعلًا جدًا كما يبدو عليهم أن ثمنهم غالٍ.

يا إلهى إن الزوج اللطيف يحضر لها ما تتأنَّق به أمام غريمه، ولذلك كان يخالجها شعور بالذنب على نحوٍ ما، وقال هو بزهو:

- طبعًا ملابس جديدة لأول يوم فى العمل الجديد لابد أن تكون غالية وتليق بمكتب معالى الوزير.

كان زوجها نحيلًا متوسط الطول أسمر الوجه ذا أنفٍ أفطس وعيون سوداء وشعر فاحم السواد شديد النعومة عدا الفودين حيث تخللتهما شعيرات بيضاء واضحة، ونهضت من جلستها لتحتضه وتضع رأسها على كتفه قائلةً بصوت مختلج:

- ألِى هذا الحد فرحت بالمنصب الجديد؟

فقال بحماس:

- بالطبع يا حبيبتى فالمنصب الجديد معناه نجاح جديد لك وأى نجاح لكِ لابد أن يسعدنى أنا أيضًا ويفرحنى.

فالتصقت به أكثر وهى تقول بتوتر:

- أما أنا فلست سعيدة.

فرد بتلقائية:

- أمر متوقع.

فابتعدت عنه كمن لدغها عقرب، وقالت ونبضات قلبها تتسارع:

- ماذا تقصد؟

فقال بحنان:

- من الطبيعى أن تكونى متوترة وقلقة لأنك ذاهبة إلى مكان جديد مع زملاء ورؤساء فى العمل تتعاملين معهم للمرة الأولى، عدا الوزير طبعًا، كما أنك لم تتعرفى على طبيعة العمل ونظامه هناك بعد، لكن أيًا كانت طبيعة العمل أوطباع من ستعملين برفقتهم فأنا واثق أنك ستملأين مكانك الجديد وتبدعى وتتألقى كعادتك دائمًا... فقط توكلى على ربك ولا تخشى شيئًا.

آهٍ من (طبيعة العمل) هذه إنه أشد ما تخشاه فأى نوع من العمل ينتوى عاصم أن يُسْنِدَهُ إليها؟ ووجدت نفسها تتمتم بتوجس:

- أسأل الله الستر.

وعادت للإلتصاق بزوجها وكأنها تستمد منه الحماية من الأفكار والهواجس التى تُقِضُّ مضجعها وتُحِسُّهَا كوخز الإبر فى صدرها.

* * *

فى الصباح التالى لم تلتفت (سلمى) زوجة عاصم إلى تأنق زوجها الزائد ولا إلى الحلة الجديدة التى كان يرتديها، فقد كان تأنق زوجها واهتمامه بمظهره شيئًا عاديًا قبل توليه الوزارة بل وقبل زواجهما، وهوأكثر ما لفت نظرها إليه عندما رأته أول مرة إضافة إلى وسامته بالطبع، ولم يكن زواجهما تتويجًا لقصة حب عنيفة أوحتى هادئة، إنما كان زواجًا تقليديًا قِحًا، وبعكس ما يعتقد كثيرون، فالتعارف تم فى محيط الأسرتين ومن خلال الأمهات العضوات فى أحد نوادى الروتارى والمشاركات فى تأسيس إحدى الجمعيات الخيرية ذات الصيت، والتى تكتب الجرائد بانتظام عن حفلاتها وتبرعاتها – بمثل أيام الملك فاروق، وكما كان والد عاصم وخاله وزيرين، كان جد سلمى أيضًا رئيسًا للوزراء، بما يعنى أن الأسرتين متناسبتان فى المكانة الإجتماعية والإقتصادية وكل شيء، فسلمى أيضًا

كانت جميلة بقامة متوسطة الطول ورشيقة إلى جانب شعر أسود قصير ناعم مقصوص بعناية وبما يعطى لوجهها مظهر أرستقراطى أوروبى ينسجم مع عينيها الخضراوين وبشرتها الشاحبة كالثلج، ورغم أنه كان زواجًا تقليديًا إلا أن سلمى وقعت فى حب عاصم منذ لقاءهما الثانى ورأته فارس الأحلام الذى تتمناه أية فتاة زوجًا لها، وكيف لا وهوشاب وسيم وأنيق ومن عائلة عريقة وناجح فى عمله ويتمتع بروح المرح وخفة الظل وفى البيت يحنو عليها وعلى ابنتهما ويدللهما كثيرًا... باختصار هو الزوج المثالى، وها هى الآن قد أصبحت زوجة معالى الوزير، والحق أن هذا اللقب لم يفرحها كثيرًا، لاعتيادها – بسبب نشأتها – على الأجواء التى تحيط بأسرة من يتولى أى منصب قيادى فى الدولة من اهتمام الناس وفضولهم وخوفهم وطلباتهم وعناصر الأمن التى تتبعهم – أى أسرة الوزير – فى الحِلِّ والترحال بدعوى حمايتهم وتأمينهم ورذالة الصحفيين وإلحاحهم، وغيرها من المظاهر التى يشعر الإنسان فى البداية أنه مزهوٌ بأنها تحيط به لتشعره بأهميته ثم يتحوّل إلى الشعور بأن هذه الإحاطة أفقدته حريته، فيضيق بها ومنها ثم أخيرًا مرحلة الإعتياد التى تجعله يتعامل معها كجزء من الممارسات الحياتية اليومية فلا تثير فرحًا ولا تثير حزنًا، وكانت هى فى المرحلة الأخيرة مرحلة الإعتياد ؛ لكنها فرحت فقط لأن اختيار زوجها للمنصب رغم صغر سنه يعنى أنه أصاب نجاحًا أكبر، وإن كان هذا سيأتى على حساب حياتهما العائلية إذ سيصبح أكثر إنشغالًا عنها وعن ابنتهما بسبب أعباء المنصب الجديد ومسئولياته، وليكن ستتحمل لأن نجاحه نجاح لها ومجد لإبنتهما وتمثلت القول المأثور وراء كل عظيم امرأة، وأضافت من عندها تدفعه إلى الأمام وتخفى عنه الآلام. فقد آلمها هجره لغرفة نومهما البارحة وأبدت تفهمها وتسامحها أمامه.

***

خديجة أيضا نامت نومًا متقطعًا، وبعد أن صلّت الفجر، صلّت ركعتين لقضاء الحاجة، ودعت ربها أن يثبتها ويحميها من الزلل، ثم امتدت يدها إلى الملابس، التى أحضرها زوجها لها بالأمس، لترتديها وهى كارهة، ارتدتها فقط كى لا تثير شكوك الزوج الطيب.

وعندما وصلت إلى مكتبها الجديد اكتشفت أن الحجرة التى من المفترض أن تعمل بها تضم ثلاثة مكاتب أخرى غير مكتبها وبدأت تتعرف على الزملاء الجدد، وكان همام بقامته القصيرة وكرشه البارز قليلًا والصلعة الخفيفة فى مقدمة رأسه هو أول من صافحها بحماس وعرّفها بنفسه، وكان ثرثارًا بلا شك، فقد أخذ يحادثها عن الوزراة وعمله الحالى ثم بدأ يسألها عن زملائه فى الهيئة التى كانت تعمل بها ويروى ذكرياته معهم، ولم ينقذها من استرساله سوى نحنحة (سليم) ثم تقدمه بخطى واثقة ليصافحها ببطء وقد علت وجهه ابتسامة لطيفة ولولا أنه نطق اسمه باللغة العربية وهو يُعَرِّفُهَا بنفسه لظنته خبيرًا أجنبيًا ولتحدثت معه بالإنجليزية فقد كانت ملامحه أوروبية خالصة قامته الطويلة الممشوقة وشعره الأشقر الناعم المنسدل فوق جبينه فى سلاسة وعيونه الزرقاء وأنفه الصغير ووجهه الأبيض المشرّب بحمرة...كان وسيمًا ويبدو أصغر من سنه الحقيقية سنوات؛ أما أكثر من ركزت إهتمامها عليه فقد كانت زميلتها (أميرة).. لم تكن أميرة تتحدث عن نفسها بل كانت تتحدث عن الوزير وبإعجابٍ واضحٍ وتُثْنِى على حماسه وعبقريته فى الإدارة ونشاطه ودأبه فى العمل، الأمر الذى جعل الوزارة، منذ توليه، تنجز فى شهر بعضًا من المشاريع التى تعطلت وتعثرت فى عهد سابقيه ؛ وابتسمت خديجة لأن أميرة كانت تحدثها وكأنها أحد الصحفيين الذين تدلى لهم بأخبار الوزارة، على اعتبار أنها – أى أميرة – المتحدث الإعلامى بإسم مكتب الوزير، ولم تلمح فى يدها خاتم زواج فخمنت أنها إما آنسة أومطلقة.. كانت أميرة تتمتع بملامح طفولية هادئة وعيون عسلية صغيرة وجسدها أيضا كان ضئيلًا، بعكس خديجة التى كانت طويلة ممشوقة القامة وعيونها سوداء

واسعة بيضاء البشرة وتكسو وجهها حُمْرَة طبيعية خفيفة، ورغم ارتداء خديجة لغطاء الرأس، إلا أن خصلة بنية ناعمة كانت تفلت بين الحين والآخر من تحت الغطاء وكانت هى تسارع إلى إعادتها بإصبعيها السبابة والإبهام إلى مكانها مرة أخرى.

وما مرت نصف الساعة، منذ وصول خديجة إلى المكتب، إلا وكان عاصم قد ظهر يسبقه ويتبعه عدد من رجال الأمن والموظفين، وأسرع همام يفتح للوزير باب مكتبه، فقد كان مكتب عاصم حجرة داخل الحجرة الفسيحة التى تتشارك فيها خديجة مع زملائها الثلاثة

ومرق عاصم كالسهم إلى حجرته فلم تتمكن خديجة من أن تلمحه لكن نبضات قلبها تسارعت منذ سماعها ضجة وصوله، أما هو، ورغم سرعة مروره، استطاع أن يختلس نظرة عابرة ولمحها قبل أن يدلف إلى مكتبه، فتبدلت ملامح وجهه المشدودة إلى الإرتياح على الفور، وارتسمت على شفتيه ابتسامة النصر، فهاهى تجئ إليه بناءًا على أمر منه، لقد أصبح لديه، أخيرًا، سلطة عليها، ولابد أن يحسن استغلالها..

وبعد أن استقر جالسًا خلف مكتبه انصرف الجميع، عدا همام الذى ابتسم ابتسامة عريضة وقال:

- أسعد الله صباح معاليك.

ثم تقدم مقتربًا أكثر من المكتب الذى يجلس عاصم خلفه فوضع أمامه، فوق المكتب، أوراق كان يحملها معه وقال: لدينا اليوم معاليك....

وقاطعه عاصم بإشارة من يده فابتلع بقية الجملة ووقف صامتًا بينما كان عاصم يشعل سيجارة أخذ منها نفسًا ثم قال:

- أنا أريد الآن الملف الأخضر الخاص بالأراضى غرب الدلتا فقط وأحضر خديجة .

وكالعادة لم يستطع همام أن يقاوم فضوله وقال باندهاش:

- خديجة؟ لكن معاليك هذا أول يوم لها هنا وهذا الملف معقد وثقيل و...

- وماذا أيضًا؟ هل قال لك أحدهم أنى أتيت بها للمجاملة وأنوى أن أجعلها تقبض راتبًا دون أن تعمل وتتعب؟

- لم أقصد معاليك.. إنما كنت أعتقد أن هذا الملف يحتاج شخصًا أكثر خبرة ويكون قديمًا هنا على الأقل كى تكون لديه فكرة عن الموضوع .

ثم استدرك متملقًا:

- اللهم إلا إذا كنت معاليك تعرف قدراتها أفضل منى وتعرف أنها ستنجز فى هذا الملف على اعتبار أنها كانت تعمل مع معاليك من قبل.

ولم يكن ذلك حقيقيًا لأن عاصم لا يذكر هل كانت خديجة مبدعة فى عملها أم لا، وعلى العكس، فقد كان من أنصار نظرية التناسب الطردى بين غباء المرأة وجمالها، ويرى، ككثيرون مثله، أن المرأة الدميمة تحاول أن تجتذب الرجل إليها بما تكتسبه من ثقافة وعلم فى محاولة منها لأن تملأ عقله بعد أن فشلت فى أن تملأ عينه وهذا يفسر أن معظم النابغات لم تتمتع إحداهن بالوجه الجميل أوالجسد الشهى مثلما لا صبر للجميلات على محاولة التعلم والفهم وبالذات فى مجتمعنا الشرقى حيث القيمة الأهم للمرأة فى كونها زوجة وأم.

وعلى هذا فإن السبب الحقيقى الذى جعل عاصم يختارها للعمل فى هذا الملف هو أن الملف طويل ومعقد بما يعنى اضطرارها لقضاء ساعات طويلة معه تستشيره وتُطْلِعَهُ على أفكارها ومنهجها فى إنجاز الملف، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كى تطمئن إلى نواياه وتعتقد أنه لم يأت بها إلا للعمل فقط، ريثما تسنح الفرصة وينال إربه منها.

وانحنى همام أمام عاصم نصف انحناءة ثم اعتدل وقال بجدية:

- سأبعث لمعاليك خديجة ومعها الملف حالًا.. بإذن معاليك.

وشعر عاصم بالإثارة والفرحة فما أجمل أن يراها كل يوم وهذا فى حد ذاته مكسب كبير ومتعة أكبر أن يسمع صوتها ويشم عطرها ويكون قريبًا منها ولو فى إطار العمل، وسمع طرقًا على الباب فاعتدل فى جلسته وأسرع يُعدّل رابطة عنقه ويسوى شعره ثم نفخ أوداجه وقال بصوتٍ هادئ: ادخل.

وفتحت خديجة الباب وفى يدها الملف، ودخلت فقال منبهًا:

- أغلقى الباب خلفك.

فاستدارت لتغلق الباب على مضض وصوّب هو نظرة اشتهاء إلى مؤخرتها مالبث أن استبدلها بنظرة صارمة عندما استدارت إليه من جديد، بعد أن أغلقت الباب، وخطت نحو مكتبه فى تؤدة وكان الهدوء الذى يغلّف وجهها لا ينم أبدًا عن حجم التوتر والخوف اللذيْن يعتملان بداخلها فى تلك اللحظة..

وهتف هو وهو يراها مُقبلة نحوه:

- أهلًا وسهلًا ومرحبًا.

كان صوته مزيجًا بين السخرية والحماس، وعندما أصبحت أمام المكتب تمامًا وقف ومد يده مصافحًا فأسرعت تنقل الملف من يمناها إلى يسراها ومدت يدها لتصافحه فى ارتباك فتلقفها بشوق وأطبق عليها راحة يده بقوة، كأنما يعصرها، ثم أفلتها وهو يراقب تعبيرات وجهها بدقة علّه يجد ما يشجعه، أما هى فلم تُبْدِ تأثرًا لأنها معتادة على طريقته تلك فى مصافحتها، وجلست وهى تردد:

- أهلًا معاليك.

Obeikan.com

وأشار إليها بالجلوس قائلًا:

- تفضلى بالجلوس.

- شكرًا.

وأسرعت تجلس على أحد المقعدين أمام مكتبه الخشبى الفخم، ولمدة دقيقتين ظَلَّلَهُمَا الصمت وكلًا منهما ينظر إلى الآخر متأملًا.. ما أجمل عيونها وشفتيها ونهديها وخصرها ومؤخرتها وجسدها كله ترى متى سيذوق شهد الرضاب؟! هكذا حدثته نفسه.

أما هى فقد تأملت عيونه العسلية وشعره البنى الناعم وبشرته البرونزية والحلة الأنيقة جدًا التى يرتديها إنه بهيئته تلك يصلح لمنصب أكبر من وزير، هكذا حدثتها نفسها..

وأسرعت تخفض بصرها وقد ملأت رائحة عطره الغالى أنفها فزادت رهبتها وخجلها من الأحاسيس التى انتابتها فى تلك اللحظة، وابتسم هو ابتسامة عريضة ثم قال معاتبًا:

- وإنما قد بخلت علىَّ بمكالمة تهنئة على تولى الوزارة، ولودقيقة واحدة على الموبايل (الهاتف الجوال) !

فقالت بحرج:

- الحقيقة أنى لم أسيّف (saving) رقم معاليك.

ثم استدركت:

- وعمومًا يمكن تدارك الأمر.. ألف مبروك معاليك.

فرمقها بشك ثم تناول ورقة صغيرة وقلم كتب به بسرعة ثم قدم لها الورقة قائلًا بلهجة آمرة:

- الأرقام فى هذه الورقة أريدها كلها على موبايلك من هذه اللحظة وإذا ظهر أى رقم منهم على شاشتك يجب أن تردى فورًا وبطبيعة الحال إذا احتجت أنتِ أن تتصلى بى فى أى شأن يخص العمل.

ثم أردف فى سره: أو أى شئ يخصنا خارجه .

وتناولت الورقة منه:

- أمر معاليك

ونظر إليها مليًا ثم قال:

- هل أعطاكى همام الملف؟

- نعم..ها هو ذا.

ثم وضعته على المكتب أمامه، فرمقه بنظرة جانبية ثم قال:

- هذا الملف سيحتاج إلى العمل بجدية ودأب لأنه ملف مهم.

- وقديم أيضًا لهذا كنت أقترح أن يقوم دكتور سليم باعتباره أقدم....

ولم تكمل جملتها لأنه قاطعها قائلًا:

- لوكنت راغبًا فى إعطائه الملف لما استدعيتك بالملف الآن، وكما ذكرت الملف قديم وسليم قديم بمعنى أن الملف كان معه من قبل ولوكان يستطيع حل المشاكل الموجودة به لما بقى الملف على حاله هذا إلى الآن.

ثم خبط يده على المكتب وأكمل بحزم:

- الملف الآن فى حوزتك وستعملين فيه وحدك.

ثم تراجع إلى الوراء ملصقًا ظهره بظهر المقعد الجلدى الوثير ذى العجلات الذى يجلس فوقه

obeikan.com

وأردف بلهجة ذات مغزى:

- تحت إشرافى طبعًا.

ثم انبسطت أساريره وأكمل بلطف:

- وأيضًا إذا احتجنا إلى سليم فهو موجود.

فالتقطت الملف من فوق المكتب ووقفت:

- أوكيه (OK) سأبدأ القراءة فى الملف.. هل تأمر بشىء آخر معاليك؟

فرمقها بهدوء وقال:

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟

- إلى مكتبى بالخارج هل تريد منى شيئًا آخر معاليك؟

- نعم أريد...

كان يود أن يقول (أريدك)، لكنه أشار بإصبعه وأكمل:

- أترين المكتب فى الكورنر (Corner) هناك؟ خذى الملف واذهبى واجلسى إليه... ولديك أيضًا لاب توب للعمل به.

ثم أردف بلهجة ساخرة ومحذرة:

- لكن كونى حريصة على اللاب توب لأنه عهدة حكومية.

ونظرت إليه باستغراب:

- وماذا عن مكتبى الذى جلست إليه فى الصباح معاليك؟

-هذا هو مكتبك.

- لكن كيف يكون مكتبى فى حجرة معاليك؟ أنا هكذا سأضايق معاليك وأيضًا...

- ما يضايقنى هو الثرثرة الفارغة .. أنا أريدك معى فى الحجرة.

كان على وشك أن يقول (أريدك معى فى الفراش) لكنه سكت لحظة يفكر فى سبب يبرر أمره هذا ثم قال:

- أنا أرى أن وجودك معى فى نفس الحجرة سيجعل الكونتاكت (contact) بيننا أسهل وأستطيع أن أتابع ما تنجزينه أولًا بأول.. وكما قلت لك الملف سيحتاج عمل شاق منك ومراجعة مستمرة منى.

ولم تقتنع طبعًا بتبريره الواهى ولكنه كان أمرًا وهى لا تملك سلطة الإعتراض عليه وأطرقت بوجهها فى الأرض وقالت باستسلام:

- أمر معاليك.

واتجهت بتثاقل إلى المكتب الذى خصصه لها، وبدأت تقرأ فى الملف بعد أن استقرت خلفه. أما عاصم فقد ضغط أحد أزرار الهاتف فوق مكتبه وسمعته يقول: همام تعالى الآن.

وبعد أقل من دقيقة كان همام يقف أمام عاصم ووجد خديجة جالسة فى طرف الحجرة وبيدها الملف تقرأ فيه فاندهش لكنه كبح جماح فضوله هذه المرة فلم يتكلم..

وقال عاصم باهتمام: ماذا لدينا اليوم يا همام؟

وتنفست خديجة الصعداء فقد كانت تتوجس شرًا من بقائها وعاصم فى حجرة مغلقة عليهما وحدهما، ولو كانت مكتبه فى الوزارة، ثم بدأت تعمل فدفنت نفسها فى الأوراق أمامها تقرأ وتُدَّون الملاحظات، واستغرقها الأمر تمامًا فلم ترفع عينها عن الأوراق أمامها ولم تتابع ولو بأذنها ماذا كان

يحدث فى الحجرة، لأنها ترى أن ذلك لا يعنيها، وأيضًا كى تستطيع التركيز جيدًا فيما تفعله..

لذلك انتفضت عندما سمعت عاصم يهمس فى أذنها:

- هل تنوين المبيت هنا أم ماذا؟

والتفتت لتجد عاصمًا واقفًا بجوارها يفصله عنها سنتيمتر واحد فقط وينظر إليها بشغف، فأسرعت تشيح بوجهها عنه..

وتابع هو قائلًا بخبث:

- عمومًا أنا على أتم الإستعداد للمبيت معك هنا.

فنظرت إليه معاتِبة ففرد قامته، وكان منحنيًا إلى جوارها، وقال:

- هل تعرفين كم الساعة؟ لا تنسى أننا موظفون ولنا مواعيد.

فنظرت فى ساعتها ثم قالت بدهشة:

- ياه إن الوقت مرَّ بسرعة.

- وكل الموظفين انصرفوا.

- أعتذر فقد سرقنى الوقت لأن الملف ضخم.

وأخذت تلملم أوراقها وتطفئ جهاز الكمبيوتر المحمول بسرعة وتوتر

وقال وهو يتابعها:

- كما قلت الملف ضخم ومتضخم فلن تنتهى منه فى يوم أو اثنين لذلك لا داعى أن تضغطى نفسك فى القراءة إلى هذا الحد وخصوصًا وأنه باقٍ من سنين.

obeikan.com

ثم أردف مداعبًا:

إلا إذا كنت تطمعين فى أوفر تايم (Over time)

فقالت وهى تنهض:

- لا أنا ليس لدى وقت فلابد أن الأولاد عادوا من المدرسة وينتظرون الغداء.

ووقفت حائرة للحظة وقالت:

- ماذا أصنع باللاب توب؟

- إذا أردت أن تأخديه معك إلى المنزل خُذيه.

ثم أكمل محذرًا: أما الملف فلا طبعًا.

- وسأترك أيضًا اللاب توب لإنى لا أنوى أن أعمل فى المنزل أنا فقط أبحث عن مكان أضعهما فيه.

فقدم لها عاصم مفتاحًا:

- تفضلى مفتاح مكتبك لتضعى فيه ما تشائين على راحتك.

فقالت وهى تتناوله منه:

- إنه مفتاح هذا المكتب؟

- نعم هو كذلك.

- تعنى أن المكتب الذى فى الخارج لم يعد مكتبى؟

فرمقها مُعاتبًا وقال لائمًا:

- كأنك تفضلين الأدنى على الذى هو خير؟

obeikan.com

كانت تود أن تقول (نعم أنا أفضل الأدنى) لكنها التزمت الصمت وهى تغلق أدراج مكتبها ثم وضعت المفتاح فى حقيبة يدها، وقال عاصم وهو يرنو إليها بإعجاب:

- بالمناسبة إن ثيابك أنيقة للغاية.

فقالت بخجل:

- شكرًا للمجاملة.. إنهم هدية من زوجى.

فقال وهو يحاول أن يكظم غيظه عندما سمع كلمة (زوجى):

- ما شاء الله إن ذوقه جميل فى كل شىء.

ثم أردف بهيام:

- ولهذا تزوجك.

- بصراحة أنا المحظوظة به.

- بل هو أكثر حظًا وبكثير.

قالها برنّة حسد واضحة وعلقت هى حقيبتها فى كتفها وقالت:

- بإذن معاليك.

وهمت بالانصراف لكنها استدارت إليه من جديد وقد بدا أنها تذكرت شيئًا وقالت:

- لكن فى الغد هل سأظل جالسة بلا عمل إلى أن تأتى معاليك وأنا آتى مبكرًا قبلك؟

قالتها وهى تظن أنها وجدت، أخيرًا، سببًا وجيهًا لإقناعه بأن تظل مع زملائها فى الحجرة الأخرى، لكنه خيّب أملها قائلًا ببساطة:

obeikan.com

- مفاتيح المكتب مع همام وهو يجئ دائمًا قبل الجميع وطبعًا سأخبره ليفتح لك.

وقررت ألا تستسلم بسهولة هذه المرة:

- لكنى لا أعتقد أنه من المناسب أن أجلس فى حجرة معاليك ومعاليك لست موجودًا وبصراحة أنا جديدة هنا ولو لا قدرّ الله ضاعت أية ورقة أنا التى سأُتَّهَمُ فيها بالتأكيد وأجد نفسى فى السجن.

- فى السجن؟ فديتك نفسى.. ما هذا الفأل؟ إن خيالك يشطح لبعيدٍ جدًا.

- بعيد؟ هل لو اتهمت بالسرقة أو الإهمال يمكن أن أذهب لمكان آخر غير السجن؟

- ومن سيتهمك من الأساس يا بلهاء؟ أنا أثق فيك أكثر من نفسى.

وأجفلت عندما أحست بالنبرة العاطفية فى صوته وهو يقول جملته الأخيرة

فقالت بارتباك:

- حسنًا هو ما تراه معاليك إذن.. وأسأل الله الستر.

- كُفّى أنتِ عن القلق ولا تنسى أن الوسيط الذى أتى بك هنا هو الوزير شخصيًا ولو لا قدر الله تورطت فى شىء سىء سأتورط معك.. أقله سأتهم بسوء اختيار المساعدين.

- هذا يحدث فقط فى الدول المتقدمة أما هنا فالوزير حتى لو جلبت سياساته للشعب كوارث قد يقيلوا الشعب ويظل الوزير باقيًا، لأن عندنا الوزير هو الذى يملك الحصانة ولذلك هو دائمًا على حق.

فتأملها لحظة ثم قال:

- هل انضممت للمعارضة بعد أن تركت العمل لدىَّ فى السابق؟

وتذكر أن تقرير أمن الدولة عنها كان نظيفًا.

- اطمئن معاليك نحن نريد أن نربى أطفالنا.. بإذن معاليك.

واتجهت إلى الباب لتخرج، على حين قال هو:

- صحبتكِ السلامة .

ثم بدا وكأنه تذكر شيئًا فناداها قائلًا:

- خديجة..

فالتفتت إليه متساءلة، فقال:

- حماسك للعمل يعجبنى.. جو أهيد (go a head).

فابتسمت ثم انصرفت وهو يُشَيِّعُهَا ببصره وقلبه..

لقد قضى معها يومًا ممتعًا، رغم أنها كانت بعيدة عنه معظم الوقت، لكن يكفى أنها جالسة فى مرمى بصره يختلس النظر إليها كلما استبدّ به الشوق، وكثيرًا ما يستبدّ به!

هى أيضا شعرت بارتياح أن اليوم مر بسلام، وظنت، لسذاجتها، أنه تراجع عن الفكرة القذرة التى كانت تسيطر عليه تجاهها، وأنه كان صادقًا حين هاتفها، بعد لقاءهما العاصف الأخير وقبل توليه الوزارة بأيام، فقد أخبرها – وقتئذٍ – أنه اندفع ليقول كلامًا لم يقصده وأنه يرغب فقط فى عودة علاقات طبيعية طيبة بينهما فوقتها لم تصدقه وأغلقت الخط، ثم بعدها بأيامٍ قليلة عرفت بنبأ توليه الوزارة فظنت أنها ارتاحت نهائيًا من ملاحقته لها وقد أتاه ما يلهيه عنها، وكم كانت مخطئة !

obeikan.com

الحِرمَان

"ليس هذا ما أريده أو أرغب فيه ولكنى مضطرة " هكذا حَدَّثَت عالية نفسها وهى تنظر إلى السحاب من زجاج نافذة الطائرة، وضمت ابنها الأصغر، الذى كان جالسًا فوق ساقيها، إليها بقوة وهى تتذكر الأزمة العنيفة التى ألمت بها فبعد أن تحملت عبء تربية ثلاثة أولاد صغار بمفردها خمس سنوات منذ سافر زوجها إلى إحدى دول الخليج مكتفيًا بزيارة مدتها شهر واحد كل عام، ورغم كبتها احتياجها العاطفى له وتضحيتها كذلك بعملها لكى تستطيع متابعة الأولاد والاعتناء بهم، برغم تحملها كل ذلك، أتاها الخبر العاصف بأن زوجها تزوج بأخرى فى ذلك البلد الذى يعمل فيه، وتلقت طعنة الغدر – بعد أن تأكد لها صحة الخبر – فى ثبات وطلبت ممن أخبرها أن يتكتم الأمر وقد اتخذت قرارًا بأن لايعرف أحد من أهلها بما حدث بل، وعكس المتوقع، دافعت عن زوجها بأنه فى الغربة وحده ويحتاج لمن تؤنس وحدته كما أنه حق شرعى له، وشطَحَت لأكثر من ذلك فقررت تجاهل الأمر لأنها لا تنوى طلب الطلاق سواء لها أو للأخرى لأنها لا تريد تشريد أولادها، كما لا يحق لها أن تطلب منه تطليق الأخرى، حيث سمعت حديثًا شريفًا فسره أحد الأئمة على هذا المعنى، وفوجئت بعدها بمكالمة هاتفية منه، أخبرها فيها أنه عرف أنها علمت بنبأ زواجه وأخذ يدافع ويعتذر ويَعِدُ ويعلن ندمه وتوبته وأنهى المكالمة بوعده لها بأنه سيطلق الأخرى فورًا، وقبل أن يعطيها فرصة لتقول كلمة واحدة أخرى، وألقت كلامه جانبًا وفى ظنها أنه لم يكن صادقًا فيما قاله وأنه قال ذلك فقط لتهدئتها وكى لا تطلب هى منه الطلاق، ولم تكن مصيبة فى ظنها ذاك، إذ قبل أن ينتهى الأسبوع – منذ هاتفها ووعدها – وجدته واقفًا أمام عتبة بيتهما شاهرًا فى وجهها ورقة تفيد تطليقه للأخرى ثم أخذها بين أحضانه وقال نادمًا: "طلقتها وأطلب منك أن تسامحينى ولتعلمى أنى ما أحببت ولن أحب غيرك عمرى كله". وكان صادقًا فهو فعلًا يحبها حبًا جمًا، أما هى فقد تزوجته بالطريقة التقليدية وأحبته بعد

Obeikan.com

الزواج لأنه أصبح زوجها ووالد أطفالها.. أحبته بعقلها وليس بقلبها وربما لهذا السبب لم تعميها الغيرة وتصرفت بهدوء وقت الأزمة، وغادرها بعد أن اتفق معها بأنه سيرتب لإصطحابها هى والأولاد ليعيشوا معه فى الدولة الخليجية، رغم ما سيجرّه هذا من أعباء مادية تتعلق بالأساس بمصاريف المدارس وإيجارات السكن الباهظة والتى ستلتهم معظم راتبه وربما لن يبقى مايدخره ولكن لا يهم المهم أن يكفر عن خطأه وخطيئته فى حق زوجته الجميلة الوفية، وفعلًا أتم ترتيباته وبعث لها بتذاكر الطيران والتأشيرات، وها هى والأولاد فى طريقهم إليه.

لم تكن متفائلة بإقامتها فى ذلك البلد ومنذ وطأت أقدامها أرض الطائرة شعرت بالغربة، لكنها مضطرة فالأفضل لأبنائها أن ينشأوا فى كنف والديهم معًا وسعادة أبنائها وراحتهم أهم لديها من سعادتها هى، وألقت نظرة عليهم بحنان وحب وكانوا يَغُطُّونَ فى سُبَاتٍ عميق.

هبطت الطائرة وأنهت الإجراءات بصعوبة وأخذت حقائبها لتجد زوجها أخيرًا فى انتظارهم، وركض الأولاد نحو أبيهم فاحتضنهم بقوة ثم أخذها هى أيضًا بين ذراعيه وهمس لها: حمدًا لله على سلامة الوصول يا حبيبتى، كان طويلًا عريض المنكبين يميل للامتلاء وقد برزت بطنه قليلًا شعره أسود كثيف ومجعد أسمر البشرة، وأخذ الحقائب ووضعها فى الحقيبة الخلفية للسيارة ثم ركبوا وانطلقوا إلى حيث سيسكنون.

، وفى رحلة السيارة من المطار إلى المنزل كانت عالية تقارن بين شوارعهم وشوارع مصر – الشوارع كلها نظيفة والعمائر شاهقة الإرتفاع وحديثة البناء، وبالطبع فقد لفت نظرها ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة الخانقة بدرجة لم تر مثلها فى مصر من قبل، وأخيرًا وصلوا إلى الشقة التى سيقطنون بها، وابتسم زوجها وهو يفتح الباب قائلًا بمرح: ادخلى بقدمك اليمنى يا عروس، واندفع الأولاد الثلاثة إلى داخل الشقة ثم خطت وزوجها

خلفهم حيث أغلق الأخير الباب خلفه، ودارت عيناها فى الشقة تتفحصها كانت صالة صغيرة ليس فيها من الأثاث سوى منضدة خشبية مدوّرة التفت حولها أربعة مقاعد خشبية من النوع الذى يطوى ويبسط وأريكتين وضعتا ملاصقتين لحائطين متجاورين وطاولة تلفاز بثلاثة أرفف وضع التلفاز على الرف الأول ومستقبل الفضائيات (receiver) على الرف الثانى أما الرف الثالث فكان خاويًا، وبمواجهة باب الشقة كان باب الغرفة الوحيدة بالشقة، كما كان هناك ممر صغير مفتوح على بابين، باب للمطبخ وآخر للحمام، وفى أرضية الصالة فرشت سجادة كبيرة غطت الصالة كلها تقريبًا عدا مساحة صغيرة أزيد قليلًا من عرض باب الشقة، ربما ليسهل فتح باب الشقة، وأمسكها من يدها وقادها إلى الممر الصغير حيث فتح لها باب الحمام، كان المطبخ صغيرًا مربعًا والحمام كذلك، ولمحتهما دون أن ترضى عن المساحة الصغيرة لهما وللمطبخ بالذات، ثم أخيرًا قادها إلى الغرفة المغلقة وفتح بابها ودخلا قائلًا لها: حجرة النوم، كانت الغرفة صغيرة بها سرير كبير ملتصق بالحائط المواجه لباب الغرفة وعلى الحائط المجاور صوان للملابس مصنوع من الخشب بأربعة ضُلف (أبواب) مُصمّمة لتُجر لا لتفتح بالشد إلى الأمام، ويفصل الصوان عن نهاية السرير مسافة صغيرة تكفى لوقوف شخص واحد فقط بينهما، وتلقائيًا أخذت تقارن بين شقتهم الواسعة فى مصر والمكونة من ست غرف كبيرة وحمامين ومطبخ واسع، وبين هذه الشقة الحقيرة، وكأن زوجها قرأ أفكارها فقال مدافعًا: أعرف أنها صغيرة لكن كل الاستوديوهات هنا تقريبًا بنفس المساحة، وفوجئا بأكبر أولادهما يقول:

- بيتنا فى مصر أحلى.

فقال أخوه الأصغر:

لكن هنا أيضًا حلو.

فقالت عالية وهى تنظر إلى زوجها:

- طبعًا يا أولاد مادمنا مع أبيكم .

فنظر إليها بامتنان وقبّل يدها ثم اتجه إلى الصوان ففتحه وأخرج منه لعبة قدمها لإبنه الأكبر قائلًا:

- هذه لك يا عبد الله .

وتناولها الإبن منه فَرِحًا وقال:

- شكرًا يا أبى .

ثم أخرج الرجل علبة أخرى ناولها لإبنه الأوسط قائلًا:

- وهذه لك يا عبد الرحمن .

فأخذها الولد بحماس وقبّل والده، ثم قال لأخيه:

- أرأيت؟ هنا أفضل من هناك .

وضحك الوالدان ثم تناول الرجل العلبة الأخيرة من الصوان وأغلقه ثم اتجه لولده الأصغر فأعطاها له وحمله على ساعده وقال:

- وهذه لك أنت يا عبد العزيز.

وطبع على خده قُبله ثم أنزله، وخرج الأولاد الثلاثة إلى الصالة وفتح كل منهم لعبته وبدأوا يلعبون معًا، على حين همس هو لزوجته قائلًا بخبث:

- هديتك أنت سأعطيها لك عندما ينام الأولاد.

وكان قد اشترى لها قميص نومٍ مثير، ولم تهتم هى بمسألة الهدية وإنما كان يشغلها أمرٌ آخر حيث قالت بحيرة:

obeikan.com

- أخبرنى يا طارق كيف سننام ولا يوجد غير سرير واحد؟

- عبد الله وعبد الرحمن كل واحد منهما ينام على أريكة فى الصالة وعبد العزيز ينام إلى جوارنا أنا وأنت على السرير.

- وهل سيستطيع الولدان النوم على الأريكة؟

- نعم لأن الأريكتين عريضتان ومريحتان ورغم ذلك إذا لم يرتاحا سنعد فراشًا على السجادة أو ينام الأولاد الثلاثة فوق السرير فى الحجرة وأنا وأنت ننام هنا فى كل الأحوال سنستطيع تدبر الأمر.

وسكت قليلًا ثم أردف مستحثًا: المهم الآن انظرى إذا كان منكم من يريد تبديل ثيابه أو إذا كان هناك من يريد دخول الحمام.. انتهوا سريعًا من ذلك لإنى سأصحبكم إلى مطعم ممتاز لنتناول فيه الغذاء.

***

مرت عدة أيام وزوجها يقوم – عقب عودته من عمله – باصطحابهم للنزهة ومشاهدة معالم المدينة وتناول الطعام فى مطاعم مختلفة كل يوم، وكان ذلك يكلفه جهدًا ومالًا.

ولاحظت هى ذلك ففتحت معه الموضوع، بعد أن نام الأولاد، وبينما هى مضطجعة إلى جواره على السرير قالت:

- غدًا يا حبيبى لن نخرج.

- لماذا يا حبيبتى ألم تعجبك نزهة اليوم؟

- أعجبتنى.. لكنى أرى أن هذا يكفى أولًا لإنك تأتى متعبًا من العمل وتريد أن تستريح وثانيًا أننا نصرف نقودًا كثيرة ونحن نريد أن نصرف باعتدال.

- يا حبيبتى راحتى والنقود لا يهموننى.. المهم أن تكونى أنت والأولاد سعداء.

- أعرف يا حبيبى أنك حنون وتريد أن تفرح الأولاد.

- وأعوضهم عن الأيام التى ابتعدت عنهم فيها.

- وقد عوضتهم فى اليومين الفائتين كثيرًا جدًا من وقت أن وصلنا فسح ولعب وهدايا وبصراحة أصابنا الملل فهذه البلد ليس فيها غير المولات.

- لكن يا حبيبتى..

- ماذا؟ يكفينا أن نخرج يوم العطلة الأسبوعية، ولعلمك أنا جهزت نفسى اليوم واشتريت الخضار واللحم وأكملت ما كان ينقصنى من أدوات المطبخ ومن الغد إن شاء الله ستعود لتأكل من يدى ثانية بعد أن كنت مستريحًا منه الفترة الماضية .

قالت الجملة الأخيرة بمزيج من السخرية والمرح، وضحك هو ثم قال:

- على العكس أكل المطاعم هو الذى كان يتعب معدتى .

ثم أكمل وهو ينظر فى عينيها بهيام:

- والصراحة ليس أطعم ولا ألذ من أكلك ومنك .

ثم لثمها فى فمها بقوة وبعدها قال هامسًا بصوتٍ متحشرج: الولد نائم أليس كذلك؟ وامتدت يده إلى ما تحت ملابسها.

***

بمرور الأيام بدأت تتأقلم مع حياتها الجديدة، وكان أكثر ما أدهشها أنها لم تتعامل مع أى شخص من أهل البلد أنفسهم، فقد كان الباعة فى المحلات وسائقوا سيارات الأجرة والحافلات العامة وعمال النظافة وحارسوا

العقارات من جميع الجنسيات عدا الخليجيين أنفسهم، ولفت نظرها أيضا حفاظ معظم الخليجيات على زيهن الوطنى المتمثل فى العباءة السوداء وغطاء الرأس الأسود وبعضهن تغطين وجوههن أيضًا بالنقاب الأسود، على أن هذا لم يمنع وجود قلة منهن كن أكثر جرأة نحّيْن الزى الوطنى جانبًا وأصبحن ترتدين كالأجانب القصير والمكشوف وغالبًا هذه الفئة تكون من صغيرات السن والطالبات بالجامعة، أما المصريون هناك فقد كانوا جالية كبيرة، ورغم ذلك فقد استغرقت وقتًا طويلًا حتى اكتشفت، عن طريق الصدفة، أن جارتها فى الشقة المجاورة مصرية أيضًا، وسعدت كثيرًا بهذا الإكتشاف رغم تحفظ جارتها المصرية فى تعاملها معها، ويوم أن تعرفت عليها حكت لزوجها القصة أثناء تناولهم للطعام حيث قالت له بحماس:

- أتعرف لقد اكتشفت أن جيراننا فى السكن مصريون.

- حقًا؟ لماذا هُيِّئَ إلىَّ أنى لمحت الرجل أكثر من مرة وأنا ذاهب إلى العمل صباحًا وسمعته يلقى على تحية الصباح بلهجة شوام؟

- هذا لإنه فلسطينى لكن زوجته مصرية تعمل سكرتيرة فى شركة هنا لا أذكر اسمها، وعندهم ولد صغير من سن عبد العزيز وهو الذى عرّفنا إلى بعض لإنه كان يريد أن يلعب مع عبد العزيز وأخويه.

فقال عبد العزيز ببراءة:

- هل تقصدين يا أمى إياد؟ أنا أحبه وأريده أن يلعب معى كل يوم .

وضحك طارق وعالية ثم التفت طارق إلى ولده الأكبر وقال له:

- وانت يا عبد الله ألم تصاحب أحدًا بعد؟

فقال عبد الله:

- ليس هناك غير فتى كبير اسمه رمضان هو الذى يحب أن يلعب معنا أنا وعبد الرحمن..

فقال طارق:

- هل تقصد الولد الذى يعمل فى البقالة فى العمارة المجاورة لنا هنا؟

فقال عبد الرحمن:

- نعم إنه هو يا أبى لكنه ليس ولدًا إنه كبير.

فقالت عالية مستفسرة:

- من هذا يا طارق؟ أنت تعرفه؟

- إنه فتى رقيق الحال أخوه كان قد أتى به من مصر ليعمل معه فى السباكة عند مقاول هنا لكن حظ الفتى العاثر أنه تشاجر مع الكفيل والكفيل أخذ جواز سفره ولم يكن يريد أن يعطيه راتبه المستحق ولا أن يستخدمه ثانية ولا حتى يتركه يعود إلى مصر إلى أن توسط أولاد الحلال له وهدى الله الكفيل أخيرًا وها هو الآن يعمل فى هذه البقالة ديلفرى (Delivery).

فقالت عالية بتأثر:

- ولماذا قبل أن يستمر هنا بعد ما ناله؟ كان يجب أن يرجع إلى مصر.

- يرجع ليصنع ماذا فى مصر؟ إنه ليس معه غير دبلوم صنايع وأهله مساكين جدًا ويعيشون فى الريف فبالنسبة له هو مقيم هنا كأنه مقيم فى باريس.

- تعنى هنا باريس ومصر قمامة؟

obeikan.com

فرد طارق على الفور:

- طبعًا.

ثم استدرك معتذرًا:

- أقصد بلدتهم ستجدينها لا فيها صرف صحى ولا مياه نظيفة ولا أى خدمات من أى نوع إنما هو هنا...

فقاطعته قائلة:

- هو هنا ماذا وزير؟ إنه شحاذ هناك وشحاذ هنا أقله يوفر على نفسه الغربة.

- ليسا سِيَّان.. هنا يمكن مع الوقت أن يجد فرصة أفضل ويبدأ فى ادخار بعض النقود، أما فى مصر أصحاب المؤهلات العليا ملقون على الأرصفة لا يجدون الخبز الجاف، وأساسًا هناك مَثَل أمامنا، أخوه مقيم هنا مستقر وينفق على بيته من سعة ويرسل فائضًا لأهله فى بلدتهم.

- لا أفهم أخوه ينفق على بيته هنا ويرسل نقودًا لأهله تعنى هل هو متزوج من اثنتين؟

فضحك طارق ثم قال:

- اثنتين؟ وهل هو قادر على مصاريف واحدة؟ أنا أقصد أن زوجته وأولاده معه هنا ويرسل مبلغ صغير لوالدته فى البلدة

وسكت لحظة ثم أكمل:

- ولكنه هذه الأيام يفكر أن يعيد زوجته وأبناءه ليعيشوا فى البلدة كى يتعلم أطفاله هناك فى مدارس الحكومة وأنا الذى نصحته قلت له

الأطفال بدأوا يكبرون ولم يدخل أى منهم المدرسة بعد لإن مصروفات المدارس هنا نار فاقترحت عليه أن يعيدهم ليتعلموا فى مصر بدلًا من أن يضيع مستقبلهم من غير تعليم.

- وليس فقط التعليم بل كل شىء هنا سعره أغلى، ولابد أنه أيضًا سيوفر فى السكن وينتقل لسكن مشترك فيكون أرخص.

- لا أعرف، حتى إذا عادوا إلى مصر، هل سيترك الحجرة أم لا لإن أخاه رمضان مقيم معهم ويدفع معه أجرتها.

- ولماذا يقيم معهم؟ أليس متزوجًا كأخيه؟

- لا ليس متزوجًا لإنه مازال صغيرًا سنه يدور حول الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين وقد قال لى أخوه أنه أحضره إلى هنا بعد ما أنهى الخدمة العسكرية مباشرة.

- وهل اثنان وعشرون سنة صغير؟ أنا أسمع أنهم فى الفلاحين والصعيد البنت يزوجونها على عمر ثلاثة عشر والولد على سبعة عشر.

- كان هذا فى الماضى أيام الخير أما الآن فتكاليف المعيشة ارتفعت وحتى فى الأرياف أصبحت العروس تشترط شراء الغسالة والتلفاز والدش.. وقولى كل هذا مع البطالة فماذا يفعل الشباب لكى يتزوج؟

وسكت لحظة ثم قال كأنه تذكر:

- صحيح هل تعرفين رمضان هذا أم أنك لا تذكرينه؟ أعنى شكله .

- تقصد أننى قد أكون رأيته فى محل البقالة الذى يعمل فيه؟ لا أظن أنى انتبهت إليه .

- أنا أريدك أن تتعرفى إليه لإنه هو الذى سيقوم بتوصيل الأولاد للمدرسة ويرجعهم منها فى مواعيد الدوام.

- ولماذا يفعل؟ ألا يوجد باص (bus) للمدرسة؟

- يوجد لكن أغلى وأيضًا الفتى أصله رقيق الحال وهذا باب رزق له، كما أن الباص يدوّخ الأولاد ويضيع وقتهم من كثرة اللف على البيوت.

- لكن هل تثق فى رمضان هذا؟ أمتأكد من أخلاقه؟

- أكيد طبعًا وهل يمكن أن أترك له الأولاد هكذا؟

- وبماذا سيقوم بتوصيلهم؟ أعنى هل يملك سيارة؟ إنك تقول أنه معدم.

- سيأخذ سيارة أخيه.

كانت تفكر فيما قاله زوجها فقد كانت تخشى على أولادها من رجل لا تعرف عنه شيئًا وتوارد إلى ذهنها عدد من الأفكار السوداء النابعة كلها من قراءتها لصفحة أخبار الحوادث مثل هتك العرض والخطف لطلب فدية أو تعليمهم سلوكيات مدمرة كالتدخين والمخدرات، أما زوجها فقد أكمل باسمًا:

- وعمومًا يا حبيبتى إن شاء الله يكون هذا الموضوع مؤقتًا لأنى أنوى عندما يكرمنا الله ببعض المال أن أشترى لك سيارة حتى تقومين بتوصيل الأولاد بنفسك مثلما كنت تفعلين فى مصر.

فنظرت إليه متعجبة فقال:

- بالمناسبة أرخص شىء هنا البنزين والسيارات لذلك فإنه من الممكن أن ندخر قليلًا ونشترى سيارة فليست بعيدة جدًا كما تتصورين ولعلمك هنا السيارات المستعملة من أحدث الماركات وعندما ترينها لا يمكن أن تصدقى

Obeikan.com

أنها مستعملة وليس مثل سوق السيارات فى مصر المستعملة معناها أنها تعطل عشرون مرة فى اليوم لذلك صاحبها يبيعها، هنا أهل البلد يبيع موديل السنة الماضية لإنه يريد شراء موديل السنة الجديدة لا أكثر ولا أقل.

- حسنًا أيها المتفائل ... أخيرًا وجدنا شيئًا رخيصًا فى هذا البلد.

***

بدأ تعارف عالية ورمضان من خلال زوجها، وقبل بدء الدراسة، حيث أصبح زوجها كثيرًا ما يكلف رمضان بإحضار طلبات المنزل من لحوم وخضروات وخلافه، ولاحظت عالية أنه دائمًا ما يقف متنحيًا بجوار عتبة الباب يضع الطلبات ويدق الجرس وعندما يُفتح الباب يلقى السلام ورأسه مطأطئ فى الأرض ويقول بصوتٍ خفيض: الباشمهندس طارق أرسلهم ، ثم ينصرف فى حياء.

وعندما بدأت الدراسة كان ينتظر الأولاد أمام الباب ورأسه فى الأرض ولم تكن تسمع منه سوى كلمتين "صباح الخير يا دكتورة "، " بإذن حضرتك"، وبدأت عالية تطمئن على أولادها فقد رأته يتمتع بخجل أهل الريف والصعيد فى مصر ولا تذكر أنه رفع عينه فى وجهها قط.. وكانت ملامحه مصرية خالصة أسمر الوجه طويل عيونه سوداء وشعره كذلك أسود ومجعد وكان نحيلًا وخمّنت هى أنه على الأغلب من الصعيد، وكثيرًا ما كان أولادها يتحدثون عنه بحماس وحب لاسيما أنه كان أحيانًا يحضر لهم ألعاب بسيطة أو أنواع من الحلوى رغم رقة حاله وكانت عالية تندهش من ذلك وتطلب من أولادها ألا يأخذوا منه شيئًا إشفاقًا عليه وعلى موارده المحدودة، إلا أن طارق نبّهها أنها بذلك تشعره بفقره وتجرح

مشاعره وأن الأفضل أن يقبل الأولاد منه الهدايا ثم يردوها كل فترة بشئ آخر يكون مفيدًا له كمثل سروال أو قميص ووافقت عالية على ذلك.

ومع انتظام أولاد عالية فى الدراسة وزوجها فى العمل، بدأت هى تشعر بالملل يتسرب إليها وشعر زوجها بذلك فصارحته بأن الغربة والفراغ يثقلان عليها، وكانا فى نهاية اليوم، بعد أن نام الأولاد، وفاجأها بقوله:

- هل تحبين أن تعملى؟

فرددت فى دهشة:

- أعمل؟

- مادام يثقل عليك المكوث فى البيت.

- نعم أنا فعلًا أشعر بالضجر الشديد ولكن موضوع العمل هذا............

- أعرف أنى أنا الذى كنت أريدك أن تمكثى فى البيت ولا تعملى لكنى غيرت رأيى مادمت ضجرت فلنحاول البحث عن صيدلية قريبة تقفين فيها شيفت (shift) صباحى.

فتألق وجهها بشرًا وقالت بحماس:

- أحقًا يا طارق ستجعلنى أعمل؟

فابتسم لَمَّا رأى تورّد وجهها وقال:

- يجب ألا أكون أنانيًا مادمت أنت تحبين العمل إلى هذه الدرجة فلن أمنعك عن ما تحبين.

- الفكرة ليست أنى أحب العمل إنما أنى لا أحب الفراغ.

منذ زواجها وحملها اختارت الجلوس فى المنزل بإيعاز منه لأنه من شدة حبه لها كان يغار عليها من زملائها فى عملها، لكنه بعد أن تزوج عليها، شعر كم أخطأ فى حقها وأصبح لديه استعداد أن يفعل أى شئ لإسعادها وتعويضها عن غدره بها... نعم لم يكن سعيدًا وهو يعرض عليها فكرة النزول للعمل ولكن مادام هذا سيسعدها هى فلابد أن يساعدها فى تحقيق رغبتها، وكان فى أعماقه يأمل أن لا يستهويها العمل وتتركه مرة ثانية باختيارها... نعم من يدرى !!

Obeikan.com

obeikan.com

الحنين

obeikan.com

- ياه انظر يا مازن.. ما أجمل ساقيها.. مازن .

- مازن لن يسمعك إنه ومنذ ربع الساعة يتابع بشغف واحدة أخرى.. لا أدرى هل جئتما للحملقة فى الغاديات والرائحات من النساء؟ هل أنتما مراهقين؟

- لا يا سيدى بل نحن ضَجِرَيْنِ من الملل ثم أن.. ما هذا؟ إلى أين أنت ذاهب يا مازن؟

وكان مازن قد تركهما وانطلق كالسهم نحو طفلٍ صغير أخذه من يده وعاد به إلى أمه الملتاعة، فأكمل الأخير:

- انظر إلى ابن خالتك يريد شغل الفتاة ! صحيح أنها كالبدر ليلة تمامه لكن معها طفلين ولباسها ستايل (style) ولكن محتشم فهى تغطى شعرها.. لا أعتقد إن السنارة ستغمز هذه المرة.

فنظر الآخر فى ساعته ثم نهض قائلًا: أما أنا فلا أعتقد إنى سأجلس معكما أكثر من هذا.. فلدى مواعيد هامة.. سلام يا حمادة

ووقف حمادة لمصافحته وهو يقول: سلام يا عصوم.. ونصيحتى أن تغادر دون السلام على مازن كى لا تفسد له أجواء التسبيل.

- لا أدرى لماذا أشعر أنك أنت أيضًا ستُقْبَر فى سبيل الذهاب إليها والتسبيل لها.

- ياليت.. أنا أفكر فى ذلك فعلًا.. فأنت كنت جالسًا بظهرك فلم ترها وإنما أراهنك أنك لن تتمالك نفسك لو رأيتها.

- حسنًا قبلت رهانك.. سأدعى البراءة وأذهب لمصافحته ولنر.. تلك الفاتنة التى أبهرتكم ما وصفها.

- إذا كنت تنوى ذلك حقًا فأسرع فعلى ما يبدو أنها ستغادر حالًا.

والتفت عاصم إلى حيث كان يقف مازن وأسرع نحوه، وكان مازن يقف أمامها مباشرة فلم يتمكن عاصم من رؤيتها إلا عندما وقف بمحاذاة مازن وكانت مفاجأة.. إنها هى .. العيون.. الوجه.. القوام الفارع.. ووجد نفسه يهتف بدهشة:

- خديجة؟

فالتفت إليه مازن وقال هو الآخر بدهشة:

- هل تعرفها؟

فردت هى بارتباك:

- دكتور عاصم؟

ومد يده ليصافحها بلهفة وأطبق يده على يدها بقوة، كانت هذه عادته معها دائمًا، لكن هذه المرة كان يطبق على يدها ليتأكد أنها حقيقة وأنها هى نفس اليد التى يعرف تضاريسها جيدًا، وأكملت بخجل:

- أهلًا ..

ونقل مازن بصره بينهما بتساؤل فقال عاصم موضحًا:

- كانت تعمل معى فى مكتبى من عدد من السنوات .

ثم التفت إلى الطفلين وأكمل:

- لا تقولى أنهم أولادك .

فقالت وهى تقدمهما إليه:

obeikan.com

- عمر وجومانة .

فانحنى يقبّل الطفلة ويصافح الطفل ثم اعتدل مرة أخرى وصوّب إليها نظرة إعجاب قائلًا:

- ما شاء الله لا يبدو عليك أنك أم فما تأثر قوامك بحمل أو ولادة .

ثم التفت إلى مازن واستطرد قائلًا:

- إنها وقت أن كانت تعمل معى لم تكن قد تزوجت بعد.

وسكت لحظة ثم أكمل وكأنه تذكر:

- وبالمناسبة أين زوجك؟

فقالت باسمة:

- فى المنزل فهو لا تستهويه أجواء الشوبنج (shopping) والزحام هذه.

ثم مدت يدها تصافح مازن وأكملت:

- اسمحا لى فقد تأخرت سعيدة بلقائكما.

فقال عاصم مقاطعًا:

- ما هذا؟ لا يمكنك المغادرة بهذه السرعة على الأقل انتظرى حتى نحضر لملائكتك الصغار شيئًا من الحلوى.

- شكرًا يا دكتور على عرضك الكريم لكن أعتقد أن الوقت داهمنا و..

فقال مقاطعًا بإصرار:

- لا تحاولى التملص سوف أحضر لهما شيئًا سريعًا يأكلانه فى الطريق .

وأمسك بيد الطفل وخاطبه قائلًا:

obeikan.com

- تعالى يا كابتن عمر أنت صاحبى فلنذهب ونحضر بسرعة آيس كريم لك ولأختك ولوالدتك.

وابتعد بالطفل بسرعة عن أمه قبل أن تعترض، وفى طريقهما سأل عاصم الولد وعرف منه رقم الهاتف المحمول الخاص بخديجة وأين يسكنون واسم مدرسته وكل المعلومات البسيطة التى يعرفها طفل فى سن عمر، وعندما عاد به إلى أمه قالت خديجة بخجل:

- لم يكن من الضرورى أبدًا أن تتعب نفسك وتعطل وقتك هكذا.

- بل أنا من أخركم، ولعلمك المرة القادمة سآخذ كابتن عمر صاحبى وندخل منطقة الألعاب أليس هذا ما اتفقنا عليه يا عمر؟

فرد الطفل بحماس: نعم يا أمى.. فى المرة القادمة اِئتى بنا مبكرًا كى نتمكن من اللعب مع أونكل (Uncle) عاصم.

فابتسمت خديجة وقالت:

- إن شاء الله يا حبيبى.

ثم مدت يدها تصافح عاصم وأكملت:

- أشكرك كثيرًا يا دكتور أتعبت نفسك.

وكعادته ضغط على يدها بقوة وهو يصافحها، وود هذه المرة ألا يُفلت يدها حتى لا تذهب، لكنه كان مضطرًا فأطلقها وأسرعت هى تتجه، بيدها المحررة من قبضته، إلى مازن قائلة: سعيدة بالتعرف إليك يا باشمهندس.. سلمّى يا جومانة.. سلمّ يا عمر.

وتناول كلًا من عاصم ومازن الطفلين فانحنيا وطبعا القبلات على خدود الصغيرين ثم اعتدلا فى وقفتهما ثانية، على حين أخذت خديجة الطفلين فى

يدها وانصرفوا والطفلين يلوّحان لعاصم ومازن مودعين، ولما غاب ثلاثتهم عن ناظرى عاصم ومازن قال الأخير بهيام:

- رائعة الحسن.

ثم التفت إلى عاصم وقال باستهجان:

- لكن هل تعرف أنك دون عقل يا ابن خالتى إذ تكون لديك موظفة بمثل هذا الجمال ثم تفرط فيها هكذا.

وكاد عاصم أن يقول:"أنا لم أفرط هى التى هربت" .

ولكنه قال متظاهرًا بعدم الإكتراث:

- أنا لا أتذكر لماذا تركت العمل معى.. فالقصة قديمة لإنها كانت تعمل معى ربما من تسع أو عشر سنوات خلت.

- يا إلهى عشر سنوات؟ يا لقسوة قلبك يا ابن الخالة أنا لومكانك ماكنت أبدًا لأفرّط فيها بهذه السهولة كنت أكيد سأرفض استقالتها وتعرف ماذا أيضًا؟ أنا لومكانك الآن كنت سأفعل أى شئ كى أجعلها تعود للعمل معى مرة أخرى.. وصحيح أنه يبدو عليها أن الطريق إليها مغلق ولكن على الأقل يكفى المرء أن تقع عينه كل صباح على وجهٍ يفتح شهيته على العمل والحياة.

فقال عاصم بخبث:

- وجه فقط؟ وهل هذا ما تعرفه عن ابن خالتك؟

- يا صاحبى لا توحى إلىَّ بما لم يحدث فمن الواضح جدًا أنك ما نلت ولن تنال منها وجهًا أو حتى قفًا.

obeikan.com

- هذا فقط لأنى لم أضعها فى رأسى، ولو وضعتها سأنال منها كل ما أريد بل وأكثر بكثير وغدًا سترى.

استرجع عاصم أحداث ذلك اليوم الذى كان منذ ما يزيد عن ستة أشهر عندما التقى خديجة صدفة فى أحد المراكز التجارية الشهيرة، ومن وقتها وهو يطاردها ويحاول أن يستميلها ويوقعها فى شباكه ولم يكن يتوقع أن يكون الأمر سهلًا، ولكنه أيضا لم يتوقع أن يستغرق كل هذا الوقت والمجهود دون أن يظفر منها بشئ سوى الفشل الذريع فلا كلمة أو حتى حرف أو نظرة منها تشجعه على الإستمرار، أو تعطيه بصيصًا من الأمل فى أنها قد تلين له يومًا، وبرغم صدها العنيف لكل محاولاته وإحساسه كأنما يخبط برأسه حائطًا صلدًا إلا أن كل تعبه وإحباطه لا يزيده إلا إصرارًا وهو ما يَعْجَبُ له فى قرارة نفسه، فهو من عشر سنوات ،وكانت الظروف والملابسات أفضل بكثير وواعدة إلا أنها – أى خديجة – عندما اختارت الإبتعاد والإختفاء لم يأبه لذلك وتركها تذهب، بل وظن أنه نسيها غير آسف عليها فما الذى تغير؟ لماذا – فجأة – يشعر أنه لا يطيق الإبتعاد عنها ولا يتحمل فكرة اختفائها من حياته مرة أخرى؟.. لقد عاش بدونها عشر سنوات ربما لم تمر على ذاكرته فى كل هذه السنوات مرة، فكيف الآن وقد أصبحت حياته – بعد زواجه وإنجابه، ومؤخرًا توليه الوزارة – أكثر زَخَمًا وامتلاءًا بكل ما يشتهى المرء ويُحِبْ.. كيف لازال يفكر فيها وتسيطر عليه هذه الرغبة العجيبة فى أن تكون معه وله؟ هل هذا هو الحب؟ واستسخف هذه الفكرة واستهجنها، وتذكر "أنا أريد قلبك وأنت تريد جسدى.. أنت غالٍ جدًا فى نظرى وأنا رخيصة جدًا فى نظرك.. أنا أريد الحلال وأنت تريد الحرام.. كيف يمكن أن نكون معًا؟ ".. قالت خديجة له هذه الكلمات، فى يأس، من عشر سنوات ولا يزال يذكرها ويذكر عينيها الدامعتين وهى تقولها، ووقتها لم يطرف له جفن.. ما أحبها ولو كان قد فعل لأشفق عليها وعلى نفسه من وجع الفراق.. ما أحبها من عشر سنوات وقد كانت متاحة أمامه، فلم يكن قد تزوج ولا هى، فهل هبط الحب فجأة

الآن وقد صارت بعيدة المنال؟ لا.. إن غروره فقط هو الذى يحركه، فكيف لامرأة.. أيّة امرأة أن ترفضه وهو ما هو عليه.. شباب ووسامة ومنصب رفيع وذكاء وثراء وعائلة أرستقراطية.. إنه حلم كل امرأة، وما من امرأة أشار إليها بإصبعه إلا أتته مهرولة لاهثة، وحتى دون أن يشير تتهافتن تحت قدميه.. فما بالها هى؟! أليست كغيرها من النساء؟ من أين لها كل هذا الصمود والجمود فى مواجهته؟ وها هى ثلاثة أشهر مرت منذ عادت للعمل معه، فى الوزارة هذه المرة، دون أن يَجِدَّ جديد.. لازالت على تحفظها واستغراقها فى العمل ومعاملتها الرسمية الجافة له، وهو أيضًا – من ناحيته – لم يستطع أن يفعل شيئًا أكثر من إرسال نظرات خاصة أو إلقاء عبارة موحية وفى أوقات شديدة الندرة، عندما يكونان وحدهما بحجرة مكتبه، كان يشعر أنه مُكبّل فمن ناحية يخشى على سمعته، وخصوصًا وهو تحت الأضواء، ومُراقَب من الأعداء والأصدقاء، ومن ناحية أخرى كان يخشاها هى.. يخشى من ردة فعلها إذا تصرف بجرأة أكبر، وهو لا يستطيع أن يغامر هذه المرة بفقدها، فمن أدراه أن الصدفة ستكون كريمة معه إلى الحد الذى..

- هيه ! إلى أين ذهبت بخيالك يا معالى الوزير؟ هل تفكر فى مشاكل الوزارة فى البيت أيضًا؟

كانت هذه أخت عاصم (مرام) صوتها أخرجه من شروده، على حين أكملت قائلة:

- ما بك؟ ساعة قضيتها جالسًا معى ما نطقت بكلمة اترك العمل فى العمل وتذكر أن اليوم إجازة.

فردَّ عاصم بتلقائية:

- أبدًا إنها ليست مشكلة فى العمل.

فقالت أخته بفضول:

- ففى ماذا إذن؟ فعلى ما يبدو أنها مشكلة قوية جدًا.

فقال عاصم بحذر:

- إنها مشكلة تخص أحد أصدقائى

وسكت قليلًا ثم أردف:

- إنه صديق حميم لى وأنا متعاطف معه كثيرًا.

- إلى هذه الدرجة أنت متأثر بمشكلته؟

وخطر لعاصم فى هذه اللحظة تصوّر ما فقال بمزيج من الحماس والحذر:

- مرمر يا حبيبتى بصفتك من الجنس اللطيف وتعرفين طبعًا كيف تفكر النساء هل تستطيعين إخبارى كيف يصل رجل لامرأة متزوجة ولديها أطفال؟

فشهقت أخته وقالت باستنكار:

- ما هذا؟ هل صاحبك يحب امرأة متزوجة؟ كم هو سافل ودنىء.

فقال عاصم مدافعًا:

- ليس الأمر كما يبدو إنه مسكين وأصل القصة أنها أيضًا كانت تحبه قبل أن تتزوج.

- تحبه قبل أن تتزوج؟.. أى نوع من الحب تقصد؟

- حب.. حب عادى.. أعنى كانت تقول له أنها تحبه وفقط.. تصورى أنها ما كانت تسمح له حتى بأن يمسك يدها؟

obeikan.com

- ممتاز.. إنها امرأة محترمة.

- محترمة أم أنها لا تحبه وكانت تكذب عليه؟ فأنا لا أفهم كيف تحبه وتبخل عليه حتى بأن يمسك يدها.

- إنه يحدث خصوصًا لوكانت مُتديّنة ومتزمتة قليلًا.

وتذكر عاصم أن خديجة وقتها لم تكن قد ارتدت غطاء الرأس بعد لكنها كانت حريصة على الصلاة فى مواقيتها فكانت أحيانًا تصلى فى المكتب وأحيانًا تستأذن للصلاة فى زاوية تقع أسفل العمارة التى بها المكتب

وقال متنهدًا:

- نعم تزمُّتها هذا هو الذى جعل صاحبى لم يعرف ما يصنع معها.

- وأى شئ كان يريد أن يصنع معها؟ لماذا لم يتزوجها وقتها مادام كان ملهوفًا عليها إلى هذا الحد؟

- لا أعرف.. أكيد غباء منه أو ربما ظروفه وقتها لم تسمح.

- وهى الآن ظروفها أيضًا لم تعد تسمح.. فقد أصبحت زوجة.

- نعم لكنها كانت تحبه.

- كانت.. كانت.. الواحدة منا مشاعرها تتغير بعد الزواج والإنجاب ألم تقل أن لديها أطفال؟

- بلى.. لديها اثنين.

- إذن قل لصاحبك أن يكون محترمًا ولا يسعى فى خراب بيتٍ عامر.

فقال عاصم بحسرة:

obeikan.com

- وهل هو يعرف كيف يسعى؟ أقول لك أنه طيب وقليل الحيلة.

- لا والله بل هو متبجح وفاجر.. كيف يفكر فى واحدة هى زوجة وأم؟ بل ولديه أمل أنها لا زالت تحبه.. يا عصوم المرأة من هذه النوعية التى يصفها صاحبك لا يمكن أن تبحث عن حب خارج مؤسسة الزواج أو تسمح لنفسها بالبقاء طرفًا فى علاقة غير شرعية وزوجها وأولادها هم كل حياتها ولن تفكر فى غيرهم أبدًا.

فقال عاصم بيأس:

- ولكنه سيجن من كثرة التفكير فيها ليل نهار ومن غير المعقول أن يعدم أية طريقة تُمَكِّنَهُ من أن يصل إليها بها.

فرمقته أخته بشك وقالت بريبة:

- لا أدرى لماذا أشعر أن صاحبك هذا نيته من ناحيتها ليست خيرًا وأنه فقط يريد أن يأخذ منها ما يشتهى ثم يلقى بها خارج حياته.

وتلوّن وجه عاصم وقال مدافعًا:

- أبدًا.. أبدًا.. بل هو.. بل هو..

وأخذ يبحث عن كلمة يقنع بها اخته بحسن نوايا الصديق المزعوم ورغم سهولة الكلمة إلا أنه لا يعرف لماذا استغرق كل هذا الوقت لتخطر بباله وكأنها كانت مطمورة فى أعماق سحيقة وقال أخيرًا:

- سيتزوجها.. هو قال لى ذلك إنه يريدها فى الحلال وينوى أن يتزوجها.

وظهر على أخته أنها لا تصدق كلامه وقالت:

- المشكلة إنى أعرف صاحبك هذا وأعرف أن الزواج هو الشئ الوحيد الذى لا يفكر فيه مطلقًا.

obeikan.com

فازدرد عاصم ريقه بصعوبة وقال بارتباك:

- تعرفيه من أين؟ أكيد أنت مخطئة.

فقالت أخته بلهجة تقريرية:

- بل أنا أعرفه جيدًا.. إنه مازن ابن خالتنا طبعًا.. فهو صاحبك الأنتيم.

قالت الجملة الأخيرة وهى مزهوة بذكائها ظنًا منها أنها اكتشفت السر وقالت وكأنها تدعم كلامها بالدليل الدامغ:

- طيلة حياته وهو زائغ العينين ويصاحب الراقصات ولهذا أنا متعجبة منذ متى بدأ ابن خالتك يتعرف إلى واحدة محترمة؟

وتنهد عاصم فى سرِّه ثم قال:

- ها أنتِ ذا نطقت بها.. كيف يعرف مازن واحدة محترمة؟ صدقينى وكما قلت لك صاحبى هذا أنت لا تعرفينه ولم تريه أبدًا فى حياتك من قبل.

كانت مقتنعة أنه مازن وأن عاصم يكذب عليها كى لا يحرجه ربما وقالت بسخرية:

- أمر غريب أنك تنتقى أصحابك كلهم من فئة المتهتكين أصحاب العيون الزائغة على الدوام.

فقال عاصم بنفادِ صبر:

- أقسم لكِ أنه ليس مازن.. تكلمى أرجوك بصفتك امرأة محترمة مثلها ما الذى يمكن أن يفعله صاحبى حتى يستطيع أن يرقق قلبها له ويستعيد الحب القديم؟

استغربت إصراره وإلحاحه الشديد، ولم تستطع أن تتخلى عن فكرة أن مازن هو المَعْنِى بهذا الكلام.. فى سنوات مراهقتها أحبته وكان حبًا من طرفٍ واحد لأن مازن كان، ولازال، يراها أختًا له، وظل هذا الحب سرًا مدفونًا فى قلبها تخشى أن تعترف به حتى لنفسها، ثم كبرت وتبدلت مشاعرها وتزوجت وأنجبت ونسيت القصة على أن الرواسب العميقة أحيانًا ما تطفو فوق السطح فكيف تساعده فى الحصول على امرأة أخرى؟

وعاد عاصم يقول:

- لم أنتِ صامتة؟ إنه ليس مازن.. وحتى لوكان هو، أليس ابن خالتك والأقربون أولى بالمعروف؟

اعتبرت هذا تصريحًا ضمنيًا بصحة اعتقادها ولكن هل يستقر مازن أخيرًا مع امرأة؟ وبماذا تبرر لأخيها رفضها مساعدته ووجدت نفسها تقول:

- حسنًا سأقول ولو أنى لا أعتقد أنه توجد فائدة من الكلام.. أنت تعرف طبعًا أن الرجل يعشق بعينيه أما المرأة فتعشق بأذنيها.

- إذا كنت تقصدين كلام الحب والغزل فقد ملأ أذنيها به.

- ما قصدت هذا الكلام المفروض أن يقول لها الكلام الذى تحب هى أن تسمعه.. أنت تقول أنه قال لك أنه ينوى أن يتزوجها ولكن هل قال لها هى ذلك؟

وأخذت نفسًا عميقًا ثم أكملت بتركيز:

- اسمعنى إنهم نقطتين الأولى يجب أن يقول لها أنه يريد أن يتزوجها على سنة الله ورسوله وهذه سهلة.

وتذكر عاصم لحظتها خديجة عندما قالت له من عشر سنوات:" تصور أن غرورك بنفسك وتقليلك من شأنى لديك يمنعانك من أن تحاول حتى

أن تتظاهر بأنك تحبنى.. حتى الكلمة.. كلمة أحبك ترى أنى أقل من أن أسمعها منك ويكفينى أن تقول أنك تريدنى حتى أمنحك جسدى وكأنك تَمُنُّ علىَّ وأنا أَمَةٌ تفرح عندما يختارها سيدها ليلة وليس مهمًا حتى أن يقول لها كلمة حلوة ترضى أنوثتها فالأَمَةُ ليس لها حقوق ولا لمشاعرها قيمة عند سيدها".

- هيه! لقد عدت للسرحان من جديد.. تريدنى ألا أكمل؟

انتبه على صوت أخته فقال:

- لا طبعًا أكملى.. أنا مستغرب فقط كيف النقطة الأولى هذه لم تخطر ببالى.. أقصد لم تخطر بباله مطلقًا قبل ذلك.

فرمقته أخته بشك ثم قالت:

- عمومًا النقطة الثانية وهى الأهم زوجها تأكد أنه طالما العلاقة بينها وبين زوجها جيدة فإن صاحبك لن يجد سبيلًا إليها أبدًا.. الأمل أن تتغير علاقتها بزوجها.. تصبح بينهم مشاكل قوية تجعلها تخشى من تأثير هذه المشاكل على الأولاد وتكسرها هى نفسيًا وتصبح فى ضعفها فى حاجة للكلمة الحلوة التى ذكرناها قبل ذلك !

وسكتت هنيهة ثم قالت ناصحة:

- الموضوع معقد جدًا ومفاتيحه ليست فى يد صاحبك انصحه أن ينساها هذا أفضل له.

أدهشه أن غروره وصلفه وتمركزه حول ذاته أعموه عن رؤية ما هو بديهى.. لقد لفتت أخته نظره إلى حقائق بسيطة ومهمة ورغم ذلك لم تَجُلْ بخاطره قبلًا..

- أبى يتضور جوعًا.. أنتما لازلتما جالسين؟

كان هذا شقيقهما الثالث أحمد، وتابع بسرعة وبنفاد صبر: أبى هاتفنى وهو يشتكى منكما أنتما الإثنين ويقول لك يا سيادة الوزير زوجتك وابنتك هما أيضًا تتضوران جوعًا وأنتما جالسان هنا تثرثران دون أن تحملا همًا لشىء.

- أنا لا أعرف حكاية النادى هذه التى يصرّ أبى عليها كل أسبوع مع أن اجتماعنا فى البيت مريح أكثر.

قال عاصم هذه الكلمات بتأفف.

فقال أخوه ساخرًا:

- سيادة الوزير أصبح نجمًا ستار (star) ولا يحب أن يظهر فى الأماكن العامة حتى لا تلتف الناس حوله وتصدعه بمشاكلها وطلباتها.

فقال عاصم:

- أرجوك أنت بالذات يا باشمهندس لا داعى لسخريتك.

على حين نهضت مرام وقالت:

- أما أنا فسآتى معك يا أحمد فقد أوجع أخوك رأسى باستشارة عاطفية عنيفة جدًا.

فقال أحمد بدهشة:

- إستشارة عاطفية؟ وهل معالى الوزير لديه وقت للكلام التافه هذا؟

ونظر عاصم إلى مرام مؤنبًا وقال لها فى لهجة تحذيرية:

- ألم نتفق أن هذه أسرار أحد أصحابى فلا تفشيها؟

فقال أحمد بلا اكتراث:

opeikan.com

- مادام عاطفيًا وصاحبه أكيد هى حكاية من حكايات مازن التافهة..

فقالت مرام وكأنها انتصرت:

- وهذا ورب الكعبة ما قلته له.. قلت أنه مازن ولكنه يقول ليس هو.

فقال أحمد:

- عمومًا مازن لا يناسب هذه المرحلة يا معالى الوزير الخلاعة والمجون اللذين يحكمانه ممكن أن يودوا بك أنت إلى الهاوية.

فقال عاصم:

- ما بالكما تكثفان الهجوم عليه كليكما؟.. هيا أنتَ وهى نذهب إلى الغداء.

وبات عاصم ليلته مؤرقًا.. كان يفكر فيما قالته مرام، شقيقته، لقد غاب عنه أنه بينما يبحث الرجل عن الحب فالمرأة تبحث عن الزواج، ولكن أى عرض بالزواج سيعرضه عليها الآن وهو متزوج وهى، وهذا هو الأهم، متزوجة؟ إن عرض الزواج لابد أن يكون الخطوة التالية وليس الأولى، فلابد أن تكون حرة أولًا، ولكن ألا يمكن أن يكون عرض الزواج نوعًا من التحفيز لها كى تتخلص من زوجها؟.. زوجها هذا نفسه هو المعضلة الكبرى.. إن زوجها، فى مجال عمله، بعيد عن نفوذه- أى عاصم، الوزارى وحتى لوكان.. إنه لا يستطيع أن يستغل نفوذه فى أمر كهذا.. أولًا لأنه يخشى أن يخسر منصبه – إذا عُرف أنه استغله لمنفعة شخصية، وما هى المنفعة؟ يريد أن يأخذ زوجة من زوجها.. إنها ستكون فضيحة أكبر من فضائح ضباط النكسة مع الفنانات وفضيحة بيل كلينتون مع مونيكا لوينسكى، وثانيًا وهو الأهم أن أسوء شئ قد يحدث للرجل وهو فقدان الوظيفة الحكومية ليست حدثًا ذا بال فهو طبيب لديه عيادة خاصة، وعلى العكس فإن خديجة قد تتمسك به أكثر إذا عرفت أنه تعرض للأذى بسببها، ثم أساسًا ما العلاقة بين فقد الرجل لوظيفته وحب زوجته له؟

وفكر فى الإستعانة بصديق من الداخلية، لكنه تراجع سريعًا لعلمه أنه حتى لونجح فى تدمير زوجها عن طريق الضابط فإنه سيكون فى ذات الوقت قد قدم للضابط ما يمكّنه من أن يضغط به عليه – أى عاصم – ويبتزه فى أى وقت، ماذا يفعل إذن؟ إن طريقه مع زوج خديجة مسدود مسدود مسدود.. ولكن هل ييأس؟ لابد من وسيلة وأخذ يعتصر ذهنه بل ويتذكر كل الأفلام القديمة والحديثة والروايات التى قرأها وحكاياته هو شخصيًا مع النساء اللائى مررن بحياته ولم يخرج بشىء، فما يعرفه عن زوجها أنه رجل مسالم وسمعته طيبة ومحب لأسرته، وبحسب معلوماته عنه هو لا يملك شيئًا ضده ولا يعرف نقطة ضعف أو ثغرة ينفذ من خلالها إليه، وأخلد عاصم إلى النوم يائسًا مُسَلّمًا بانعدام الحيلة فى زوج خديجة إلا أن تساعده السماء بمعجزة أو... يساعده الشيطان.

***

عندما دلف عاصم إلى حجرة مكتبه فى الوزارة صباحًا غلى الدم فى عروقه حين وجد سليم يضحك مع خديجة ومقعده يوشك أن يلتصق بمقعدها فقال بنبرة غيرة وسخرية لاذعة:

- وهل طلبتما عصير الليمون أم ليس بعد؟

وأسرع كلاهما بالوقوف وهما يقولان :

- صباح الخير يا معالى الوزير.

فقال عاصم:

- أنا فقط أريد أن تخبرنى هل نقلت مكتبك هنا يا سليم وأنا لا أعلم؟

فقال سليم:

- معاليك أنا كنت أساعد خديجة وأعطيها بيانات كانت..

فقاطعه عاصم قائلًا:

- سبحان الله وهل هذه البيانات لا تنتهى أبدًا؟ كل يوم تعطيها بيانات؟ لقد مر أسبوعين تقريبًا ما رأيتك جالسًا على مكتبك فى الخارج فيهما ولو مرة أو ليس لديك أعمال أخرى لتقوم بها؟

شعر سليم بالحرج من توبيخ عاصم له وقال مدافعًا:

- ولكن معاليك أمرتنى أن أتعاون مع خديجة عندما تطلب مساعدتى وهي...

فقال عاصم:

- وهى ماذا؟ هل ستقوم بعملها نيابةً عنها؟

ثم التفت إلى خديجة وأكمل:

- وأنت يا خديجة هانم؟ ألم أقل أن تعملى فى هذا الملف وحدك؟ ماذا؟.. كلامى غير مفهوم؟

فقالت خديجة وقد احمرت وجنتاها:

- وهذا هو الذى يحدث فعلًا دكتور سليم كان فقط...

فقاطعها عاصم قائلًا:

- كان ماذا؟ تفضلى وعودى لإكمال عملك وحدك وأنت يا سليم من فضلك ارجع لمكتبك ولا تتدخل أو تعمل فى هذا الملف مرة أخرى بعد إذنك.

فقال سليم على مضض:

- أمر معاليك.

وانصرف مغلقًا الباب خلفه، على حين جلست خديجة خلف مكتبها مرة أخرى وأخذت تكمل عملها فى صمت بينما ذهب عاصم ليجلس على مكتبه وهمام يتبعه

وقال عاصم حانقًا:

- شئ عجيب جدًا كل يوم أدخل المكتب لأجد سليم فى وجهى والأسوء أنه يظل ملتصقًا على المقعد بجوار خديجة حتى آخر اليوم..أنا لا أفهم والمهام الأخرى التى أكلفه بها متى يقوم بإنجازها؟

فقال همام:

- لا أعرف ربما يذهب بالعمل إلى البيت.. فهو أعزب معاليك وليس لديه ما يشغله المحظوظ ! نحن فقط المطحونون بين مشاكل الأولاد وطلباتهم التى لا تنتهى.

فقال عاصم مُستفَزًّا:

- وهل كونه أعزب يعطيه الحق فى التربص لخديجة والتغزل بها؟

فردد همام فى دهشة:

- يتغزل؟

فقال عاصم مستدركًا وقد أدرك فلتة لسانه:

- أليس جالسًا ليل نهار فى المقعد ملاصقًا لمقعدها؟ رغم أنى أمرت بألا يعمل سليم بالذات فى هذا الملف وقلت أيضًا أن سليم لو كان لديه شئ مفيد ما كان بقىَ الملف مهملًا وتراكمت فيه المشكلات إلى أن تضخم بهذا الشكل أليس كذلك؟

فقال همام مهدئًا:

- معاليك طبعًا معك كل الحق ولكن أعتقد أن نيته كانت نية خير وقصده المساعدة وبالنسبة لخديجة أكيد أنه لو كان ضايقها بأى شكل ستستطيع أن توقفه عند حده فهى موظفة من زمن ولابد أنها تعرضت لمواقف كثيرة مشابهة.

ثم ابتسم ابتسامة خبيثة وأكمل:

- معاليك تعرف أن هذا أمرٌ عادى.

فنظر إليه عاصم باستغراب وقال:

- عادى؟ ما هو هذا العادى؟

فازدرد همام ريقه وقد شعر أن كلامه لم يعجب عاصم ثم قال:

- أنا أقصد معاليك أن سليم مهذب ومحترم صحيح والدته إنجليزية وحصل على الدكتوراه من إنجلترا لكنه متشبع بالأصول المصرية و...

- أية أصول؟ أنا أعرف سليم من قديم فهو عضو معى فى النادى وكان حاصلًا على بطولات فى الهوكى والإسكواش ومن أجل هذا هو مزهوٌ بنفسه ويعيش دور الشاب الرياضى البطل ولا يريد أن يتزوج مع أنى أعتقد أنه دخل فى الخمسين.

فقال همام بدهشة:

- خمسين؟ ما شاء الله شكله لا يقول أنه جاوز الأربعين.. آه من الزواج والإنجاب نشقى بهما فنشيب مبكرًا قبل الأوان.

قال الجملة الأخيرة بتحسّر ونظر إليه عاصم باستهجان فاستدرك:

- لكن معاليك محق إنه فعلًا كبير فى السن إنه هنا فى موقعه هذا منذ خمسة عشر عامًا.

obeikan.com

فقال عاصم مصححًا:

- ثمانية عشر عامًا.

- معاليك مهتم كثيرًا بشأنه.

فقال عاصم حانقًا:

- لأن عمله لا يعجبنى وكل المدة التى قضاها هنا فى الوزارة كانت بدون إنجازات حقيقية ومع ذلك ظل فى موقعه لا بل الأسوء أنه كان يترقى فى السلم الوظيفى.

وفهم همام أن المسألة تحالفات وتضارب مصالح وأن عاصم يخشى من نفوذ سليم لاسيما وهو الرجل الثانى فى الوزارة وأنه إذا لم يحدث بينهما وفاق فلابد أن أحدهما سيخلع الآخر، وفى كل الأحوال على همام أن يلتزم الحياد كى لا يخسر أحدهما، وهمام نفسه من هذا النوع الذى يحب الرئيس فى العمل الإحتفاظ به لإنه ليس لديه طموح فى الرئاسة ولأنه خفيف الظل وفى نفس الوقت مطيع جدًا ومخلص فى عمله.

وأكمل عاصم:

- همام قل لأميرة أنى لا أريد أى مقابلات اليوم وأنت أيضًا لا تُدْخِلْ إلىَّ أى شخص ولا تمرر لى أية مكالمات مفهوم؟

- كما تأمر معاليك.

ثم انصرف وأغلق باب الحجرة خلفه، على حين أشعل عاصم سيجارة أخذ منها نفسًا عميقًا ثم نهض من خلف مكتبه واتجه إلى أقصى الحجرة حيث مكتب خديجة ونقر بإصبعه على سطح المكتب ثم قال بصوتٍ خفيض: خديجة.

ولم ترد بل ظلت محملقة فى الشاشة أمامها وأخذ نفسًا آخر من السيجارة ونفث دخانها بالقرب من خديجة فأدارت وجهها إلى الناحية الأخرى مظهرةً الإمتعاض فابتسم وأطفأ السيجارة فى مطفأة صغيرة موضوعة على المكتب، وقال برقة:

- نسيتُ أن دخان السجائر يضايقك.

ونظرت إليه فأكمل:

- تذكرين فى السابق كنت تقولين لى أنك تتضايقين من السجائر لإنك تخافين على صحتى.

وظلت على صمتها فأضاف:

- بالمناسبة أنا مستعد أن أقلع عن التدخين نهائيًا ولكنى أحتاج إلى حافز ومكافأة.

وركز بصره على شفتيها بطريقة وقحة ولم ترد أيضًا فاستدار ليجلس على المقعد المجاور لمقعدها وقال:

- ماذا؟ هل هذا خصام؟

وظل فمها مُطبقًا ووجهها معلّقًا بالشاشة أمامها متجاهلة لوجوده بجوارها ولكل كلامه واستفزه صمتها كثيرًا فأمسك ذراعيها ليديرها ناحيته بقوة، وقال بانفعال ونبرة غيرة حارقة فى صوته:

- ماذا هل يعجبك إلى هذه الدرجة؟ ألِأنَّ عيونه زرقاء ويُنْزِلُ خصلاتٍ من شعره على جبينه؟ إن كان ذلك فسوف ألبس لك أنا أيضًا لنسز (lenses) ملوّنة كى ترضى عنا ونعجب نحن أيضًا.

فأسرعت تخلص ذراعيها من قبضته ثم قالت وقد اكفهر وجهها:

- أنت.. أنت كيف تسمح لنفسك أن تقول لى هذا الكلام؟ ما معنى يعجبنى؟ ماذا ترانى أمامك؟ امرأة منحلة؟ داعرة لا هم لها سوى اجتذاب الرجال إليها؟

فقال عاصم محذرًا:

- لا تقولى على لسانى ما لم أقله.

فقالت بانفعال:

- لكن هذا ما تقصده بكلامك.. فما معنى أن تُعجَب امرأة متزوجة برجل غير زوجها إن لم تكن كذلك؟

فقال عاصم بإنفعالٍ أشد:

- ومادُمْتِ غير مُعجَبة به لماذا تضحكين معه؟ وأساسًا هو ثقيل الظل إلى أبعد حد.

فزفرت بضيق ثم قالت:

- على العكس إنه إنسان مهذب جدًا ولطيف ثم إنى لا أعتقد أنها جريمة أن أضحك على تعليق ظريف قاله ونحن نعمل.

فقال عاصم بغيظٍ أشد:

- ما شاء الله وماذا أيضًا؟ واضح أنه ملأ رأسك بتفاهته ثم إن هذا لم يعد مكانًا للعمل بل أصبح مكانًا للتسلية والقهقهة.

فقالت باستنكار:

- تسلية وملأ رأسى؟ راقب كلماتك التى نطقت بها.

فرد على الفور:

- وراقبى أنتِ تصرفاتك معه.

- أنا؟ أنا ماذا فعلت؟ أنا أتعامل معه مثل كل الزملاء فى العمل باحترام وفى حدود الأدب ولا أعرف إن كنت ترى غير ذلك ليتك تقول لى فى أى شئ أخطأت.

فقال بانفعال:

- أخطأتِ لمجرد جلوسك معه، والذى أراه وهو أيضًا يراه، أنك جميلة وكالبدر ليلة تمامه ولهذا يريد أن يجذبك إليه.

- يجذبنى إليه كيف؟ إنه يعرف أنى متزوجة.

- وهل تظنين أن زواجك من عدمه يُحْدِثُ فارقًا مع من هم على شاكلته؟ ألم أقل لك أنك ساذجة وبلهاء.

- أنا لست بلهاء.. الرجل حتى هذه اللحظة لم يتجاوز حدوده معى وحتى لو حدث أنا أعرف كيف أوقفه عند حده.

وسكتت لحظة ثم أكملت:

- ثم أنا لا أفهم ما سبب انفعالك بهذا الشكل العنيف؟ حتى لو أن افتراضك صحيح، و هو ليس كذلك، فهل أنت زوجى لتنزعج هكذا؟

فرد على الفور:

- بل أنا أكثر..

ثم استدرك وقد شعر بالحرج:

- أقصد أنى رئيسك فى العمل ورئيس للباشا أيضًا.

- لا ليس الأمر كذلك .. أنت تغار.

لا تدرى من أين واتها الشجاعة لتُفْحِمَهُ بهذا القول.

والأغرب أنه رد بتلقائية وبدون تفكير:

- طبعًا أغار، وأغار جدًا جدًا ألست واقعًا فى حبك؟!

"ألست واقعًا فى حبك" عندما سمعتها أوشك قلبها أن يخرج من بين ضلوعها.. يا الله الكلمة التى انتظرتها كل هذه السنوات وما ظنته أبدًا سينطقها.. أخيرًا.. أخيرًا قالها.. وترقرقت فى عينيها دموع الفرح ولكن.. قاتل الله الشيطان إن زلّة لسانها هى التى جعلته يقولها.. يقولها فى غير أوانها.. إنها الآن متزوجة ولا يحق لها أن تسمع هذه الكلمة من رجلٍ غير زوجها، ودعت الله ألا يرى عاصم الدموع التى ترقرقت فى عينيها وألا يكون قد سمع دقات قلبها الذى يرقص بجنون من شدة الفرح وأسرعت ترسم التجهم على وجهها، لقد أضحت فى ورطة شديدة فماذا هى فاعلة الآن؟ ألم يكن فى نيتها من أول يوم لها فى هذا العمل أن تتركه فورًا إذا رأت ما يريبها؟ وما عاد فى الأمر ريبة.. فقد قالها صريحة.. وسواء كان صادقًا أو كاذبًا، فالنتيجة واحدة...

أما هو فقد شعر بالرعب عندما رأى التجهم الذى كسا ملامح وجهها وخشى من ردة فعلها، وكأنه قرأ ما يدور فى خاطرها، فأسرع يقول بتوجس:

- لا تقولى أنك ستتركين العمل!

ورغمًا عنها قفزت من عينيها الدموع وقالت فى أسى:

- كى أُريح وأستريح.

فقال بصوتٍ واجف:

- لن أرتاح عمرى كله لو ابتعدتِ عنى هذه المرة.

Obeikan.com

وسكت لحظة ثم استجمع شتات نفسه وقال بحزم:

- كونى واثقة أنى لن أقبل استقالتك..

ثم أكمل بلهجة لينة:

- أنا أعرف أنى قلت كلامًا كثيرًا ليس له معنى ولكن لا تحاسبينى فى لحظة أكون فيها غاضبًا ولا تنسى أنك أنتِ أيضًا زدتى غضبى بالبراءة المتناهية التى تتحدثين بها عنه.

فقالت ساخرة:

- وماذا أفعل فى نفسى؟ وأنا بلهاء حمقاء ساذجة ولا أفهم شيئًا.

فأشار إليها بكف يده أن تتوقف وهو يقول:

- لن نتشاجر من جديد.. وانسى كل الكلام الذى قلته لك.

ثم أكمل محذرًا:

- فيما عدا طبعًا أن سليم لن يعمل معك فى هذا الملف مرة أخرى.

وابتسم وأكمل:

- أرجوكِ وبعد إذنك وإذا سمحتِ.

فابتسمت رُغمًا عنها وتنفس هو الصعداء، عندما رأى ابتسامتها، ثم انصرف كلًا منهما إلى عمله، ولكن خديجة لم تستطع، حتى نهاية الدوام، أن تركّز فى شئ فقد كان قلبها لا يزال يخفق وهى تستعيد كلماته " واقع فى حبك " مرارًا وتكرارًا كأعذب لحن سمعته فى حياتها وبين الفينة والفينة تختلس النظر إليه وهو جالس خلف مكتبه يعمل وفى أعمق أعماقها تشعر بالزهو لأن هذا البهى الرائع قالها لها، فقيمة الكلمة ليست فقط فى

معناها، وإنما أيضا تكتسب أهميتها من قيمة وأهمية من ينطق بها، إنه عندما قالها لها شعرت أنها أجمل نساء العالمين.. الرجل الذى تتهافت عليه النساء يخصها بالكلمة الغالية العزيزة النفيسة "أحبك".. ما أعذبها.. ما أجملها.. ما أحلاها ...

وعندما حان موعد انصرافها ناداها فازداد اضطراب قلبها ووقفت بين يديه واجفة وابتسم هو ثم قال فى وداعة:

- أنتِ لست غاضبة منى؟

فقالت صادقة:

- لا أجرؤ ولا أستطيع معاليك.

وأخذ يتأملها دقيقة كأنه يحاول أن يقرأ ما يجول بخُلْدِهَا.. كم هى جميلة ! لا يُصَدِّقُ أنه كاد أن يفقدها مرة أخرى.

وقال أخيرًا بارتياح:

- الحمد لله.. تفضلى الآن بالإنصراف صَحِبَتْكِ السلامة.

- وأنت معاليك .

وأولته ظهرها وهى تهم بالإنصراف لكنه أسرع يناديها فالتفتت إليه ثانية، فوقف ونظر فى عينيها مباشرة وقال:

- هل تعرفين أنى أنا الأبله والأحمق لأنى لم أتزوجك عندما كنا نعمل معًا من عشر سنوات؟

فعلا الإضطراب وجهها وأسرعت بالإنصراف من أمامه.

obeikan.com

ولم يكن يومًا سهلًا على ثلاثتهم.. سليم اعتبر ما حدث إهانة شديدة له مثل نقله من حجرته الواسعة المستقلة الفخمة فى الوزارة ونقله إلى مكتب حقير فى حجرة مشتركة مع آخرين... منذ علم بنبأ تولى عاصم للوزارة توقع أن التعامل معه لن يكون سلسًا وهو لا يعرف عاصم معرفة شخصية وثيقة.. إنه يعرف عنه شذرات فقد لعب معه مرة أو مرتين فى النادى، حيث لم تكن الرياضة من اهتمامات عاصم بعكس سليم الذى أثبت تفوقًا بها، والتقى به أيضا أثناء تحضيره لرسالة الدكتوراه فى الجامعة ببريطانيا حيث كان سليم قد حصل على الدكتوراه وقرر العودة للعمل بمصر، وكان التعليم الأجنبى والدكتوراه من الخارج بالإضافة – طبعًا – لإسم والده ونفوذه هم جواز سفره ليعمل فى المكان الذى يختاره، وهكذا عمل فى الوزارة وترقى فى المناصب سريعًا – ورغم أقدميته وكفاءته وسمعته التى لا غبار عليها لم يتقلد الوزارة ربما لهذه الأسباب، الكفاءة والسمعة الطيبة، وربما لأن والدته إنجليزية كما يشاع، ولإن سليم لم يكن مهتمًا بلعبة السياسة وتوازناتها فلم يأبه كثيرًا لاستبعاده من المنصب الأهم رغم تعاقب من لا يصلحون عليه، خاصة وأن كل الوزراء السابقين لعاصم كانوا يقدّرونه ويضعونه فى المكانة التى يستحقها، أما على مستوى حياته الشخصية فربما أن ظروف حياته وتنقله بين مصر وإنجلترا لم تساعده على الإستقرار وإنشاء أسرة – واستَمْرَأَ هو حياة العزوبية واكتفى بالعشيقات فى إنجلترا ومصر وقد ساعدته وسامته ووجاهته الإجتماعية وثراؤه على ذلك.

وحتى توَلِى عاصم للوزارة كان يعيش حياة هادئة وناجحة بدون صراعات لكن على ما يبدو أن أيام الراحة قد ولت – فهو يعرف أن عاصم لا يحبه ولا يستلطفه وكان ذلك واضحًا فى تعاملاته معه أيام كانا معًا فى انجلترا وهو لا يعرف سببًا وجيهًا لهذا الود المفقود بينهما، وعندما قام عاصم بأول إجراء لإزعاج سليم وهو نقله من مكتبه الفخيم إلى الحجرة التى يشترك فيها مع السكرتير الخاص والمتحدثة الإعلامية، فسر سليم هذا الأمر

على أن عاصم أراد أن يؤكد أن الكل يعملون تحت إمرته وأنه لابد يخشى من نفوذ سليم فأراد أن يُخْضِعه لسلطانه، وها هو اليوم يفتعل قصة جديدة يظهر فيها سيطرته وهيمنته على الجميع، وقد وصل لسليم أن عاصم يريد إبعاده عن الملف لا عن خديجة.. والواقع أن سليم كان يتعمد مساعدة خديجة فى دراسة الملف لعلمه بأهميته ولإن إنجازًا كهذا لا يجب أن يتحقق دون أن يكون له دور فيه، لكن عاصم يريد أن يُلغى سليم بالتدريج، وسليم كان واعيًا لذلك ولم يكن ينوى التسليم بسهولة وقفزت خديجة إلى ذهنه من جديد، وكان عاصم محقًا فقد لفت جمالها انتباه سليم وفعلًا كان يستمتع بمحادثتها والجلوس معها، ولكنه لم يكن يرمى لأبعد من ذلك، لأنه – وبخبرته القديمة فى صيد النساء – كان يعرف أن خديجة بتركيبتها تلك لن تقع فى شبكته يومًا، ولم يكن قد عرف بعد أين تكمن نقطة ضعفها، وبعد ما حدث اليوم أصبح لا يرى خديجة الأنثى الجميلة بل يرى الملف واهتمامه بها سيكون كى يكسبها إلى صفه ضد عاصم، وكان هذا صعبًا لإنه من البداهة مادام عاصم هو الذى أتى بها فلابد أن يكون ولاؤها له – أى عاصم – على أن هذا لن يَفُتّ فى عضد سليم وسيحاول التقرب منها ما استطاع إلى ذلك سبيلًا واستغلالها، من حيث لا تدرى، لتحقيق مآربه فى حربه ضد عاصم.. وقد كان حدسه الذى لم يكن يستند على شئ ملموس صائبًا ففى مُقْبِلِ الأيام سيَثْبت أن خديجة كانت ورقته الرابحة ضد عاصم، ولكنها أيضًا.. كانت ورقته الأخيرة!

عاصم أيضًا كان يومه صعبًا وكانت أصعب لحظة مرّت عليه هى اللحظة التى تجهم فيها وجه خديجة معتزمة الرحيل تمامًا مثلما كانت أسعد لحظة هى التى ابتسمت فيها من جديد معلنةً استمرارها معه.. هو حقًا عندما يغضب يندفع فى كلامه لدرجة التجريح، وهو يعرف هذا العيب فيه، لكنه لم يفلح فى الإصلاح من نفسه فى هذا الشأن أبدًا وإن كان قد

انتوى أن يحاول كبح جماح غضبه فى وجود خديجة بالذات كى لا يفقدها.. وكانت خديجة محقة عندما أعلنت له أن الغيرة هى سبب ثورته.. إنه حقًا يغار.. يغار لإنها خديجة ولإنه سليم.. يغار على خديجة وقد تذكر ذلك الشاب الذى طلبها للزواج، إبان عملهما معًا فى مكتبه من عشر سنوات، ويغار من سليم لإنه يراه منافسًا قويًا له وليس من الآن، بل منذ كانا معًا فى بطولات النادى ثم الدكتوراه والتى كانت بالمصادفة من نفس الجامعة وفى نفس الموضوع الأمر الذى دعى الأساتذة المشرفين على رسالة عاصم يطلبون منه أن يطلع على رسالة الدكتوراه الخاصة بسليم والتى كانت موجودة بمكتبة الجامعة وأن يتحاور معه بشأن بعض النقاط الأساسية المشتركة فى رسالتيهما، وكان هذا بالنسبة لعاصم أمرٌ سخيف وثقيل على نفسه لكنه كان مضطرًا بناءًا على نصيحة أساتذته أن يفعله.. وبعدها لم يحاول التواصل معه بأى شكل إلى أن اجتمعا فى الوزارة من جديد، وقبل أن يذهب عاصم للوزارة ويتسلم مهام منصبه كانت المعلومات لديه تشى بحجم وقيمة سليم فى الوزارة مما يعنى أنه لابد من أن تكون بينهما منافسة وصراع، ولما كان عاصم لا يرتاح نهائيًا لسليم فلم يفكر كمن سبقه من وزراء فى كسب سليم إلى صفه بل قرر نفيه واستبعاده من الوزارة بالتدريج.. وها هو سليم بتقربه من خديجة يضيف سببًا جديدًا ليناصبه عاصم العداء وهو يعلم أن سليم يستمتع بالجلوس معها من ناحية ومن ناحية أخرى يريد أن يضع بصمته على أهم ملفات الوزارة بمعنى (بيزنس أند بليشر) يعمل ويستمتع فى نفس الوقت (business and pleasure) لكن عاصم لن يسمح له بذلك.

خديجة أيضًا قضت ليلتها بين تأنيب الضمير والخوف.. بين إحساسها بالذنب لأنها استعذبت كلمات الحب والغيرة منه، وبين خشيتها من الإستمرار فى العمل معه ووقوعها فى أسره من جديد.. إنها ورغم تصريحه لها ليست متأكدة من أنه فعلًا يحبها ولقد قبلت الإستمرار فى العمل معه

على الرغم من جرأته ووقاحته أحيانًا لإنها، وبحكم سنوات العمل السابقة صادفت كثيرين على شاكلته.. رؤساء وزملاء يتحرشون بأشكال مختلفة وبدرجات متفاوتة بالمرؤوسات والزميلات بدءًا من النظرات الوقحة وإبداء الإعجاب بما ترتديه الزميلة أو المرؤوسة سواء أكان ثوبًا أم حذاءًا أو حتى تسريحة الشعر أو غطاء الرأس مرورًا بالإقتراب الشديد ومحاولة التلامس الجسدى، وفى بعض الأحيان وبتشجيع من الطرف الآخر قد يصل الأمر إلى طلب جنسى صريح سواء أكان زواجًا – غالبًا عرفى – أو بدون زواج.. وقليلون هم الذين صادفتهم وكانوا يتعاملون مع الزميلة كنِدّ وليس كأنثى ويحترمونها، ومهما كانت السيدة أو الفتاة جادة فى مظهرها جافة فى تعاملها مع زملائها الرجال فلابد أن تكون قد صادفت فى عملها على الأقل واحد من ذوى النفوس المريضة فى وقت من الأوقات، وهكذا أوجدت خديجة لنفسها مبررًا لاستمرارها فى العمل مع عاصم رغم تجاوزه اليوم معها، أما سليم فقد راجعت تصرفاته معها وفعلًا لم تجد ما يريبها بل إنها تراه يعاملها بكل احترام وود وفى إطار الزمالة التى تجمعهما لم يجاوز حدوده كما يدّعى عاصم.. كان يومًا تاريخيًا بالنسبة لها أن تسمع من عاصم هذه الكلمة أخيرًا ولكنها – أى الكلمة – جاءت فى غير موعدها وعاد ضميرها يُلحّ فى تأنيبها، وقررت كى تريح ضميرها، أن تطلب من عاصم نقلها إلى مكان آخر فور إنجازها للملف الذى بين يديها الآن – وليته يوافق! وليتها، أيضًا، استمعت إلى تحذيره لها وصدقته وتجنبت التعامل مع سليم نهائيًا.. ولكن من منا يفر من أقداره؟ !

obeikan.com

obeikan.com

الجَمَالْ

هى جميلة جمال لا تخطئه عين شديدة الأناقة وربما أن جسدها الريان الذى يشبه أجساد جميلات السينما ومطربات الإغراء هو الذى يعطى الأناقة والرونق لأى ثوب ترتديه، على الرغم من كونها أم، الأمومة التى تعنى الخصوبة ومنتهى الأنوثة تعتبر ميزة إضافية تضاف إلى كل المزايا الأخرى التى اجتمعت فى هذه المرأة الفاتنة.. ومن الطبيعى جدًا أن يقع فى غرامها من لحظة أن وقعت عينه عليها ولكن حبه لها يشبه حب المراهقين لبطلات السينما ونجمات الطرب أو حب الشاعر للقمر، حالة من الإنبهار والإنجذاب من طرف واحد فقط، طرف العاشق، هو هكذا يعشقها ولا ينتظر منها حتى أن تشعر به أو تنظر إليه فهو بالنسبة لها لا شئ ويكفيه أن يكون فى مدارها قريبًا منها قانعًا بدور الخادم الأمين.

"رمضان ألن تلعب معنا؟ " كان هذا عبد الله ابن طارق وعالية وأجابه رمضان مبتسمًا :

- سألعب طبعًا لكن هل استأذنتم والديكم أولًا؟

فأجاب عبد الرحمن، الطفل الأوسط:

- طبعًا نحن انتهينا من الهوم ورك (home work) وقلنا لهما أننا سنلعب نصف ساعة فقط ثم نصعد إلى الشقة .

فقال رمضان بحماس:

- حسنًا هيا بنا إذن.

***

كانت عالية تداوم فى الصيدلية فى الفترة الصباحية حتى الثالثة بعد الظهر تقريبًا، وفى بداية عملها كانت تشعر بالحماس ولكن بعد ذلك أصبح العمل روتينيًا رتيبًا ولم يحقق لها الإشباع الذى كانت تتصوره رغم أنه ملأ

وقتها وأيضا كانت تحصل على راتب جيد وتدخره كله تقريبًا إذ كان طارق يرفض رفضًا باتًا أن تساهم بأى شىء فى مصروف البيت أو طلبات الأولاد أو حتى طلباتها هى نفسها وكان يقول لها دائمًا: " أنا الرجل وأنا المسئول عن هذا البيت.. ونقودك احتفظى بها لنفسك.. أنا لم أقترح نزولك للعمل كى تساهمى معى فى مصروف البيت وإذا وجدت منى تقصيرًا فى أى شىء أخبرينى وغير ذلك لا تفتحى معى هذا الموضوع مرة أخرى".

وكانت تفخر بما يقوله زوجها ويكبر فى عينيها فأى رجل الآن ممن تعرفهم وتعرف زوجاتهم لا يترك زوجته تعمل دون أن تساهم بجزء من راتبها فى مصروف البيت ونفقات الأولاد.. " وهل سيتركنى أعمل لله وللوطن؟ طبعًا لابد أن يستفيد أضعف الإيمان أتحمل نفقات كسوتى من حقائب وأحذية وملابس ولا يمنع أن أحضر للأولاد لعبة.. فانوس رمضان.. طقم جديد للعيد حتى لو كان هو قد اشترى لهم أليست زيادة الخير خيرين؟ وكله فى النهاية للأولاد ".. كانت هذه هى الكلمات التى أسرّت بها لها إحدى زميلاتها فى مصر وهى تشكو من إرغام زوجها لها على الإستمرار فى العمل رغم أنها – أى زميلتها – تريد أن ترتاح وتجلس فى البيت مكتفية بمراعاة شئونه والأولاد.. ولهذا ولأسباب أخرى كانت عالية ترى زوجها مثاليًا من نواحٍ عدة ولولا زواجه السِرّى هذا ما نغص صفو علاقتهما شىء، وعلى أية حال فقد عاد إليها أشد حبًا وولهًا وهى وإن كانت قد آلمتها طعنة الغدر ونزيف كرامتها وقتها، إلا أنها، وبعد كل ما فعله ويفعله ليكفر عن غلطته تلك، وقبل ذلك من أجل أولادها الثلاثة، سامحته وتحمد الله على حالها الآن.

- صبّحك الله بالخير يا دكتورة.

وابتسمت عالية فى وجهه.. إنه كفيلها وصاحب الشركة التى يعمل بها زوجها حاليًا وشريك مع قريب له فى هذه الصيدلية التى تعمل هى بها أيضًا، وكان طارق زوجها قد دعاه إلى الغداء فى بيتهم إبان عمل عالية فى

الصيدلية، كنوع من الشكر والإمتنان المستتر، فإيجاد عمل فى دول الخليج براتب مغرٍ ومزايا عديدة كبدل السكن وتذاكر الطيران للأسرة.. وخلافه لم يعد متاحًا بسهولة كما كان فى السابق فى السبعينات والثمانينات من القرن الماضى – القرن العشرين – ويومها – عندما أتى فى موعده – جلست عالية معهم على المائدة أثناء تناول الطعام ثم بعد ذلك كانت تذهب وتجىء إذ رأت من غير اللائق أن تجالس صديق زوجها وهو لم يُحْضر زوجته معه، وقد أثنى الرجل على طعامها وعلى ضيافة زوجها وكرمه وخرج مسرورًا من عندهما.. وقد أخبرها زوجها فيما بعد أن (عبد الله) هذا من الرجال المرموقين فى هذا البلد فهو الإبن الأكبر لشيخ قبيلة كبيرة ترتبط مع الأسرة الحاكمة بصلة نسب، ووالده أيضًا يمتلك عددًا من الإستثمارات الضخمة المهمة والناجحة ولقد أرسل عبد الله ليدرس بالخارج ولقد أثبت عبد الله تفوقًا وحصل على الماجستير، بينما أقرانه فى بلده يكتفون بالثانوية العامة المحلية ويسافرون لأوروبا وأمريكا فى رحلات ترفيهية لا لطلب العلم، وكان عبد الله فى أوائل الثلاثينات ومتزوج من ابنة عمه وله منها ثلاثة أطفال ويدير قسطًا كبيرًا من مشروعات والده بحكم دراسته للإقتصاد والتجارة ومن واقع كونه الإبن الأكبر.

وتأملته عالية لم يكن هذه المرة يرتدى زيهم الوطنى الجلباب و(الغطرة) و(العقال) بل كان يرتدى قميص قطنى بلا أزرار (T-shirt) وسروال من قماش الجينز ونظارة شمس فخمة ماركة ديور خلعها عند دخوله الصيدلية وقالت له مبتسمة:

- ألم يأتِ دواء الحموضة الذى اعطيته لحضرتك بالأمس بالنتيجة المرجوة؟

فابتسم عبد الله وقال:

obeikan.com

- بل كان ممتازًا وارتحت عليه فورًا.

- الحمد لله هذا يعنى أنى لست صيدلانية خائبة.

- معاذ الله كيف خائبة؟ أنت ما شاء الله عليكِ فائقة فى كل شئ.

وسكت لحظة يتأملها، ثم أردف:

- سأسافر لندن مساءًا اليوم.. ألا تريدين أن أحضر لك شيئًا من هناك؟

- لو كانت مكة كنت سأطلب منك أن تدعو لنا أمام الكعبة.. إنما لندن ماذا سأحتاج منها؟ إذهب فى رعاية الرحمن.

- فكرى فى شىء لك أو حتى للباشمهندس أو الأولاد.

- والله لا نريد غير سلامتك.

- أراك على خير إذن.. لا إله إلا الله كما تقولون فى مصر.

ومد يده يصافحها فى ود وقالت وهى تمد يدها:

- محمد رسول الله.

وفى المساء وأثناء تناولها للطعام مع زوجها حكت له عن زيارة عبد الله.

فقال طارق بلا اكتراث:

- آه نعم لقد حكى لى عندما رأيته فى الشركة بعدها قال أنه كان مارًا بجوار الصيدلية فقرر أن ينزل لمصافحتك وتوديعك قبل سفره ولعلمك عاد يسألنى أنا أيضًا إن كنا نريد شيئًا من هناك.

- بصراحة هو خلوق جدًا جدًا ومتواضع أعنى نحن نعمل لديه.

- هذه هى ميزة أهل البلد هنا يحسنون معاملة الأجانب الذين يعملون معهم أيًا كانت جنسيتهم.

- فعلًا هناك دول أخرى فى الخليج يعاملون المصريين والشوام كأنهم خدم عندهم أما الهنود وأبناء شرق آسيا فيعاملونهم معاملة الحيوانات أستغفر الله العظيم وكلمتهم الأشهر أنتم تعملون لدينا بأموالنا وكأنهم يمنون علينا بإعطائنا أجرنا على تعبنا.. إنهم لا يقدرون أننا نبنى لهم بلدهم ونعلم أبناءهم ونعالج مرضاهم.. وأكثر ما يضايقنى أنهم يعاملون الأمريكان والإنجليز كأهل البلد وربما أفضل بينما (الأشقاء) العرب، تاريخيًا وجغرافيًا ودينيًا، لا يحبونهم ولا يثقون فيهم ولا يقدّرونهم مع أنهم الأولى بالمعاملة المُمَيّزة.. لكن ماذا نقول مخلفات الإستعمار وعقدة الخواجة.

فرد طارق بشرود:

- جائز.

كان مهمومًا يفكر.. إن المرأة التى كان متزوجًا بها أو "غلطة عمره" كما يسميها تطارده وتلح عليه فى العودة إليها فى السر ودون أن يعرف أحد لإنها "مجنونة بحبه" وهذا بالضبط هو التعبير الذى كرّرته على أسماعه أكثر من مرة.. فهى لا تطيق حياتها بدونه ولا تتصور فى حياتها رجلًا غيره و.. و.. و.. كلام كثير لم يُفلح فى استمالته إليها مرة أخرى، ولقد أعلن لها أن زوجته وحدها فى قلبه ولن يكون لامرأة سواها مكان فى حياته وأن زواجه منها كان غلطة أو نزوة يندم عليها وكانت بسبب الإحتياج الجنسى نتيجة بُعد زوجته عنه ولكنه الآن وزوجته تبيت فى أحضانه كل ليلة لم يعد لديه أى سبب أو أدنى رغبة فى أن يرفع عينه ليبصر امرأة غيرها ولو من باب التسلية وهو يحب زوجته حبًا جمًا وعاهد نفسه أن يُخلص لها ما بقى فى

عمره، وجُن جنون المرأة الأخرى عندما سمعت كلامه هذا وأخذت تتوعد وتهدد ولوَّحت له بأنها قد تشرع فى زيارة لزوجته تحكى لها فيها عن أيامهما معًا وكيف وماذا ومتى وتفاصيل كثيرة ستقلب زوجته ضده، وها هو الآن يستقبل تهديداتها متوجسًا الشر من ناحيتها ولا يعرف هل يسايرها لتهدأ ثورتها ويخضع لها بالقول ثم بعد ذلك يماطل فى التنفيذ أم الأفضل أن يكون صلبًا من البداية فى مواجهتها ويسدّ فى وجهها كل أمل علّها تيأس وتدرك أنه لا فائدة وأنه لا يمكن أن يعود إليها أبدًا.. كم يلوم نفسه على غبائه وحماقته إذ فكر فى الزواج الثانى وتورط مع امرأة لا يُكِنُّ لها أيّة مشاعر.. فقط تزوجها لإرضاء شهوته ولم يحسب وقتها حسابًا لمشاعر عالية معتقدًا أنها لن تعرف وأما المرأة الأخرى – وفاء – فلم يظن أيضًا أنها ستتعلق به إلى هذا الحد.. لم تكن حِسْبَتَهُ منضبطة مع الأسف وها هى المتاعب تطارده وأفاق على صوت عالية تقول:

- أين ذهبت بخيالك يا باشمهندس؟ نحن هنا.

ونظر إليها طارق مليًا لابد أن يصارحها، ومال عليها قائلًا بصوت هامس:

- سنتكلم فى موضوع مهم ولكن بعد أن ينام الأولاد.

وبعد أن نام الأولاد الثلاثة جلست إلى جواره فوق السرير، وقالت بتوجس:

- خيرًا أقلقتنى.. ما الموضوع؟

فقال طارق مترددًا وهو يتحاشى النظر إليها:

- لم أكن أحب أبدًا أن أفتح هذا الموضوع مرة أخرى خصوصًا بعد أن سامحتينى وبدأ قلبك يصفولى من جديد.

وفهمت عالية وأخذت نفسًا عميقًا ثم قالت بتجلد:

- هات ما عندك.

وبدأ يسرد لها تفاصيل ملاحقات وفاء وتهديداتها وخصوصًا التهديد الأخير الأمر الذى اضطره أن يحكى لها الآن – أى عالية – كل التفاصيل لتكون على حذر.

وقالت عالية بشك:

- ومن أين عرفت عنوان بيتك الجديد أو الصيدلية أو أنا شخصيًا من أين تعرفنى؟

- أنا لا أعرف من أين أتت بهذه المعلومات لكنها أطلعتنى على صورة لك موضوعة على هاتفها الجوال وأنا عندما فكرت قلت فى نفسى من الجائز جدًا أن مثل ما أخبرك أولاد الحلال أنى تزوجت عليك قاموا بإعلامها هى أيضًا عنوان البيت الجديد والصيدلية وخصوصًا وبيننا أصدقاء مشتركون أو من الممكن أنها كانت تراقبنى من مكان العمل.. أية طريقة الخلاصة أنها عرفت.

وأطرقت عالية قليلًا تفكر ستفترض أنه صادق فيما يدَّعِيهِ وأن الأخرى تطارده دون أى تشجيع منه فماذا تفعل كى لا تسرق منها زوجها مرة أخرى؟

وأخيرًا قالت:

- مع من تسكن هنا؟

- تسكن فى غرفة فى شقة مشتركة ولها صديقة مغربية أيضًا تسكن معها فى نفس الغرفة.

- تعنى أنها ليس لها أهل هنا كل أهلها فى المغرب؟

obeikan.com

- تقريبًا بحسب ما أذكر.

- أتعنى أنه ليس لها كبير هنا نستطيع أن نتحدث إليه لينصحها ويبعدها عنك؟

فقال طارق بحيرة:

- لا أعرف حتى صاحبتها اشتكيت لها فجلست معها لتنصحها وتقنعها أنى أحبك ومستحيل أن أعود إليها وأنها ما عاد لها أى مكان فى حياتى ولكنها لم تسمع من صديقتها وها هى لازالت تلاحقنى فى كل مكان

- ربما أنها دميمة وأخيرًا وجدت من يرضى أن يتزوجها رغم دمامتها .

قالتها بمزيج من الغيرة والحذر.

ورد طارق بتلقائية:

- على العكس إنها جميلة وتشبه الق...

ثم انتبه إلى خطئه، حذارِ أن تمدح امرأة أمام غريمتها، ولم يكمل الكلمة واستدرك قائلًا بحذر:

- طبعًا هى ليست أجمل منك يا حبيبتى لكن ردًا على أنه لم يكن هناك من يرضى بالزواج منها قد كانت مخطوبة قبل ذلك لشاب من بلدها لكنها هى التى فكت الخطبة.

- لماذا؟ لأنك كنت تشاغلها وقتها وشجعتها على الإنفصال عنه؟

فقال مدافعًا:

- أبدًا والله.. أنا وقت أن تعرفت عليها كانت يداها خاليتين من خواتم الخطبة أو الزواج... أما قصة الخطبة هذه فقد عرفتها بعد ذلك.

فقالت عالية مؤنبة:

- لكن أتذكر أن يدك أنت كان فيها.. أم أنك نسيت خاتم الزواج فى الحمام على الحوض حيث كنت تتوضأ؟

قالت الجملة الأخيرة بسخرية.

وقال هو بخزى:

- أخطأت.. أعرف أنى أخطأت لكن من غير المعقول أن أدفع بقية عمرى ثمنًا لهذا الخطأ.

وكانت السماء تؤمّن على جملته الأخيرة " أدفع بقية عمرى ثمنًا لهذا الخطأ "

أما عالية فشعرت بالإشفاق عليه وقد بدأت تصدق أنه نادمٌ فعلًا ولكن هل الندم وحده يكفى لتستعيد ثقتها به؟ ستحاول أن تساعده وتساعد نفسها ووجدت نفسها تقول:

- أنا من ناحيتى لو جاءت إلىَّ كما تتخيل لن أسمعها وسأصدها بعنف ولكن غير ذلك ما الذى يمكن أن تضغط عليك به من أجل أن تعود إليها؟

- لا شىء طبعًا.

فقالت بشك:

- ولا حتى بحبك لها؟

- أقسم لك أنى ما أحببتها ولو كنت أحبها لماذا كنت سأطلقها فورًا دون أدنى تردد؟

obeikan.com

ثم احتضن يدى عالية وأدناهما من فمه فقبلهما ثم نظر فى عينيها مباشرة وقال بصوتٍ عميق:

- ما أحببت ولن أحب غيرك ما حييت.

ثم أنزل يديها برفق وتركهما ثم أدار وجهه الناحية الأخرى وقال نادمًا:

- قد كانت نزوة.. مجرد نزوة لكنها للأسف ليست قادرة على أن تفهم ذلك.

فقالت عالية ساخرة:

- مسكينة واضح أنك مثلت عليها دور الحبيّب بإتقان مما جعلها لا تستطيع أن تصدق أنك ما أحببتها يومًا.

وسكتت تتأمله كانت ملامحه تشى بما يموج فى أعماقه وحاولت هى أن تتخلى عن دور الجلاّد وقالت برفق:

- عمومًا أكيد هى مع الوقت ستمل مطاردتك وتيأس منك.

- يارب اسمع منها.. يارب تيأس منى وتنزعنى من رأسها أنا لا تنقصنى المشاكل.

كان الحديث برمته ثقيلًا على نفس عالية، وهى حقًا لا تدرى ماذا ستفعل إذا ظهرت هذه المرأة أمامها فجأة كما هددت زوجها، وباتت عالية ليلتها وغُصَّةً فى قلبها وهى تشعر أن أشياء سيئة سوف تحدث الأيام القادمة.

ومرت الأيام وفى كل يوم تدخل فتاة أو سيدة شابة إلى الصيدلية حيث تعمل تتأهب عالية وتتحفز متوقعة أن تكون إحداهن هى غريمتها، وبقدر توجسها من هذا اللقاء إلا أن الفضول كان يقتلها لترى تلك المرأة التى شاركتها زوجها فى وقتٍ من الأوقات.. كانت تريد أن تعرف هل هى جميلة؟ هل هى شابة؟ هل هى من مستوى راقٍ علميًا واجتماعيًا.. إنها لم تسأل

زوجها عنها أى سؤال.. لم تعرف كيف وأين ومتى التقاها وتزوجها وما هى الصفة التى اقتحمت بها حياة رجل تعرف أن له زوجة وأولاد؟ ولماذا اختارها ولماذا اختارته؟ أحقًا أحبته أم أنها شأن كثيرات فى نفس ظروفها يبحثن عن السند والأنس فى الغربة متمثلًا فى رجل.. أى رجل حتى لو كان متزوجًا وله أولاد وحياة حافلة وفى مثل هذه الظروف ستكون دائمًا فى الظل - كزوجة ثانية – وترضى بذلك أو تحاول الإستئثار به بعد ذلك؟! وماذا عن زوجها؟ عن طارق؟ أحقًا لم يحبها؟ أحقًا كانت بالنسبة له وعاءًا يفرغ شهوته فيه وحسب؟ ثم لماذا يجب أن تصدقه عندما قال لها أن المرأة تطارده؟ أليس من المحتمل أنه هو الذى حنّ إليها ويريد استرجاعها دون أن يُظهر ذلك بل ويدعى العكس؟ أليس من المحتمل أنه هو الذى اختلق قصة المطاردة وهو الذى أوعز إلى الأخرى بأن تذهب إلى عالية وتقصّ عليها أخبارًا كاذبة فقط كى ترقق قلب عالية وتجعلها تتنازل.. تتنازل عن ماذا؟ لا.. إن عالية هذه المرة لن تتنازل عن حقها فى زوجها ووالد أبنائها ولن تقبل منه أن يطعنها فى أنوثتها من جديد أو يستغل طيبتها وتسامحها فليس له الآن أى عذر فى أن يضعف أمام هذه المرأة أو غيرها.

ومر شهران دون أن يَجِدّ جديد فلم تلتق هذه المرأة كما كانت تتوقع وتنتظر، وحل موعد الإجازة السنوية وتنفست الصعداء فقد أوحشتها مصر كثيرًا.. اشتاقت لبلدها وأهلها وكذلك كان أبناؤها اشتاقوا لأقاربهم الصغار، أما طارق فقد كان أسعدهم بهذه الإجازة لأنه ابتعد عن ضجيج المرأة الأخرى وتهديداتها وإغراءاتها، وظن أنه عندما تنقضى الإجازة ويعود إلى الدولة الخليجية ستكون هى – وفاء – قد يئست وسلّمت بأنه لن يعود إليها أبدًا.. وكم جانَبه الصواب فى ظنه هذا.. جانَبه تمامًا.

على أن الإجازة لم تمر راكدةً بلا أحداث فقد فاجأهم عبد الله – كفيله الخليجى – بالزيارة فى بيتهم فى القاهرة وقال أنه سيمكث بالقاهرة عدة أيام قبل عودته إلى بلده، ولم ينس أن يحضر لهم هدايا نفيسة من لندن، لطارق وعالية والأولاد، ولإن الكرم الحاتمى فى زمننا هذا لابد أن يكون له سبب فقد اتضح أن عبد الله جاء بفكرة مشروع تجارى جديد ويرغب فى أن يتولى طارق إدارته ولقد أعطاه مُهلة ليفكر ويقرر وأخبره أنه سينتظر رده عند انتهاء إجازتهما السنوية – طارق وعالية – فإما أن يعود طارق إلى العمل القديم أو يقبل عرضه ويوافق على إدارة المشروع الجديد، وله كامل الحرية فى أن يختار.

وجلس طارق ليتدارس الموقف مع زوجته حيث قال والبشر ينضح من وجهه:

- ما رأيك يا حبيبتى فى الكلام الذى سمعتيه من عبدالله الخليجى؟

فقالت وقد ارتسمت سحابة من الهم على وجهها:

- واضح أنك متحمس جدًا للعرض الجديد.

- طبعًا وهل فى هذا كلام؟ العرض الجديد معناه نقود أكثر ومركز أكبر و..

فقاطعته منبهة:

- وغربة أطول أيضًا.

- أنت تريديننا ألا نستمر هناك؟ ولكن فى البداية كان معك حق لإننا لم نكن معًا أما الآن فقد الْتأم شملنا من جديد وأنتِ أيضًا تعملين هناك والأولاد فى مدارس ممتازة و...

- ونظل هناك إلى أن يصل الأولاد إلى مرحلة الجامعة وإما أن يعودوا وحدهم ويعيشوا مثلًا مع جدتهم لوكانت حية، مد الله فى عمرها، أو أعود أنا كى أقيم معهم وأنت تظل هناك إلى أن يحصل الأولاد على شهاداتهم الجامعية ثم تبحث لهم عن عمل معك فى الخليج أليس كذلك؟

وسكتت لحظة ثم أردفت:

- وهذا لن يكون اسمه سفر هذه ستكون هجرة.

- أولًا هذه ليست هجرة فنحن نعود إلى مصر كل سنة وثانيًا ليس خطأً أن يسعى المرء وراء رزقه وأكل عيشه ولو فى الصين، مع أنها ما عادت بعيدة الآن، ثم أى غربة التى تتكلمين عنها ونحن فى بلد عربى ومسلم مثلنا وقبل الإستعمار كنا كلنا دولة الخلافة الإسلامية.

وابتسمت عالية بسخرية وقالت:

- خلافة؟ يبدو أنك كنت تقرأ فى كتاب التاريخ الخاص بعبد الله.. الخلافة الآن هى الخلافة الأمريكية.. الواقع فى هذه البلاد أنه لو كان معاك باسبور أمريكى أو انجليزى تعامل كأهل البلد بل وأحيانًا أفضل منهم وكلمتك مسموعة من غير مناقشة ولا تفكير.. شركاتهم هى المسيطرة على السوق حتى ولو كان غيرهم أكفأ منهم.. مرتباتهم خيالية لا بسبب الإجتهاد وإنما بسبب الجنسية، أما الأشقاء العرب المسلمون فهم فى ذيل القائمة وأحيانًا خارج القائمة... الإخوة العرب هم الأدنى والأمريكان كما فى كل الدول التابعة هم الأعلى، وأنا فعلًا أحس بغربة هناك ولست مرتاحة.. نعم لى أصحاب ومعارف وأناس أحبهم لكنهم ليسوا أهلى.. نعم عندى عمل جيد براتب جيد ولم يهنى أو يضايقنى أحد لكن أيضًا هنا يمكن أن أجد عملًا بنقود أقل وفى ظروف ليست جيدة جدًا لكن فى بلدى.. أعرف أنك ستقول لى أنت رومانسية فى تفكيرك وبلدك التى تتمسكين بالعيش فيها هى نفسها

تلفظك ولا تريدك وأنك بعد ما بذلت الجهد والعرق فى الكلية طُفْتِ فى كل مكان حتى عثرتِ على عمل راتبه بالكاد يكفينا مأكل ومشرب فقط ولكن ونحن نريد لأولادنا مدارس محترمة يتعلمون فيها ونوفر لهم قدرًا من رفاهيات المعيشة سنحتاج إلى دخل أكبر وتذكرى بأنه لولا أموال الخليج ماكنا استطعنا امتلاك سيارة أو إدخال الأولاد مدارس لغات أو.. أو.. أو.. أعرف كل هذا وكنت أوافقك على أساس أنها عدة سنوات ندخر فيهم بعض المال ونُحَسِّنَ بهم دخلنا ثم نعود للإستقرار فى مصر لا أن نستقر فى الخليج.

فقال محاولًا تهدئتها:

- وهل دخلتِ فى عالم الغيب؟ أليس من الجائز ألا ينجح المشروع؟ أليس محتملًا أن يستغنوا عنى فى أى وقت؟.. ولو الأمور سارت كما نتمنى صدقينى أنا بمجرد أن أدخر مبلغًا معقولًا سأتركهم ونعود للإستقرار هنا فأنا مثلك لا أهوى الإغتراب.

- إنه كلام تقوله كى تقنعنى بالموافقة ولكن قلبى يقول لى أنك تريد الإقامة هناك، أطال الله بقائك، إلى أن يحين الأجل.

- حتى لو توفيت هناك لابد أن تعودى بى وتدفيننى هنا بجوار أبى وأمى .

وابتسم فى رفق فاحتضنته وقالت بفزع:

- أبعد الله عنك كل شر ومد فى عمرك وأنت بأتم الصحة والعافية.

وجاشت فى عينيها الدموع.

.. كانت عالية تعلم أنها فرصة كبيرة لا يرفضها عاقل، ولكن ألا يكفيها أن زوجها تزوج من أخرى وأن الأخرى لازالت تطارده، كما يدعى، وهذا وحده سبب وجيه لتكره فكرة السفر والإستمرار فى الغربة، ومع الوضع الجديد

Obeikan.com

فلابد أن غربتهما ستمتد لسنوات وسنوات بسبب بريق المال، الذى كلما زاد زاد طمع الإنسان فى المزيد منه، إنها مستعدة لأن تكافح مع زوجها هنا وتستغنى عن كل الرفاهيات فى سبيل أن تبقى وأولادها فى حضن مصر.. مصر برغم كل ما بها من مسالب ورغم أن العيش فيها مُضْنٍ للكادحين ورغم اختناقهم من التفاوت الطبقى الرهيب الذى صارت البلاد عليه ورغم.. ورغم.. ورغم، مع كل هذا تحبها وتحب العيش فيها ويهمها أن يتعلم أولادها فى مصر.. فى الجامعات المصرية التى وبرغم تدهور مستواها إلا أنها لازالت تراها الأعرق والأقوى علميًا من الجامعات فى الدول العربية الأخرى ولكن هل ستبقى فى الخليج إلى أن يصل أولادها إلى سن الجامعة.. إنها لا تشك أن هذا ما ينتويه طارق لو طاوعته.. لكنها لن تستسلم لنيات زوجها ولن تُضَيّعَ عمرها فى الغربة.. وأيضًا لن تستبق الأحداث ستعطى زوجها فرصة لِيُجَرّبَ العمل الجديد وعندما تشعر أنهما حققا مدخرات تكفيهم شر الفقر سَتُصَمّمُ على عودتهم جميعًا إلى مصر وليكن ما يكون، ونار مصر ولا جنة الخليج.

الشُهْرَة

obeikan.com

الحمد لله حققنا نجاحًا عظيمًا ثلاثة أشهر مرت دون أن يُوَجه لى سُبَاب فى صحف المعارضة.. إنجاز لم يحققه وزير من قبل.

قالها عاصم ساخرًا وهو يدلف إلى مكتبه بالوزارة، وضحكت أميرة وهمام، الذى سبق عاصم وفتح له باب الحجرة، ثم بعد أن دخل عاصم تبعه وأغلق الباب خلفه

وجلس عاصم خلف مكتبه وأسند مرفقيه على سطح المكتب وشبّك يديه ثم قال لهمام:

- حسنًا يا سيد همام هات ما عندك.

ووضع همام مجموعة من الأوراق أمام عاصم وقال:

- هذه معاليك الإيميلات المهمة التى..

قطع جملته إذ سمعا طرقًا على الباب ثم دخلت خديجة وأغلقت الباب خلفها وقبل أن تلقى التحية كان عاصم يهتف:

- خديجة أوحشتينا مضى أسبوع لم نرك فيه.

فابتسمت خديجة وقالت:

- صباح الخير معاليك.. صباح الخير يا همام.

فقال عاصم:

- بل صدقًا وحقًا ألا تعرفين أن الوزارة توفر الكهرباء عندما تكونين فيها لأنك تضيئين المكان الذى تصبحين فيه.

فقالت خديجة بخجل:

- معاليك تعلم أنى كنت أضئ فى وزارات أخرى أقصد أعمل فيها.

فقال عاصم باهتمام:

- وأنا أنتظر النتيجة.

- خيرًا إن شاء الله، هل معاليك تحب أن ترى ما أنجزته فى اليومين الفائتين؟

- ليس الآن أنا سأنتهى مع همام أولًا.. تفضلى أنتِ على مكتبك.

- كما تأمر معاليك.

واتجهت إلى مكتبها فى أقصى الحجرة وبدأت تعمل، بينما تابعها هو ببصره فى شغف إلى أن جلست ثم التفت إلى همام وقال:

- أكمل يا همام.

ولما فرغا من الأوراق أمامهما قال له:

- أحضر لى أميرة.

- تحت أمر معاليك.

وخرج وبعد دقائق كانت أميرة أمام عاصم حيث قال لها:

- ما كل هذه الأناقة؟ هل تنوين الظهور فى البرنامج الليلة بدلًا منى أم ماذا؟

فابتسمت أميرة فى جذل ثم قالت بلباقة:

- وما نكون نحن بجوار معاليك؟

opeikan.com

وسكتت لحظة ثم أكملت:

- وهذه فعلًا ليست مجاملة.

- مهم جدًا طبعًا أن المستشارة الإعلامية لا تجامل من أجل المصلحة العامة والخاصة وكل البطيخ الذى تصدع الفضائيات رؤوسنا به.

وضحك وضحكت أميرة ثم قالت بجدية:

- هذه أهم النقاط التى ينوون إثارتها فى الحوار وأنا وهمام جهزنا الأوراق والمستندات التى يمكن أن تحتاج إليها معاليك أثناء إثارة هذه النقاط.

ثم وضعت أمامه الأوراق وقال عاصم متنهدًا:

- برامج التوك شو(talk show) هذه تهدر وقتنا ولكننا للأسف مضطرون للظهور فيها حتى لا نتعرض لهجوم الصحافة والمعارضة وبالذات وهم يستخدمون العناوين البراقة.. الشفافية وحق المواطن فى معرفة سياسات الوزارة وفكر الحكومة والكلام الفارغ الذى يملأون به الورق ويشغلون به وقت الناس.

- وماذا نفعل معاليك؟ لقد أصبحت موضة عالمية حتى رئيس الولايات المتحدة يظهر فى برامج التوك شو لديهم.

- طبعًا وهل نحن نأخذ منهم غير القشور؟

- عمومًا معاليك ومنذ شهرين لم تُدْلِ بأية أحاديث صحفية أو تجرى لقاءًا فى أى برنامج فى التلفاز.

- تعنين أن الناس ستكون مشتاقة لى وعندما ترانى فى البرنامج لن تغلق التلفاز وتسب وتلعن قليلًا ثم تذهب لتنام؟

- كيف معاليك؟ مستحيل أن لا يشاهدوا معاليك.. فلمعاليك شعبية كبيرة فى الشارع والناس تحبك و.....

فقال عاصم مقاطعًا وساخرًا:

- وماذا؟ ألم نتفق أن المستشارة الإعلامية لا يجب أن تجامل؟ ومنذ متى كان للحكومة، أية حكومة، هنا فى مصر شعبية؟ بل إن الحكومة ذات الشعبية يتم تغييرها فورًا.

ثم التفت إلى خديجة وأكمل:

- أليس كذلك يا خديجة؟

كانت خديجة مستغرقة فى عملها لذلك انتفضت عندما سمعت اسمها وقالت بدهشة:

- هل معاليك تخاطبنى؟

فقال عاصم ساخرًا:

- ها هى خديجة هانم مثلًا من قلب الوزارة ولن تتابع البرنامج ستقول أخلد للنوم أفضل من الإستماع لثرثرة عاصم الفارغة .

فقالت خديجة باهتمام:

- أستمحيكما عذرًا عن ماذا تتحدثان؟ فقد كنت مستغرقة فى العمل ولم أسمع ما الموضوع.

- أرأيت يا أميرة ها هى من بدايتها تتظاهر بأنها لم تسمع حتى إذا أتى الغد وسألتها إذا كانت شاهدت البرنامج ستقول لك لم أكن أعرف أن معاليك

ستظهر على الشاشة، وأعتقد أنت أيضًا يا أميرة لولا أنه عملك لكنت اخترت السهر أمام فيلم أجنبى بدلًا من هذا الملل.

- أبدًا معاليك.. أنا أهوى هذه النوعية من البرامج بالإضافة إلى أن معاليك وزير له كاريزما وخفيف الظل فلابد أن تشد اهتمام كل الناس لمشاهدة معاليك.

، ففهمت خديجة أخيرًا وقالت:

- إذن معاليك سيستضيفوك الليلة فى التلفاز؟

- أخيرًا وصلتِ؟.. نعم سيدتى وهناك أمر وزارى لسعادتك بوجوب مشاهدتى فمن غير المعقول ألا يشاهد الوزير أهل مكتبه.

ثم التفت إلى أميرة وأكمل آمرًا:

- أميرة أخبريها على الموبايل عندما يبدأ البرنامج هى وهمام وسليم وبالذات سليم مفهوم؟

- كما تأمر معاليك.

- حسنًا يا خديجة عودى الآن إلى صومعتك ريثما أنتهى من عملى مع أميرة.

وعادت خديجة لانهماكها فى العمل فلم تنتبه إلا وعاصم يقول لأميرة:

- شكرًا يا أميرة أنتِ وهمام قمتما فعلًا بعملٍ ممتاز.. تفضلى الآن إلى مكتبك.

- بإذن معاليك.

وانصرفت أميرة مغلقة الباب خلفها، فنهض عاصم من خلف مكتبه واتجه إلى خديجة بشوقٍ وقال عندما وقف إلى جوارها:

- ما الأخبار؟

- تفضل معاليك بالجلوس حتى ترى إلى أين وصلت.

فانحنى عاصم قليلًا وهمس فى أذنها:

- أنا تركتك إلى النهاية كى أُحَلّى بالجلسة معك.. فكم أوحشتنى.

وبدا أنها لم تسمعه إذ كانت عيناها متسمرتين على شاشة الكمبيوتر ويداها على لوحة الكتابة وقالت بلا اكتراث:

- هل معاليك تقول شيئًا؟

فتنحنح وقال: ها.. أبدًا

ثم اعتدل من جديد واقفًا وأكمل:

- قبل أن نبدأ كنت أريد أخذ رأيك فى موضوعٍ مهم.

واتجه إلى مكتبه حيث فتح حقيبته الجلدية وأخرج منها ثلاثة أربطة عنق عاد بهن إليها ووضعهن أمامها وقال:

- اختارى لى واحدة ألبسها فى البرنامج الليلة.

ولوهلة أُخذت خديجة بالمفاجأة فما توقعت أن يأخذ رأيها فى أمرٍ كهذا فهو بالأساس يمتلك حِسًا عاليًا بالأناقة ولا يحتاج لاستشارة أحد، وحتى لو أراد أن يستشير، لكان الأولى أن يستشير زوجته أو أميرة باعتبارها المستشارة الإعلامية والمسئولة عن تصريحاته وصورته أمام الجمهور بمعنى ما، وبقيت خديجة صامتة وهى تتأمل الأربطة الثلاثة.

وقال عاصم وهو يرقبها بحذر:

- ما بِكِ؟ يبدو أن الثلاثة لا يعجبونك.

فردت خديجة على الفور:

- بالعكس الثلاثة أحلى من بعض ولكن أنا فقط أتعجب.

- من ماذا؟ ألأنى أسألك رأيك؟

- بالضبط.. أقصد معاليك لديك أميرة والمدام أيضًا.

- رأيك أنت أهم عندى.. لأنى أريد أن أكون حُلْوًا فى عينيك.

واهتز قلبها طربًا لما تعنيه كلماته لكنها تماسكت وزمّت شفتيها متظاهرة بعدم الرضا.

فأسرع عاصم يقول:

- أقصد أن أكون حلوًا فى عينيك كمواطنة عادية وأنت تمثلين المواطنات اللائى سيروننى على الشاشة وتعرفين أن الصورة والمظهر أصبح عليهما عامل مهم جدًا فى النجاح.

- معاليك تصبح حلوًا فى عيونهم عندما تحل المشاكل فى الوزارة والفساد يقل والناس تستطيع أن تلتقط أنفاسها قليلًا من سُعَارِ الأسعار وازدحام المواصلات ومصاريف المدارس أما رابطة عنق الوزير من سيأبه لكونها على الموضة أم لا؟

فابتسم عاصم وقال:

- رويدك يا صوت الشعب الكادح أنت تعرفين أنى كنت أمزح.

فقالت متراجعة:

- أنا آسفة يبدو أني انفعلت قليلًا.

فقال عاصم ببساطة:

- وأنا لن أقبل أسفك إلا إذا اخترت لى رابطة العنق.

وانفرجت أساريرها ثم أخذت تنظر لربطات العنق الثلاث بتركيز وبعد دقيقتين انتقت إحداهن وقدمتها له قائلة:

- أعتقد هذه ستكون حلوة على معاليك رغم أنى لا أعرف أساسًا ما لون الجاكت والقميص الذين سترتديها فوقهما.

- أنا أصنع العكس الآن اخترنا رابطة العنق ثم سنختار القميص والبزة الذين يناسبانها.

وسكت قليلًا يتأملها ثم قال بخبث:

- وبالمناسبة أية بزة ارتديتها فى السابق وأعجبتك؟

فردت على الفور:

- كلهن يُذْهِبْنَ العقل عندما ترتدى إحداهن معاليك.

وسرعان ما شعرت بالخجل والندم وتلوّن وجهها بألف لون ثم أردفت بارتباك:

- أقصد أن القالب غالب كما يقول إخواننا اللبنانيون.

ثم أسرعت تخبئ وجهها فى شاشة الكمبيوتر أمامها، وانتفخت أوداجه لهذا الإطراء منها، وعلى الأقل عرف أنها معجبة به والإعجاب قد يكون

obeikan.com

خطوة، أما هى فكانت تؤنب نفسها لأنها ترى أنها خرقت تقاليد تربت عليها واقتنعت بها وهو أنه لا يجوز لامرأة أو فتاة، محترمة، أن تُطْرِى رجلًا أجنبيًا عنها ولا تدرى كيف زلّ لسانها وتجرأت لتقول له هذا الكلام الذى يدخل فى إطار الغزل، وودت لو اختفت من أمامه فى هذه اللحظة إلى أن ينسى ما قالته ونظر هو إلى وجهها المتلوّن وفهم أنها شعرت بالحرج مما أفصحت به قبل قليل، وإن خجلها هذا مما يزيدها جمالًا فى عينيه وقرر ألا يعذبها أكثر من ذلك فقال بلهجة مغايرة وهو ينظر إلى شاشة الكمبيوتر:

- أرينى نتائج جولاتك المكوكية فى الوزارات اليومين الفائتين إلى أين وصلتِ.

وجلس على المقعد المجاور لها يعملان.

انتهى اليوم سريعًا، وفى المساء اتصلت بها أميرة عندما بدأ البرنامج وكانت خديجة جالسة فعلًا أمام التلفاز بجوار زوجها الذى كان يتابع فيلمًا عربيًا وتنحنحت خديجة ثم قالت متظاهرة بعدم الإكتراث:

- إنها أميرة تذكرنى بموعد البرنامج الذى يظهر فيه وزيرنا.

فقال زوجها بدهشة:

- الوزير الذى تعملين معه؟ أديرى المحطة بسرعة إذن ولنرى ماذا سيقول.

فقالت خديجة بتردد:

- ولكنك تشاهد الفليم.

- إنه فيلم ممل ورأيته قبل ذلك مرات عديدة وأساسًا أساسًا أنا كنت ذاهبًا لأنام أرينا ماذا سيقول سيادة الوزير.

وتناولت خديجة جهاز التحكم عن بعد وحوّلت القناة ورأته أمامها وخفق قلبها للحظة عندما رأته يرتدى فعلًا رابطة العنق التى اختارتها له.. كم يبدو أنيقًا وسيمًا متألقًا.

وقال زوجها:

- بما أنك ترينه فى الحقيقة كل يوم هل هو وسيم هكذا كما يبدو على الشاشة الآن أم أن هذا ماكياج ورتوش من التى نسمع عنها توضع لهم ليكون شكلهم حلوًا أمام الكاميرا.

وكادت خديجة أن تقول: " بل هو أجمل فى الحقيقة من ذلك ". لكنها ابتلعت تلك الكلمات وقالت بدلًا من ذلك:

- لا أعتقد أنه يضع ماكياجًا إنه كذلك فى الحقيقة ثم إنه وزير وليس ممثل أو مطرب، الماكياج لا يتناسب مع وقار الوزارة.

- أي وقار؟ نحن فى عصر الصورة ألا ترين كل السياسيين فى أمريكا وأوروبا فى أية حملة انتخابية يكون معهم ستايليست وماكيير وجيش من المستشارين يقولون له كيف يقف وكيف يضحك وكيف يضبط نبرات صوته وهو يقول كل جملة كأنه سيغنى .. الفضائيات جعلت كل الناس ستارز(stars) مثل نجوم السينما وربما أكثر.

- لكننا لسنا فى أمريكا وأنا أعرف أنه ليس لديه ماكيير أو ستايليست.. ليس لديه غير أميرة وهى نفسها منصب مُسْتَحْدَثْ.

- حسنًا سيدتى ازهى بمعلوماتك فقد أصبحت من المهمين وتعرفين الوزير شخصيًا أما نحن عامة الشعب لا نراهم إلا فى الصور المنشورة فى الجرائد فقط.

وضحك وهى أيضًا ثم أكمل:

- غدًا سيستضيفوك أنت أيضًا فى البرامج وتصبحين ستار (star) ولن يستطيع أحد الحديث معك.

فقالت ساخرة:

- طبعًا.. طبعًا وهل لديك شك؟

فضمها إلى صدره وقبّلها ثم قال:

- أنا أراك نجمة ستار (star) من أول لحظة وقعت عينى عليك فيها.

فاحتضنت يده بيديها بقوة وقالت هامسة:

- يا حبيبى.

وشعر بفوران الرغبة فى عروقه فجأة فقال:

- هل تظنين هذا الوزير ابن الذوات سيقول شيئًا مهمًا عن مشاكل البلد؟ أنا أعتقد أن خلودنا للنوم أفضل.

وغمز لها بعينيه وفهمت هى على الفور وأُسْقِطَ فى يدها وقالت بتردد:

- ولكن أليس لديك عمل فى الصباح الباكر؟

فقال بخيبة أمل:

- يظهر أنه ليس لديك رغبة.

- لا ليس كذلك إنما..

فوقف وقال بلا اكتراث:

- حسنًا اجلسى أنت فى صحبة وزيرك وأنا سأدخل لأنام تصبحين على خير.

فأسرعت تطفئ جهاز التلفاز ثم لحقت به قائلة:

- أنا قادمة معك.

فأضاء وجهه وابتسم فى زهو.

فى اليوم التالى، وبعد أن انفرد عاصم بخديجة فى حجرة مكتبه اتجه إلى حيث كانت تجلس وقال مزهوًا:

- أنت الوحيدة التى لم تخبرنى برأيها فى البرنامج الذى ظهرت فيه بالأمس وأنا لم أسألك وفضلت أن أنتظر حتى نصبح وحدنا.. أخبرينى هل أعجبتك؟

- معاليك كنت أكثر من رائع طبعًا.

فانتفخت أوداجه وقال منتشيًا:

- وما أكثر جزء أعجبك؟

- كله.. كله.. رابطة العنق والبزة والقميص كانوا فى غاية الإنسجام والأناقة.

- هذا بفضل ذوقك العالى فى الإختيار ولكن دعينا نتكلم بجدية ما رأيك فى الكلام الذى قلته بالأمس فى البرنامج؟

- معاليك بصراحة أنا ما رأيته قلت رأيى فيه.

فقال باستنكار:

- وهل أنت لم تشاهدى غير رابطة العنق والبزة؟ هل التلفاز فى بيتكم عندك صورة فقط من غير صوت؟

فازدردت لعابها وقد شعرت بالغضب فى صوته وقالت:

- بالطبع لا.. معاليك الفكرة أنى فتحت البرنامج ورأيت المذيعة وهى تقدم معاليك للمشاهدين فلما أشرقت معاليك على الشاشة واطمأننت على أناقة البزة ورابطة العنق أطفأت الجهاز وذهبت لأنام.

وكاد عاصم أن يضحك ولكنه تماسك وقال مُظْهِرًا الإستياء:

- وهل يصح أن تطمئنى على البزة ولا تطمئنى على صاحبها؟ ثم أنى لم أكن أعرف أنى ممل جدًا لدرجة أنك لم تستطيعى تحمل مشاهدتى على الشاشة لأكثر من دقيقتين ثم أطفأت الجهاز.

فاندفعت خديجة تقول ببراءة:

- ليس هذا ما حدث معاليك.. فى الواقع أنا كنت أنوى متابعة الحلقة إلى آخرها ولكن زوجى كان يريد أن ينام و...

- ولماذا لم تتركى له الغرفة لينام وذهبت للمشاهدة فى غرفة الجلوس أو الريسبشن (reception)؟

- ولكننا كنا فعلًا فى غرفة الجلوس وقد انتوى أن يشاهد معى الحلقة ثم فجأة برزت فى رأسه فكرة أخرى ولم أستطع أن أغضبه.

وفهم عاصم على الفور فغلت الدماء فى عروقه وشعر بنيران الغيرة تنهش قلبه

وقال بغيظ:

- طبعًا لا تستطيعين إغضابه أما أنا فغضبى لا يهم.

فقالت مدافعة:

- ولكن هذا حقه الشرعى يطلبه فى أى وقت وعلىَّ أن أطيعه.

- وأنا ألست رئيسك فى العمل وطاعتى أيضًا واجبة وعندما أقول لك تابعى البرنامج يجب أن تتابعيه؟

- فى الواقع معاليك..

- فى الواقع معالىَّ فلأذهب إلى الجحيم لا يهم.

- أبعد الله عنك كل شر معاليك.. أنا أقصد أن أميرة أكيد سجلت الحلقة وسوف أطلب منها نسخة وأشاهدها.

- وعندما تبدأين فى المشاهدة تحلين فى عين زوجك ثانية.. لا تتعبى نفسك كفانا ما حدث.

وسكت قليلًا ثم أكمل حانقًا:

- وأحمد الله أنى لم أقم بعمل مُداخلة معك على الهاتف عندما فتحت المذيعة حكاية الملف الذى تعملين عليه الآن.. من المؤكد أنك كنت لن تجيبى وأنتِ فى الفراش...

قال الجملة الأخيرة بحقد وهو يتصورها فى أحضان زوجها، والتقطت من كلامه جملة لتغير بها الموضوع قائلة:

- بمناسبة الملف كنت أستأذن معاليك فى أنى أريد أن أطلب من دكتور سليم...

وكأنها سكبت مزيدًا من البنزين على النار عندما نطقت اسم سليم فقال هائجًا مقاطعًا:

- ما هذا اليوم الأغبر زوجك وسليم؟

فقالت بإرتباك:

- معاليك أنا كنت أريد أن أستوضح من دكتور سليم عن..

فقاطعها قائلًا بنفاد صبر:

- أنا سأستوضح لك منه.. قولى ما الذى تريدين أن تسأليه فيه وأنا سأحضره وأسأله لك.

- ومعاليك لماذا تضيع وقتك معنا؟ من الممكن...

- مقاطعًا بحزم:

- لا ليس ممكنًا.. تفضلى قولى لى أو اكتبى ما الذى تريدين أن تسأليه فيه وأنا سآخذ لك الداتا (data) والإنفورميشن (information) منه .

فتنهدت وقالت باستسلام:

- كما ترى معاليك.

وقضى عاصم بقية اليوم متعكر المزاج رغم أنه فى بداية اليوم كان سعيدًا لإنه فى لقاء الأمس على الشاشة استطاع أن يجيب على أسئلة المذيعة كلها تقريبًا ببراعة وثبات وثقة. وتلقى اتصالًا من رئيس الوزراء ومن بعض القيادات الهامة – بعد انتهاء الحلقة – يهنئونه على نجاحه فى إخراج صورة جيدة عن الحكومة. كما أن الاتصالات التى تلقاها أثناء الحلقة من الجمهور بعضها راضٍ عن آدائه وبعضها ينقد نقدًا بناءًا وأقلها هجوم

obeikan.com

ونقد غير مهذب، وكاد أن يتم انتصاراته على الصعيد العاطفى بأن يسمع ثناء خديجة على حديثه الشيق وصورته الأنيقة لكنها خيبت أمله، وظنه أنه بدأ يجذبها إليه من جديد كان خاطئًا.. إنها حتى لم تهتم بمشاهدته بصفته رئيسها فى العمل وفضلت قضاء الوقت مع الرجل الآخر – زوجها – إن نيران الغيرة تأكل قلبه ولا يدرى كيف يتخلص من هذا الرجل الذى يبدو عقبة كئود تقف أمام طمعه فى خديجة.

أما خديجة فقد كانت تشعر بالإرتياح لإنها لم تشاهد الحلقة فرؤية عاصم على الشاشة تفتنها كالمراهقة التى ترى مطربها المفضل على الشاشة فيدق قلبها بشدة وتسيطر عليها حالة من الوجد والهيام، وقطعًا لم تكن لتركز فى أية كلمة نطق بها فى الحلقة، فمن الخير لها إذن أنها قضت الليلة فى أحضان زوجها راجية رضاه والثواب من ربها على أن تقضى الليلة تحصد الذنوب وهى تحملق فى وجه عاصم على الشاشة بوله، وهى المأمورة بغض البصر، كما أنها كانت تعى تمامًا أن تقرب عاصم منها ولينه فى حديثه معها يَنْكِآنِ جِراحًا قديمة فى قلبها ويوقظان الفتنة النائمة.. قاتل الله الشيطان، إنها زوجة وأم......

دائما تذكر نفسها بذلك !

***

واجتهدت خديجة فى إنجاز عملها وكانت تدرك أهمية إنجازها هذا لعاصم ولها وأيضًا للمصلحة العامة، وانغماسها فى عملها ذاك خفف كثيرًا من مشاعر الخوف والترقب التى كانت تحسها كلما استملحت عبارة أو ملاحظة أو حتى نظرة من عاصم إليها أثناء العمل.

ومن جانبه أيضًا كانت المسئوليات تثقل على عاصم وهموم المنصب تزداد يومًا بعد يوم، فلم تعد خديجة محورًا لاهتمامه وكف عن اقتناص

الفرص لجذبها إليه، على أنه لم ييأس منها، إنما فقط أرجأ فكرة ملاحقتها إلى حين أن تخف مشاغله قليلًا ويحقق نجاحًا ذائعًا فى منصبه ذاك.

***

وأخيرًا أشرق وجه خديجة عندما انتهت من عملها فى الملف، ولأول مرة، منذ مقدمها إلى هذا المكتب، تنتظر وصول عاصم على أحر من الجمر، لتبلغه بهذا الخبر السعيد.

وهو لم يأتِ إلى مكتبه فى الصباح الباكر، كالمعتاد، لإنه كان لديه، فى ذلك اليوم، زيارات عمل ميدانية، فلما جاء أخيرًا تهلل وجه خديجة فرحًا، وتبع عاصم إلى داخل حجرته كلًا من أميرة وهمام وسليم الذى كان أول من ألقى التحية على خديجة قائلًا:

- كيف حالك يا خديجة؟

ومد يده مصافحًا فصافحته قائلة:

- أهلًا يا دكتور.

وكان الإرهاق باديًا على وجه عاصم لكنه عندما رأى خديجة شعر بأن جزءًا كبيرًا من إحساسه بالإرهاق والتعب قد زال لاسيما وقد رأى أساريرها المنبسطة ونظرة الحماس والفرحة فى عينيها فأدرك أنها لابد قد انتهت من الملف.

وقال همام:

- كم أنت محظوظة يا خديجة بالجلوس هنا فى التكييف فالطقس اليوم نار جهنم والشمس ظلت تحرق فى رؤوسنا ووجوهنا طيلة الوقت الذى استغرقناه فى زيارة المواقع.

فقالت أميرة:

- ولكن الحمد لله استطعنا أن ننجز عملًا جيدًا.

فقال عاصم:

- بصراحة أميرة أعطت الصحفيين والمصورين تصريحات قوية وأنتَ أيضًا يا سليم قمت بعملٍ ممتاز شكرًا جزيلًا لتعبكم يا جماعة تفضلوا الآن على مكاتبكم ومن فضلك يا همام اجعلهم يُحْضِرُونَ لى فنجان قهوة.

فقال همام:

- تحت أمر معاليك.

وانصرفت أميرة يتبعها سليم ثم همام الذى أغلق الباب خلفه، وبمجرد انصرافهم اتجه عاصم نحو خديجة وقال بترقب:

- هل.. حصل؟

فاتسعت ابتسامة خديجة وقالت بفرحة:

- حصل ووصل وتفضل معاليك بعد أن تنتهى من القراءة تقرر متى سنرتب اجتماع مع وزير الثقافة ووزير البترول ووزير الزراعة ووزير الإسكان ووزير النقل كى نضع أمامهم البرنامج التنفيذى وبالأرقام وكل واحد يبدى رأيه وملاحظاته الفينال (final) وبعدها يبدأوا العمل على أرض الواقع.

ودّ عاصم لحظتها لو أخذها بين أحضانه تعبيرًا عن فرحته بما أنجزته على أنه تناول يديها فجأة فقبّلهما بحرارة وقال بحماس:

- اتضح أنك قوية جدًا يا خديجة سلمت لى يداك التى كتبت وعيناك التى قرأت وعقلك الذى فكر سلمتِ لى كلك.

وسارعت خديجة تسحب يدها فى خجل وسمعا طرقًا على الباب.

وقال عاصم: أدخل.

ودخل الساعى حاملًا صينية القهوة فوضعها حيث أشار إليه عاصم فوق مكتب خديجة، ثم انصرف مغلقًا الباب خلفه، وما أن انصرف حتى قال عاصم بلهفة:

- هيا أرينى العمل الذى أنجزتيه بسرعة.

وتناول رشفة من فنجان قهوته وهو يجلس ثم وضع الفنجان على المكتب، وقال معتذرًا:

- أعرف أنى سأضايقك ولكن اعذرينى فأنا أحتاج أن أشرب سيجارة الآن حالًا .

فقالت خديجة بأدب:

- آه طبعًا معاليك تفضل.

وأشعل سيجارته ثم بدأ يستمع إليها ويراجعا معًا ما أنجزته، وحقًا هو لم يتوقع منها أن تقوم على إنجاز هذا العمل وإخراجه بهذه البراعة والدقة وقد كان الملف من الملفات الميتة لقدمه وتعقيداته، وها هو يلتفت أخيرًا إلى ذكائها واجتهادها فى عملها وهو ما لم يلحظه من قبل – أيام كانت تعمل فى مكتبه – إبان تخرجها من الجامعة فوقتها وحتى أجل قريب لم يكن يرى فيها سوى أنثى جميلة ولم يلفته فيها غير جاذبية ملامح وجهها

وجسدها، واليوم فقط اكتشف أنها مثلما تمتلك جسدًا جميلًا تمتلك أيضًا عقلًا جميلًا.

وقال لها:

- أنت طبعًا تعرفين أن لك مكافأة كبيرة بعد أن ينتهى الإجتماع ويُصَدِّقُ الوزراء على البرنامج التنفيذى.

فقالت بتردد:

- وهل يمكن أن أطلب أنا مكافأتي؟

- أعرف.. ستطلبين طبعًا إجازة وأنا سأمنحك أسبوعًا راضية؟

- أسبوع؟ وماذا أصنع به؟ مادام الأولاد فى المدرسة ووالدهم فى عمله لن أستطيع الخروج أو التنزه فمن غير المعقول أن أخرج وحدى.

فقال بخبث:

- حسنًا آخذ إجازة أنا أيضًا وأقوم بالتنزه معك فى كل مكان تحبينه هذا إذا رضيتِ بمرافقتى طبعًا.

- معاليك أنا لا أريد إجازات أنا أطلب شيئًا آخر

- طبعًا توجد مكافأة مالية.

- ولا هذا أيضًا، إنما أنا أريد شيئًا آخر بعد إذن معاليك.

- حيرتنى.. ما تريدين إذن؟

فاستجمعت شجاعتها وقالت:

- بصراحة أنا أتمنى أن يكون لى مكتب مستقل عن حجرة معاليك.

Obeikan.com

- من غير أن تقولى شيئًا أنا أيضًا لا تعجبنى أماكن مكاتبك أنتِ وسليم ومن نفسى كنت أنوى تغييرها.

فأشرق وجه خديجة وقالت بحماس:

- فعلًا معاليك؟ أنا أشكرك كثيرًا.. كثيرًا.

فرمقها عاصم بغيظ وقال:

- ولماذا فرحت إلى هذا الحد؟ أإلى هذه الدرجة جلستك معى فى حجرة واحدة ثقيلة على قلبك؟

فردت بتلقائية:

- بصراحة نعم.

ثم أسرعت تستدرك:

- أعنى.. أعنى ليست جلستى مع معاليك فى حد ذاتها وهل أنا أطال هذا الشرف العظيم؟ إنما المشكلة أنى أحيانًا أكون محرجة عندما تكون معاليك تستقبل أحدًا من خارج الوزارة وأحيانًا أكون مشتتة وأفقد قدرتى على التركيز فى العمل الموضوع أمامى عندما...

فقال مقاطعًا:

- انتهينا وفِّرِى كلامك.. أنا قلت لك أنى فعلًا فكرت وقررت.

وسكت قليلًا ثم وكأنه تذكر قال بحيرة:

- ولكن لا أعرف متى يمكن أن نعقد هذا الإجتماع، المفروض أنى سأسافر فى وفد مع رئيس الوزراء فى نهاية الأسبوع كى نحضر مؤتمر الصناعة والطاقة فى ألمانيا.

obeikan.com

- لا توجد مشكلة معاليك أن يتأخر الملف أسبوعًا ريثما تعود سالمًا من ألمانيا فالملف هنا مدفون من سنين ولن يضيره أن يتأخر أسبوعًا أخر.

- فعلًا معك حق، ولكنى أرى أن تأخذى إجازة كل الأسبوع الذى سأسافر فيه .. فليس فى رأسى الآن شئٌ محدد أعطيه لك لتعملى فيه أثناء سفرى وبالتالى سيكون مجيئك كل يوم إلى المكتب بلا فائدة، إلا إذا كنت مصرة على المجىء.

وسكت لحظة ثم برقت عيناه وقال بحماس:

- ما رأيك أن تسافرى معى بدلًا من سليم؟

فقالت خديجة بسرعة:

- أنا لا أصلح معاليك.. فدكتور سليم من الناحية المهنية خبرة وكفاءة ولغة ومظهر و...

فقاطعها قائلًا بنبرة غيرة واضحة:

- رويدك رويدك.. كل هذا سليم؟ لا ينقصك إلا أن تقولى فيه شعرًا.

- معاليك أنا أتكلم بحيادية ولأجل الصالح العام ولست أقصد مدحًا فى شخصه ومن ناحية أخرى أنا لا أستطيع أن أسافر وأترك أولادى معاليك فأنت تعرف أنهما صغيران ويحتاجان من يعتنى بهما.

- والدهما موجود اتركيه يعتنى هو بهما.

- هو لن يعرف ولن يستطيع.

- عمومًا أنا لن أتجادل معك الآن لأن سليم أعد نفسه للسفر معى فعلاً ولكن بعد ذلك سيكون هناك كلام آخر.

كان يريد أن يقول "بعد ذلك لن يكون هناك سليم" ولكنه سكت ,ثم نظر إليها بهيام وقال بلطف:

- أهم شيء الآن ما الذى تريدينى أن أُحْضِرَهُ لكِ معى من هناك؟

- لا أريد غير أن تعود معاليك إلينا سالمًا وليوفق الله الوفد المصرى هناك ويقوم بعمل شوبنج (shopping) جيد.

وضحك عاصم، كان كلاهما يعلم أن حضور هذه المؤتمرات لا يعود على مصر بأية فائدة فقط تدفع من الميزانية المتهالكة تكاليف باهظة ليستمتع أهل الحظوة بالسياحة والإستجمام فى البلاد المترفة بينما يطالبون الشعب البائس بالتقشف ومزيد من التقشف كأنهم لا يبصرون، واستدركت خديجة بسرعة:

- أقصد يقوموا بعملٍ جيد.

- لا تخشى شيئًا سنقوم بالإثنين.. ولكنك لم تخبرينى ماذا أُحْضِرُ لكِ من هناك؟ ففى كل الأحوال أنتِ لك هدية ولو لم تطلبى تَحَمَّلِى ما سوف أحضره لك على ذوقى.

- أرجوك معاليك لا تتعب نفسك هديتى ولا أريد غيرها أن ترجع إلينا سالمًا.

فنظر إليها بخبث وقال:

- هل ستشتاقين إلى؟

فابتسمت فى خجل ولم تجب وأخذ هو يتأملها فى وله.. متى ستطفئ غُلَّتَهُ ويحوزها بين ذراعيه؟

وخرق الصمت أخيرًا فتنحنح ثم قال محذرًا:

- أهم شيء أن لا يعرف أحد أنك انتهيت من الملف وبالذات سليم.

فقالت بإستسلام:

- كما تأمر معاليك.

***

سافر عاصم ورغم ازدحام جدول أعماله فى المؤتمر إلا أنه لم يستطع أن ينس خديجة، وأثناء قيامه بالتسوق وقع بصره على قميص نوم أعجبه كثيرًا ولا يدرى لماذا تخيل خديجة بالذات وهى ترتديه فاشتراه، رغم علمه أنه لن يتسنى له أن يقدمه إليها كهدية فالصفة الرسمية بينهما قطعًا لا تسمح بأن يهديها قميص نوم فاضح ومثير إلى هذا الحد والأهم انه لن يعطيها قميصًا ترتديه لغيره إنه يريد أن يراها فيه هو وحده.

وعندما عاد إلى أرض الوطن، وبينما سلمى تفرغ حقيبته وقع بصرها على قميص النوم فتناولته وأخذت تقلب فيه ثم قالت بإعجاب:

- الله يا حبيبى ذوقك رائع.

فنظر عاصم إليها بفزع وأسرع بتناول القميص من يدها وقال بارتباك:

- أحقًا يا حبيبتى أعجبك؟ فأنا أحضرته لمرمر.

فقالت سلمى بتعجب:

- ولكن أليس هذا مقاسه كبير على مرمر أختك؟

وسكتت لحظة ثم استدركت:

- ثم أساسًا أين ستعطيه لها وهى فى أمريكا الآن؟

- عندما تنزل فى إجازة طبعًا ما المشكلة؟ سأحفظه لها إلى أن تأتى وأعطيه لها.

وأسرع يدسه فى خزانة ملابسه ثم عاد إليها واستدرك بعتاب:

- ولكن ألم تعجبك كل الهدايا التى أحضرتها لك؟ ألم يعجبك غير قميص مرمر؟

فابتسمت سلمى وقالت بلطف:

- بل أعجبونى جميعهم يا حبيبى فأنت صاحب ذوق مدهش.

ثم طبعت على شفتيه قبلة حارة.. كانت مشتاقة له بشدة وتمنت لو ينام معها الآن وهمست فى وجد:

- أحبك.

فقال عاصم باسمًا:

- وأنا أيضًا.

ثم ابتعد عنها وقال:

- هل أعددتم الحمام؟ أنا فى عجلة من أمرى.

فهتفت سلمى بدهشة:

- لماذا هل تنوى الخروج الآن؟

فقال بحماس:

- نعم سأذهب إلى مكتبى فى الوزارة هناك بعض الأمور أود رؤيتها.. أقصد متابعتها.

Obeikan.com

فقالت سلمى بإشفاق:

- وهل هذه الأمور لا يمكن أن تنتظر حتى تستريح قليلًا؟ أنت قادم من سَفْرَةٍ طويلة.

فربت على كتفها وقال:

- سأحاول يا حبيبتى أن لا أتأخر.. مهام قليلة سأنظر فيها سريعًا وأعود إليكِ على الفور.

ثم غمز لها بعينيه وأكمل:

- المهم أن تُعِدِّى نفسك ريثما أعود فقد أوحشتِنى كثيرًا.

ومال يلثم شفتيها بسرعة ورقة.

وذهب إلى مكتبه مُتشوِّقًا، لا للعمل بالطبع، إنما لخديجة، فقد أوحشته كثيرًا الأيام التى قضاها فى المؤتمر، رُغم قِصَرِهَا، لكن خاب أمله إذ لم يجدها فى انتظاره كما تمنى وسأل عنها همام فقال:

- مسكينة يا معالى الوزير من ثلاثة أيام فقط فوجئوا بزوجها وقع على الأرض فى العمل ومنذ تلك الساعة المشئومة وهو فى العناية المركزة وحتى الآن لم يعرفوا ماذا أصابه وخديجة تلازمه من وقتها طبعًا وبالمناسبة معاليك لقد اتصلت اليوم فى الصباح الباكر كى تستأذن من معاليك لتمد لها الإجازة.. فهى لم تكن تعرف طائرة معاليك ما موعدها و..

فقاطعه عاصم بحزن:

- حسنًا يا همام فهمت طبعًا سنمدّ لها الإجازة مادامت ظروفها سيئة هكذا.. كان الله فى عونها.

وسكت لحظة ثم أكمل:

- خبرك هذا أحزننى يا همام.. هل ذهبتم إلى المستشفى لزيارة زوجها أم ليس بعد؟

- فى الحقيقة معاليك تعرف العناية المركزة لا يُسْمَحُ فيها بزيارات.. وأحيانًا قليلة كانوا يسمحون بنصف ساعة فى اليوم كله إنما فى حالة زوجها الزيارة ممنوعة نهائيًا وقد ذهبت أنا وأميرة بالأمس لمدة عشر دقائق ووقفنا معها خارج غرفة العناية ولم نشاهد زوجها طبعًا واضطررنا للإنصراف وكل يوم نهاتفها للسؤال عنه.

فقال عاصم باهتمام:

- وعندما رأيتموها كيف كانت؟

- مُدَمَّرةٌ طبعًا فهو زوجها ووالد أطفالها والأطفال لازال مشوارهم طويل.. والأصعب حيرتها بين الأطباء الذين لا يعرفون حتى الآن سبب الغيبوبة ولماذا طالت هكذا، كم هى مسكينة

فقال عاصم بإشفاق:

- شفاه الله وعافاه لها.. رتب لنا زيارة للمستشفى اليوم يا همام.

فقال همام باستغراب:

- هل ستذهب اليوم معاليك وأنت لتوك قادمٌ من السفر؟ ثم إنه من الواضح أن الأمر سيطول أى من الممكن أن تزورها فى وقتٍ آخر معاليك.

فنظر إليه عاصم شذرًا وقال:

- ماذا يا همام؟ هل عُيِّنْتَ وصيًا علىَّ وأنا لا أعرف؟

- معاذ الله معاليك، ولكن توجد حكاية مهمة كنت أنا وأميرة نريد أن نبلغ معاليك بها.

- يبدو لى من وجهك هكذا أنها حكاية لا تسر.. أنا لا أعرف اصطبحت بوجه من اليوم؟

فهتف همام:

- أكيد دولة معالى رئيس الوزراء.

ثم أسرع بتدارك خطأه قائلًا:

- أقصد المضيفة فى الطائرة التى كنت تركبها معاليك ودولة معالى رئيس الوزراء هذه هى أكيد التى كان وجهها شؤمًا.

- حسنًا يا همام نادى لى أميرة وأرنى ماذا لديكما.

ثم استدرك بلهجة آمرة:

- وأيضًا رتب لى زيارة للمستشفى اليوم.

وخرج همام من الحجرة ثم رجع وأميرة تتبعه، وقال عاصم وهو يزفر بضيق:

- تفضلا اجلسا وبشرانى بالأخبار الزفت.

فقال همام:

- إنها لم تصبح زفتًا معاليك بعد ولكنها قريبة من ذلك.

وقالت أميرة بتحرج:

obeikan.com

- معاليك الجرائد وبرامج التوك شو اليومين الفائتين كانوا يتحدثون عن صفقة يشترك فيها.. الباشمهندس أحمد شقيق معاليك وأيضًا ابن خالة المدام منير باشا وهناك كلام أنه سوف يتقدم أحد النواب باستجواب لمعاليك فى مجلس الشعب.

واحتقن وجه عاصم من شدة الغضب وقال باستنكار:

- استجواب لى أنا؟ ثم أية صفقة التى يشارك فيها أحمد أخى؟ وهل أنا من وقت أن توليت منصبى كوزير رأيت أى خير من هذه الوزارة؟

فقال همام:

- هدئ نفسك معاليك.. فوالله إنه لا يختلف اثنين على نزاهة وطهارة يد معاليك ولكنها الموضة الجديدة كل مدة يحبون أن يرفعوا نِسَبَ المشاهدة فيلجأون لعمل فرقعة إعلامية ويتحدثون فى الكلام المعاد عن استغلال النفوذ... الفساد... المحسوبية وعدد من العناوين النارية التى يتجرأون بها على الحكومة دون أن يكون لديهم دليل على صحة ما يدَّعُون.

فقالت أميرة بحذر:

- ولكنهم يقولون هذه المرة أن معهم أوراقًا تُثْبِتُ صِحَّةّ هذه الإتهامات.

فقال عاصم:

- واضح أن الموضوع دخل فى قذارة وسفالة شديدة .. أميرة قولى لى كل المعلومات التى لديك عن هذا الموضوع ولأرى ماذا لَفَّقَ لى أولاد الكلب.

كان الموضوع شائكًا بحق ويهدد بإطاحة عاصم من منصبه، ورغم أن سليم كان مرافقًا لعاصم فى سفريته الأخيرة إلا أن عاصم لم يكن لديه

obeikan.com

أدنى شك أن سليم هو اليد القذرة التى لَفَّقَت له القضية ويحركها من خلف ستار لِيُزِيحَهُ عن منصبه.

وعاش عاصم ثلاثة أشهر على أعصابه حتى ظهرت براءته، واتضح أن (منير) قريب زوجته هو الذى حاول أن ينال تخصيصًا بالأمر المباشر لأرضٍ تابعة ملكيتها للوزارة التى يرأسها عاصم وكان أن استغل قرابته لعاصم ليحصل على هذا التخصيص، أما الذى لم يظهر فى الصورة أن وسيطًا بعث به سليم إلى منير هو الذى اقترح عليه هذا الإقتراح وهو الذى أشار عليه بأن يَزُجَّ باسم أحمد شقيق عاصم بصفته شريكًا حتى تتم إجراءات التخصيص بسرعة وبدون تعقيدات، كل هذا دون أن يعلم عاصم أو أحمد شيئًا عن الموضوع ؛ وإذا كانت اللعبة قد انكشفت إلا أن سليم ظل غائبًا تمامًا عن الصورة دون أدنى دليل يُدِينَهُ أو حتى يشير إليه من بعيد.. لكن عاصم كان على يقين أن سليم هو الرأس المدبر للمؤامرة وقرر أن يرد له الصاع صاعين.

***

أما خديجة فقد ابتُلِيَت حقًا بمرض زوجها ولم تفهم الحالة الطبية النادرة التى حاول الأطباء أن يشرحوها لها، وظل زوجها ستة أشهر راقدًا بين الحياة والموت وبعض ممن حوله ظنوا أنه مرض الموت، وكان عاصم يداوم على زيارتها والسؤال عنها حتى فى أثناء محنته وعرض عليها المساعدة المالية أكثر من مرة لكنها كانت ترده ردًا جميلًا، وكذلك لم يُثْقِل عليها فى العمل فكان يسمح لها بإجازات كثيرة وأذونات للخروج قبل موعد الدوام.. إلخ، والغريب أنه خلال هذه الفترة كَفَّ عن ملاحقتها بالكلمات والإشارات على الرغم من أنه كان يستطيع استغلال فرصة إنهيارها وافتقادها للأمان واحتياجها للحنان علّها تلين أو تميل قليلًا، لكنه على العكس من ذلك رفض أن يأخذ ثمنًا لشهامته معها وكان يشعر بالإشفاق عليها والحزن

فعلًا على مرض زوجها وكأنه لم يكن غريمًا له أو عائقًا حال دون استمالة خديجة إليه وهو يرى أن محنة المرض بالذات تستحق أن يتكاتف الناس حولها لا أن يتقاتلوا، ويأبى أيضًا أن يكون نذلًا خسيسًا فى معركة غير متكافئة بين رجل على فراش الموت ورجل حاز من الدنيا زينتها.

وعلى مستوى آخر كان عاصم يشعر أن حياته مع سلمى تنهار وقد يكون السبب الظاهر هو ما فعله ابن خالتها، وإن كانت يجب ألا تؤخذ بجريرته، لكنه هكذا أصبح ينام فى حجرة منفصلة ويتباعد عنها رويدًا رويدًا، حتى لقاؤهما الجنسى أصبح نادرًا ويقوم بأدائه بروتينية دون أى إحساس بالمتعة.

.. كانت حياته الزوجية فى هبوط وعلى حافة الإنهيار، بينما حياته السياسية فى ارتفاع، خصوصًا بعد ملف أراضى غرب الدلتا وإنجازاته الأخرى فى الوزارة وكذلك تبرئة ساحته من القضية المُلَفَّقَة، وقد حاز رضا وثقة السلطة العليا، كما كانت تظهر شعبيته فى الإستفتاءات التى تُجْرِيهَا بعض الصحف أو البرامج، وأصبح موقعه الوزارى آمنًا، إلى حَدٍ بعيد، من أى انقلابٍ مفاجئ.

وبقيت أمامه معركتان.. معركة مع سليم لخلعه من الوزارة، ومعركة مع أهله ليوافقوا على فكرة طلاقه من سلمى، وما كانت المعركتان أبدًا سهلتين.

الحُبْ

obeikan.com

أخيرًا.. بدأ طارق يشعر أن طموحاته على الجانب العملى تتحقق، فقد أصبح الآن يدير مشروعًا كبيرًا وبنجاح ويحقق أرباحًا مادية مغرية وعبد الله تزداد ثقته فى أمانة طارق وكفاءته فيفكر معه فى توسعاتٍ أكبر، ولكن على الجانب الشخصى تقلص الوقت الذى يقضيه مع أولاده وزوجته لإن العمل قد استوحش وأصبح يستولى على معظم وقته وعندما يعود من العمل، متأخرًا، تكون طاقته فارغة، وكان يحاول أن يعوّض غيابه هذا بالنقود.. هدايا وزيادة فى مصروف البيت وسفريات سريعة أيام العطل، وأحيانًا كان يكلف رمضان بالتنزه مع الأولاد بل زاد اعتماده عليه بأن جعله سائقًا خاصًا لديه وكان يُجْزِلُ له العطاء، ومن ناحيته كان رمضان سعيدًا بقربه من طارق وأسرته وكان أولاد طارق يحبون رمضان ويعتبرونه فردًا من أسرتهم فى الغربة، كما أن رمضان بدأ بالأموال التى يدخرها فى تأسيس مشروع تجارى صغير بالمشاركة مع اثنين آخرين وأصبح يُدِرُّ عليه ربحًا معقولًا، ومع تحسّن الحالة المادية لرمضان بدأ ينتقى ثيابًا أفضل لارتدائها كما تعلم قليلًا من لغة الكومبيوتر.

ولاحظ طارق تغيرات مظهره ومازحه فى الطريق وهو – أى رمضان – يوصله إلى عمله قائلًا:

- ما كل هذه الأناقة يا رمضان؟ القميص الذى ترتديه آخر موضة.

فابتسم رمضان وقال:

- الله يكرم أصلك يا باشا هذا كله من خيركم.

- أبدًا بل هذا تعبك واجتهادك فى عملك.

وسكت قليلًا ثم سأل بفضول:

- إنما بالمناسبة يا رمضان لماذا لا تريد إكمال نصف دينك؟ أخوك بالأمس اِلْتقانى وأخذ يشكولى أن الحاجّة والدتك لم تتوانى فى ترشيح العرائس لك وأنت مهمل فى الاستجابة لها، ما هى الحكاية لماذا لا تريد أن تريح قلب والدتك وتتزوج؟

وصمت لحظة ثم أردف بلهجةٍ مُغَايِرَة:

- أنا أعلم أن تكاليف الزواج أصبحت كبيرة وإذا كانت مسألة النقود هى التى تمنعك، سأقوم بإقراضك وسدد براحتك ولا تخجل منى فأنا لست غريبًا.

وشعر رمضان وكأن حية لدغته فما عساه يقول للرجل الطيب؟... أيقول له أن الذى يمنعه ليس المال بل الذى يمنعه هو زوجته؟ حبه لزوجته؟ أيقول له أنه مجنون ونذل وخسيس أيضًا لأنه متعلق بحب امرأة لا ترى فيه أكثر من خادم وهى ليست أية امرأة إنها زوجة ولى نعمته وصاحب الفضل عليه؟.. لقد زهد رمضان كل النساء منذ رأى عالية.. فما أصبحت فتيات شرق آسيا بشعورهن السوداء الناعمة المتهدلة وسيقانهن البضة التى تكشفها التنانير القصيرة أو بنطلونات الجينز القصيرة أو حتى ما يسمى الهوت شورت (hot short) تثيره كما السابق ولا عاد يلهث وراء فتيات الأغانى المصورة على طريقة المقاطع الغنائية (كليبات) فى الفضائيات ليستفرغ بعدها فى الحمام.. لقد اكتفى بعالية.. واكتفى بحبها من طرف واحد وإن اكتوى واحترق.. اكتفى أن يضم صغارها إليه كأنه يضم قطعة منها إلى صدره.. اكتفى بأن ينظر فى عيونهم التى تشبهان عينيها كأنه ينظر إليها هى وكان يسعى لينال محبتهم فينال رضاها عنه... ترضى عنه خادمًا أمينًا تثق فيه.. فلماذا يتزوج ويتركها؟ إن الجنة هى القرب منها ولو كان فى هذه الجنة خادمًا فيكفيه أنه فى الجنة !

وطال صمته فقال طارق:

- يا رمضان حدثنى بصراحة لو المشكلة فى النقود فقد حللتها لك اقترض منى ما تحتاجه أو حتى اعتبره هدية ولا ترده.

- يا باشا أنا معى والحمد لله.. أنا أملك ما يكفى للزواج ولكن الأمر أنى.. أنى لا أريد أن أتزوج الآن.

فقال طارق مستنكرًا:

- ولماذا لا تريد بإذن الله؟ إن أخاك يقول أنه تزوج وكان فى سن أصغر منك الآن وهل يوجد شاب فى سنك يكون قادرًا على تكاليف الزواج ولا يتزوج؟

- يا باشا أخى كان ظروف وأنا ظروف أخرى.

- ظروفك أنت طبعًا أحسن، عمومًا لقد فهمت أنت تخشى أن يأتوا لك بعروس ليست على هواك وسكت لحظة ثم استدرك محذرًا:

- إياك أن تكون واضعًا فى رأسك واحدة بعينها فى البلد هنا؟

فتلوّن وجه رمضان وتصلبت ملامحه بينما استرسل طارق قائلًا:

- يبدو لى أنك وقعت فى واحدة فليبينية أو صينية.

فتنفس رمضان الصعداء ولانت ملامحه.

وأكمل طارق مُحَذِّرًا:

- استمع إلىّ .. البنات من هذه البلاد لا تصلحن لنا أولًا كيف ستتفاهم معهن؟ أنت لا تعرف الإنجليزية وهن لا تتكلمن العربية ولعلمك منهن من لا تعرف الإنجليزية أيضًا، وثانيًا موضوع الديانة فمعظمهن بوذيات ولسن أهل كتاب مسيحيات أو حتى يهوديات وبالتالى لا يصلح أن تتزوجها إلا إذا

أسلمت أو تنصرت وأهم من ذلك عاداتهن... الحياة عند الواحدة منهن سهلة ومفتوحة وأنت تعرف ماذا أقصد.. نصيحتى لك أن تتزوج التى تختارها لك والدتك ودعك من هذا الهلس.

- يا باشا اطمئن أنا لا أحب صينية أو صحن.. غايته أنى أنتظر النصيب.

- وهل هناك رجل ينتظر؟ المرأة هى التى تجلس بانتظار أن يطرق بابها عَدَلُهَا أما الرجل فهو الذى يذهب ويختار.

- وأنا قد اخترت أن لا أتزوج الآن..

- آه حسنًا.. يبدو أنه لا فائدة من الحديث معك ولكن وهذه شهادة لوجه الله تعالى الزواج المبكر أفضل شئ.

وأوصل رمضان طارق إلى الشركة، وهناك بدأ طارق يمارس عمله فى خفة ونشاط.. كان مبتهجًا فى هذه الأيام، خاصة، لإن المرأة الأخرى كفت عن ملاحقته باتصالاتها الهاتفية المزعجة، وقد مر أكثر من شهر لم يسمع خلاله صوتها، وظن أن الغُمَّةَ أخيرًا انقشعت وأن هذه المجنونة أخيرًا فهمت أنه لا نية لديه فى أن يعود إليها واستسلمت - فيما بدا له - للأمر الواقع.

وكم خاب ظنه إذ فوجئ بها أمامه حيث فتحت باب المكتب ودخلت بينما وقف هو مذهولًا لدقيقة فلم يتخيل أن تتجرأ إلى هذا الحد، ثم استعاد وعيه وهتف باستنكار وغضب:

- أنتِ؟ كيف أتيتِ إلى هنا؟

.. كانت فى أواخر العشرينات رشيقة وأنيقة وطويلة القامة خمرية البشرة وشعرها متوسط الطول والنعومة مصبوغ بلون أحمر يميل إلى السواد ولها نهدين مدهشين أجادت إظهارهما من خلال فتحة الثوب الأسود

obeikan.com

الأنيق والمحبوك على انحناءات جسدها الأنثوية باقتدار، ولم تلتفت هى إلى صوته الهادر ورنة الغضب فى صوته وأغلقت الباب خلفها ببرود ثم جلست على مقعد أمام مكتبه ورسمت ابتسامة واسعة على شفتيها وقالت بشوق:

- كم أوحشتنى.

كانت تتكلم باللهجة المصرية لأنها تعرف أن طارق لا يفهم أى كلام باللهجة المغربية ,وقال هو متحفزًا:

- وأنا لا أريد أن أرى وجهك.

فترقرقت دمعة فى عينيها وقالت:

- لماذا كل هذه القسوة علي وأنت تعلم كم أحبك؟

فقال بنفاد صبر:

- لماذا لا تريدين أن تفهمى؟ أنا الآن أعيش لزوجتى وأولادى فقط.. وأنتِ ما عاد لكِ أىَّ مكانٍ فى حياتى الآن ولن يكون.

فقامت من مقعدها واتجهت نحوه والتصقت به وأخذت تمرر يدها فى شعره وقد نظرت إليه فى شَبَقِ وقالت:

- هل نسيت الأيام الحلوة التى قضيناها معًا؟

فأسرع هو بالإبتعاد عنها وأولاها ظهره وهو يقول بضيق:

- نعم نسيتها اتركينى فى حالى واغربى عن وجهى.

فقالت برجاء:

obeikan.com

- ولكنى لا أطلب منك الكثير يكفينى أن تزورنى ساعتين كل أسبوع .

فقال متعنتًا:

- ولا دقيقة واحدة سأسمح لنفسى بقضائها معك.

ثم التفت نحوها وأكمل:

- أنا بالكاد استطعت أن أجعل زوجتى تسامحنى وأنا غير مستعد أن أجرحها مرة أخرى ولا أن أجازف باستقرار حياتى معها هى والأولاد ثم إنى.. أحبها.

فقالت بغيرة:

- وأحببتنى أنا أيضًا.

- أحببتُكِ فى الماضى.. إنما الآن ليس فى حياتى ولا فى قلبى امرأة غيرها.

- وأنا أيضًا لا أريد أن يكون فى حياتى ولا فى قلبى رجلٌ غيرك.

فقال ناصحًا:

- هذا خطأ .. أنت حلوة وشابة امنحى نفسك فرصة وستجدين ألف رجل أفضل منى ويتمنون الفوز بقلبك ومنهم من ستكون ظروفه مواتية لتنشئ معه أسرة ويكون لك منه أولاد وتعيشى حياة مستقرة وطبيعية.

- وأنا لا أريد أولادًا أو بنات أنا لا أريد غيرك ولن يملأ عينى أو يدخل قلبى رجل سواك.

- إذا كنتِ تحبيننى حقًا إلى هذه الدرجة على الأقل اعتبريها تضحية من أجل استقرارى أنا الأُسرى.

- وأنا من أجل هذا اقترحت أن يكون الأمر فى الخفاء وأقسم لك أنه سيظل سرًا بيننا ولن يعرف أحد بعودتك إلىّ.

فقال بعصبية:

- لماذا لا تريدين أن تفهمى؟ أنا لا أريدك لا فى العلن ولا فى السر.

فاقتربت منه مرة أخرى ونظرت فى عينيه وقد شع من عينيها بريقٌ عجيب وقالت بلهجة تحدٍ واضحة:

- أنت الذى يجب أن تفهم أنى لن أسمح أن يفرق بيننا إلا الموت.

وشعر بقشعريرة عندما ذكرت كلمة الموت لكنه تماسك، وقال ببرود:

- حسنًا.. اعتبرينى ميتًا.

فرمقته باحتقار ثم قالت بلهجةٍ ذات مغزى:

- إذن أنت اخترت.

ثم استدارت لتنصرف وقبل أن تفتح الباب التفتت إليه مرة أخرى

وقالت مقررة:

- هذه كانت فرصتك الأخيرة.

ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها، وتنفس طارق الصُعَدَاء حين غابت عن عينيه، ورُغْمًا عنه شعر برهبة حين استعاد نظرة عينيها وهى تنطق كلمة "الموت". ولكن ما لبث أن نفض عن نفسه الخواطر السوداء وهو يحادث نفسه بصوتٍ مسموعٍ قائلًا: مجنونة يا رب اشفِهَا. ثم استدعى سكرتيره وشدد عليه ألا يسمح لهذه المرأة بالذات أن تدخل عليه فى أى وقت ومهما كانت الظروف أو الحجج الواهية التى تخترعها لتمر إليه.

وعندما عاد إلى منزله مساء ذلك اليوم لاحظ شحوبًا فى وجه زوجته فسألها بحذر:

- ما بك يا عالية وجهك شاحب هل حدث شئ؟

كان يخشى أن تكون المرأة المجنونة قد سعت وراء زوجته بعد خروجها من عنده، وحدثتها بما كدّر صفوها..

وقالت عالية بصوتٍ مهموم:

- زوج خديجة مريض وفى حالة حرجة.

فتنفس طارق الصعداء وارتخت أعصابه ثم سارع بعقد حاجبيه

وقال بأسف:

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ألازال فى المستشفى؟

فقالت بأسى:

- نعم لازال فى العناية المركزة.. والدتى تعتقد أنه أبعد الله عنا الشر سيموت.

فزفر طارق بضيق وقال:

- يالسيرة الموت هذه التى تُفْتَحُ أمامى كل قليل.

ثم استدرك وقال بإشفاق:

- إذا أحببتِ يا حبيبتى خذى إجازة قصيرة من العمل وسافرى إلى مصر كى تقفى مع خديجة فى محنتها وسوف أعطيك نقودًا أيضًا لتساعديها بها فأنا

Obeikan.com

أعلم أن الإحتجاز فى المستشفى ولهذه الفترة الطويلة تكاليفه باهظة كان الله فى عونها.

- أنا فعلًا فكرت فى السفر لكن المشكلة فى مدارس الأولاد لن أستطيع أن أتركهم هنا معك وأيضًا لن أستطيع أن أسافر بهم وهم لديهم امتحانات هذه الأيام.

فرد ابنهم عبد العزيز ببراءة:

- بل يمكن أن تسافرى يا أمى وسوف يساعدنا رمضان فى الإستذكار.

وضحك طارق وقال:

- رمضان سيساعدك؟

فقالت عالية:

- طبعًا إنها ستكون حجة لينزل إلى رمضان ثم بدلًا من أن يذاكر يلعب معه.

فقال ابنهما الآخر عبد الله:

- ولكن رمضان فعلًا يساعدنا أحيانًا بأن يقوم بتلقيننا أو يراجع معنا بعض المواد قبل الإمتحان.

فقالت عالية بتعجب:

- ولكن أنت يا عبد الله كيف يساعدك وموادك كلهاعدا اللغة العربية بالانجليش (English)؟

فقال طارق منبهًا:

obeikan.com

- رمضان بدأ ياخذ كورسات لغة وكومبيوتر ويمكن...

فقالت عالية:

- ويمكن ماذا؟ حتى لو انتهى من الكورس (course) كله لن يكون مستواه قويًا للدرجة التى تؤهله ليستذكر لعبد الله.

فقال ابنهما الثالث عبد الرحمن بعناد:

- لا يا أمى رمضان يعرف فقد شرح لى مسألة فى الماث (math).

- لا يمكن طبعًا أكيد أنتم تمزحون.

- ولم لا يا عالية؟ من الجائز أنه فعل، لا تنسى أن معه دبلوم صنايع والأولاد أيضًا لازلوا صغارًا فمناهجهم سهلة وقد يكون أخذ مثلها باللغة العربية وهو فى سنهم.

- ما هذا الكلام ! وأساسًا مناهج مصر غير مناهج هنا.

- مناهج مصر أصعب طبعًا.

- أصعب أو أسهل ما الذى نتجادل فيه؟ وهل كنت أنوى فعلًا أن أسافر وأتركهم فى رعاية رمضان؟

- حسنًا ولكن موضوع النقود مهم.. يمكن أن تبعثى لها حوالة بإسمها.. كم تحبين أن نبعث لها؟

- أشكر لك كرمك ولكن أنا عرضت عليها أكثر من مرة وقالت لى أنها لا تريد ثم إنها لو احتاجت سأبعث لها من معى.

فقال طارق بغضب:

obeikan.com

- طبعًا لا.. يجب أن تأخذى منى أنا وقد قلت لك من قبل أنا المسئول عن إعالتك وإعاشتك لإنى رجل البيت.

- أنت قلتها إعالتى أنا، إنما مساعدة أختى ليس عليك أن تلتزم بها خصوصًا وأنى والحمدلله معى نقود و..

فقاطعها قائلًا:

- وخديجة أعتبرها أختًا لى أنا أيضًا فلا تنظرى للمسألة وكأنى رجل غريب عنها، وأعيد عليك انسى أنك تعملين ومعكِ نقود.. قُلْتُ لَكِ أنا ملتزم.

فترقرقت دمعة فى عينىّ عالية.. إنه كريم كرم حاتمى وحنون وشهم ومالت تطبع قبلة على وجنته وقالت بتأثر:

- أبقاك الله لنا ولا حرمنا منك أبدًا.

فى اليوم التالى فوجئ طارق برسالة نصية على هاتفه المحمول مشفوعةً بصورة مثيرة وفاضحة لوفاء – التى كان متزوجًا بها – كانت الرسالة تحتوى هذه الكلمات " تعالى واقضِ معى ساعة واحدة من أيام زمان.. ساعة تودعنى فيها لإنى مسافرة ولن أراك مرة ثانية أبدًا... أحباااااك ".

وتلقائيًا قام بمحو الصورة والرسالة النصية من محموله بسرعة، ألا تيأس هذه المرأة أبدًا؟ كم يندم على أنه عَلِقَ معها فى يوم من الأيام.. إنها الآن تدعوه دعوة شديدة الإغراء ولو أنه طاوعها وخان زوجته معها، فإن أحدًا لن يعرف شيئًا، وهو ليس ملاكًا كلنا بشر ولكل منا قدرة على تحمل الإغراء والشيطان يوسوس له بأنه لن يخسر شيئًا إذا جمع بين الإثنتين، واحدة فى العلن والأخرى فى السر، وخاصة أن الأخرى لن تكلفه بأية التزامات من جانبه.. إنها تريده حتى بدون ورقة زواج.. وهكذا سيتقلب بين امرأتين جميلتين لينال متعة مضاعفة.. لكن ضميره صرف شيطانه

بسرعة فهو لن يسعى لنيل متعة حرام حتى ولو كانت المرأة راضية بل وتُلِحُّ على ذلك.. إنه يخاف من الوقوع فى حدود الله ويخاف أن يُدَنِّسَ علاقته بزوجته إذا انزلق إلى هذا الوحل ومهما بلغت قيمة هذه المتعة الحرام لن تُغنى عنه شيئًا إذا تسلط عليه غضب الرب وعذاب الضمير، وهو إن كان قد جرح مشاعر زوجته، فى السابق، عندما تزوج عليها، وفاء، التى لم تطلب الزواج لكنه هو الذى أراده كى لا يرتكب إثمًا، فإنه استعمل رخصة أباحها الله له ولم يقع فى حرام وينوى ألا يفعل.

ولم يرد على رسالتها فأمطرته بعدها بعشر رسائل أخرى خلال ثلاثة أيام فى أوقاتٍ مختلفة فى الصباح والمساء مصحوبة بصور شديدة السخونة وكلمات حارقة ملتهبة عن الشوق والشبق وتفاصيل جنسية منذ أيام زواجهما وثناء ومديح وغزل فى شخصه ورسمه وقدراته الجنسية طبعًا و.. و.. و.. كلمات كثيرة تفتن الشيوخ.

وتحمل هو هذا الفيضان الكاسح بجهد جهيد ولكن إلى متى سيظل سابحًا ضد هذه الإغراءات التى لا يصمد أمامها رجل تخاطب ذكورته وعنفوانه والأدهى أنه كان يستمتع بالتفاصيل الجنسية معها كثيرًا وقت زواجهما ولهذا فهو مدرك تمامًا لمعنى ما تقوله، وقرر أن يغيّر رقم هاتفه إذا وصلته منها رسالة جديدة، ولكنها لم تفعل وعلى ما يبدو أنها اكتفت بالرسالة العاشرة كأنما علمت بنيته تلك! أما هو فقد تنفس الصعداء أخيرًا وظنه أنها سافرت وارتاح منها.. وليته قرأ رسالتها الأخيرة قبل أن يمحوها من هاتفه، فلو كان قد قرأها لعرف أنها الأخيرة وقد أوضحت له ذلك فيها – أى الرسالة - لكنه ومنذ الرسالة السابعة أو الثامنة كان يقوم بمحو الرسالة والصورة فور قراءة اسم المرسل وبدون أن يفتحهما، فقد كانت الرسالة السادسة والصورة معها مزلزلتيْن لدرجة خشى معها أن ينهار ويستسلم فقرر ألا يقرأ أو يرى كى لا يضعف ويقع تحت تأثيرها وهو يعلم

أن شهوته إذا تسلطت عليه فستهلكه.. لكنه لم يكن يعلم أن إخلاصه الزائد لزوجته سيكلفه هذه المرة حياته.. ولم يكن يعرف أن العشق إذا تسلط على امرأة فإنه يهلكها ويجعلها ترغب فى الإنتقام ممن عشقته ولفظها بعد أن نال مأربه منها وهى بعد لم تزل والهة.. مدلهة.. اكتفى ولم تكتفى.. ارتوى ولم ترتوى.. امتنع عنها وهو بعد مقيم فى كيانها كله.. إنها أبدًا لن تتركه وقد طار العقل منها وبقى القلب معه.. وكان لابد للجموح والجنون من نهاية.

ومر أسبوعان دون أن يسمع طارق عن وفاء شيئًا واعتقد أنها كانت صادقة هذه المرة خصوصًا وقد سمع أنها غادرت فعلًا البلد، وعاد إليه صفو نفسه وارتاحت أعصابه التى أرهقتها عذابات الشهوة ومحاولات كبحها.

وبينما كان يتناول الطعام مع زوجته قال باسمًا:

- ما شاء الله وجهك رائق اليوم.

- الحمد لله خديجة زوجها عاد إلى البيت.

فقال طارق بفرحة:

- أخيرًا.. الحمد لله.. سأذهب لأهاتفه وأقول له حمدًا لله على سلامتك.

- تمهل قليلًا.. هو لا يستقبل مكالمات هاتفية بعد، أنت تعرف إنهم يسمونها فترة نقاهة.

- سأحادث خديجة إذن.

- حسنًا هاتفها ولكن اِنْتَهِ من تناول الطعام أولًا.

وسكتا قليلًا ثم قال طارق مغيرًا الموضوع:

- سأحكى لك قصة غريبة جدًا.. تصورى أنى عرضت على رمضان أن يعمل معى فى الشركة ولكنه لم يقبل.

- طبعًا معه حق أن يرفض وهل وظيفة نادل فى شركة أم كما هو الآن سائق لديك أفضل؟

- نادل؟ من قال أنه كان سيعمل نادلًا؟ أنا كنت أعرض عليه العمل فى مجال الكومبيوتر.

- فقالت عالية باستنكار:

- كمبيوتر؟ وماذا يفهم هو فى الكومبيوتر؟ ألم تقل أنه حاصل على دبلوم صنايع؟

- أنا كنت مندهشًا مثلك تمامًا.. ولكن بداية الموضوع أنى كنت قد ساعدته وعلمّته بعض الأساسيات ثم أكمل هو حيث تلقى كورسين (2 courses) فى البرمجة ثم كنت أمر بالصدفة فوجدته يُخرج أشياء جيدة وللحق الفتى ذكى وموهوب وسيأتى منه...

فقالت بسخرية:

- يأتى منه ماذا؟

- لماذا تستخفين به إلى هذا الحد؟ الشهادات ليست كل شىء اينشتين كان تلميذًا بليدًا ومُدَرِّسُوهُ كانوا يشتكون من غبائه وبيل جيتس لم يُكْمِل تعليمه الجامعى.

- أتعنى أن رمضان عبقرى وأنت الذى اكتشفته؟

- ليس إلى درجة العبقرية ولكن كما قلت لك هو موهوب ويمكن أن يعمل أشياء جيدة.

obeikan.com

فقالت بتسليم:

- عمومًا كل شىء جائز.. أنا أيضًا أسمع أن الهواة بدون دراسة أو غيرها يقومون بصنع برامج وفيروسات ويخترقون مواقع مشفرة وقد تكون تابعة لأجهزة أمنية فى دول متقدمة.

- هذا هو.. رمضان واحد من هؤلاء الهواة.

- فلماذا رفض الوظيفة الجديدة إذن؟

- هذا الذى لا أعرفه.. قال أنه لا يستطيع أن يمر عليه يوم دون أن يرى الأولاد ويلعب معهم وأنه يكون سعيدًا عندما يقوم بتوصيلهم من وإلى المدرسة وكلام كثير أحمق ولا معنى له مثل هذا.

- حقًا إنها حماقة والأغرب أنه متعلق بالأولاد إلى هذا الحد.

- ولقد سألته مادام يحب الأطفال إلى هذا الحد لماذا لا يتزوج حتى يكون له أطفال يلعب معهم ويُدَلِّلَهُم كما يشاء.

- وهذا أيضًا غريب لماذا لا يريد أن يتزوج؟

- ووالدته ستقضى نحبها وهى تحاول إقناعه بمسألة الزواج وهو لا أحد يدرى ماذا فى رأسه .

- الله أعلم به.. قد يكون واقعًا فى الحب.

- مؤكد أنه يحب ولكن ما الذى يمنعه أن يتزوجها؟ الله أعلم.

- ولكن عمله فى الشركة فرصة حرام أن تضيع منه.. ما رأيك أن تقترح عليه أن يقوم بتوصيل الأولاد فى الصباح كالمعتاد وبعدها يذهب معك إلى

obeikan.com

الشركة ويظل يعمل ثم يستأذن وقت انصراف الأولاد من المدرسة فيقوم بتوصيلهم ثم يعود إلى الشركة مرة أخرى لإكمال عمله؟

- فكرة لا بأس بها.. سأقولها له ولا أظنه سيرفض هذه المرة.

فقالت بزهو:

- أرأيت كيف حللت لك المشكلة كى لا تخسر الموهبة الصاعدة؟

فتناول يدها وقبّلها ثم قال بامتنان:

- أبقاكِ الله لى ولا حرمنى منك ولا من مشورتك أبدًا يا حياتى وروحى وعمرى كله.

فضحكت وقالت:

- ياه ما كل هذا الكلام الحلو؟

- وفى قلبى أكثر بكثير مما على لسانى.. آهٍ لوتعرفين !

- قد عرفت فهذا موسم اكتشاف المواهب رمضان فى الكومبيوتر وأنت فى الشعر.

فمال عليها فجأة ولثمها بحرارة ثم ابتعد وقال بخبث:

- هل هذا يعنى أنك تريننى موهوبًا فى الشعر فقط؟ امنحينى الفرصة إذن لأكشف لك باقى مواهبى.

وفهمت ما يعنيه.. وقد مرت عليها فترة أنهكها نشاطه الجنسى الزائد، كانت هى الفترة التى دأبت وفاء على مطاردته ومحاصرته بشكل مكثف فيها، وقتها شعرت عالية أن الأمر غير طبيعى لكنها لم تعرف السبب.. كان يمارس الجنس معها بشكل جنونى فلم يكن يكفيه أن يستفرغ ويستريح قليلًا

obeikan.com

ليعاود الكرة دون أن يكون لديه ما يقدمه.. كانت تشعر أنه يحاول أن يستنفذ طاقته كلها فلا يتركها إلا وجسده خامدٌ تمامًا.. كأنه ينتحر جنسيًا.. كان يحاول أن يقضى على أية ذرة من شهوة فى جسده كى لا تجد وفاء ما تسحبه به إليها.. كان يُحصّن نفسه من إغراءاتها الفاجرة بالإغراق فى ممارسة الجنس مع عالية.. هكذا كان يفكر وهذا ما مكنه من الصمود.. لكن عالية لم تكن تعرف ذلك وفى البداية كانت طاقته الجنسية الزائدة تمنحها شعورًا أكبر بالمتعة والسعادة.. لكن مع تكرار الأمر واستفحاله تحولت المتعة إلى تعذيب وواجب زوجى ثقيل تؤديه وهى كارهة وإن حرصت على إخفاء مشاعرها الحقيقية كى لا تجرحه أو تضايقه، وها هى الآن تحاول التهرب فقالت متظاهرة بالبراءة:

- ولكن هل تعرف أن الأولاد أيضًا تعلقوا برمضان.. فلو جئت يومًا وعرضت عليهم أن أقوم أنا بتوصيلهم إلى المدرسة يرفضون.. دائمًا يريدون رمضان.

- طبيعى فهو يلعب معهم ويحضر لهم حلويات ثم لا تنسى أنك صاحبة الأوردرز (orders) (أوامر) وهو المتخصص فى الفن (fun) (لعب) فلو كنت مكانهم ستتعلقين بمن أكثر؟

- وهذا الذى أخشاه، فأنت تعرف مستواه وتعليمه متواضعين والمخدرات كالحشيش والبانجو لدى هذه الطبقة أشياءٌ عادية وكذلك الألفاظ السوقية والسُبَاب سلوكيات أخاف أن يلتقطها الأولاد منه.

فقال مقاطعًا:

- نحن لن نأتى بحاصل على الدكتوراه كى يلعب مع الأولاد ويتأثروا بعبقريته والدكتوراه التى يحملها.. والرجل حتى الآن ما رأينا عليه ما يمكن أن نستنكره أو نخشى على أولادنا منه فلا داعى لقلقٍ لا مُبَرِّرَ له.

وسكت لحظة ثم أكمل بنفاد صبر:

- ثم كفاكٍ حديثًا عن رمضان ولنعد إلى موضوعنا الأهم.

ونظر إليها بشبق فقالت وهى تتهرب من نظراته:

- أنت.. أنت.. نسيت أن تكلم خديجة.

فقال وكأنه تذكر:

- آه صحيح.. سأكلمها الآن حالًا

وسكت لحظة ثم أردف وهو يغمز بعينه:

- أعِدِّى أنتِ نفسك ريثما أنتهى من الإتصال سريعًا و..

سمعا صوت هاتفه المحمول وشعرت هى بالإمتنان لصاحب الإتصال إذ أنقذها من الواجب الزوجى الليلة بينما هتف طارق بحنق:

- ياه إنه عبد الله لأرى ماذا يريد الآن؟

وتناول الهاتف ووضعه على أذنه بعد أن ضغط زر الرد وقال: يا أهلًا بك.. الآن؟.. حسنًا اتفقنا.. أراك على خير.. إلى اللقاء.

وأغلق الخط ثم نظر إلى زوجته وزفر بضيقٍ قائلًا:

- لا أعرف ما الذى فكَّرَهُ بِىَ الآن؟ قال أنه يريد أن نتقابل ونتحدث قليلًا.

ثم أردف بِرِثَاء:

- وهكذا ستضيع الليلة.

obeikan.com

- أخشى أن يُحَدِّثَكَ عن مشروعٍ جديد فهذا الرجل ليس فى رأسه غير المشاريع والبيزنس (business)

ثم أردفت بلهجة تحذيرية:

- خذ حذرك وانتبه فأنت ما عاد لديك وقت لأى عمل آخر فإذا عرض عليك إدارة أى مشروع جديد ارفض فورًا فأنت لن تهلك نفسك بكثرة العمل وعدم الراحة.

فابتسم طارق وقبّلها على وجنتها ثم قال:

- حاضر يا حبيبتى.

ثم أردف مبتئسًا:

- سامحك الله يا عبد الله يا هادم اللذات.

وسكت لحظة ثم أردف بحماس:

- أتعرفين يا حبيبتى؟ سأحاول أن أجعله يُلْقِى بما لديه على عجل لأعود إليكِ بأقصى سرعة.

وسارع بارتداء ملابسه والإنصراف إلى موعد عبد الله بينما انتوت هى أنه حتى لوعاد سريعًا فستتظاهر بأنها نائمة حتى لا يعاشرها الليلة.

والتقى طارق عبد الله فى أحد المطاعم حيث وجد الأخير بانتظاره وبعد أن تصافحا وجلسا قال عبد الله:

- ماذا ستأكل؟

- لا شكرًا لن أستطيع فوقت أن طلبتنى كنت لتوى منتهيًا من تناول العشاء.

- محظوظ وأنت تأكل من يد الدكتورة أما أنا فلا آكل إلا مما تطبخه السريلاينكية.

- إذا كان طبخها لا يعجبك فلتحضر خادمة غيرها.

فقال عبد الله بعدم اكتراث:

- لن يختلف الأمر فكلهن سواء.

وسكت لحظة ثم قال بود:

- وكيف حال الدكتورة والأولاد؟

- بخير الحمد لله.

وجاء النادل فطلب عبد الله وجبة خفيفة وأصر أن يطلب لطارق مثلها كما طلبا شايًا ساخنًا وبعد انصراف النادل قال عبد الله:

- هل تعرف أنى أريد أن أدعوك أنت والدكتورة والأولاد لنتغذى معًا فى البيت عندى الأسبوع القادم.

- لا داعى لأن تتعب نفسك.

- أنا لن أَتْعَبَ فى شىء السريلانكية هى التى سَتُعِدُّ الطعام.. نحن سننتظرك أنت والدكتورة والأولاد الجمعة القادمة بعد صلاة الجمعة.

- والله أنا..

فقاطعه عبد الله بسرعة وقال:

- والله لا تقسم أنت.. نحن سننتظركم.

ثم زفر بعمق ورجع بجذعه إلى الوراء وقال:

obeikan.com

- لا أدرى لماذا صدرى اليوم ضائق.

- من كثرة العمل.. أنت تُجْهِدُ نفسك زيادة .. نصيحتى إكسر روتين العمل وخذ إجازة والأحسن لو استطعت ترك الأولاد فى مدارسهم وتسافر أنت وزوجتك وحدكما إلى أى مكان كأنكما فى شهر عسلٍ جديد.

فقال عبد الله مستنكرًا:

- آخذ زوجتى؟

فقال طارق مشجعًا:

- والله أنا أيضًا أتمنى أن تأتينى فرصة ونسافر أنا وزوجتى وحدنا لكن المشكلة لا يوجد من نترك معه الأولاد.

فقال عبد الله بتلقائية:

- طبعًا تريد أن تسافر معها وحدكما ومن لا يريد؟

ثم استدرك مدافعًا:

- أعنى أنى أرى ما شاء الله بينك وبينها حب.

وسكت لحظة ثم أكمل مبتئسًا:

- إنما أنا وزوجتى ماذا أقول لك؟ نحن مللنا من بعض.

فقال طارق مُهَوِّنًا الأمر:

- عادى كل الزواج هكذا الفترة الأولى يكون الإثنان مشتعلين من الحب والأشواق.. والفترة التى تليها دوامة الإنجاب ومشاعر الأبوة والأمومة ثم فترة

الروتين والملل فما عاد هناك جديد وماذا نصنع؟ لابد أن نتحمل وأنت تعرف فى النهاية..

فقال عبد الله بانفعال:

- أعرف هى بنت عمى وزوجتى وأم أولادى ولا ينبغى أن أفكر بشىءٍ آخر.. ولكن أنا مللتها.. مللتها.. مللتها.

ثم زفر فى ضيق ونظر إليه طارق باستغراب للحظة ثم قال محذرًا:

- آه فهمت.. أرجوك لا تدير هذه النغمة .. صدقنى وعن تجربة، الزواج الثانى فرحته يوم وندمه يدوم.. وأنت تعتقد أنك هارب إلى الجنة ثم تكتشف أن الجحيم هو ما ينتظرك.

وصمت مُتَأَلِّمًا وهو يتذكر مطاردات وفاء له.

- أنت أسأت الإختيار الثانى وما كان لك عذر كى تتزوج على الدكتورة وبالذات وكما أعلم عندكم بمصر الزواج الثانى مشكلة كبيرة ولا تقبل به الزوجة الأولى أبدًا.

- أتعنى أنه لإن عندكم فى الخليج الزواج الثانى عادى ومنتشر لن تصبح هناك مشكلة لإن الزوجة الأولى لا تغضب إذا تزوج زوجها عليها؟

- أولًا: الزواج الثانى ما عاد كثيرًا عندنا فى الأجيال الجديدة وأصبح الإكتفاء بزوجة واحدة هو الأغلب وثانيًا: من قال أن الزوجة الأولى لا تغضب إذا تزوج عليها؟ إنها امرأة وتغار على زوجها لكنها لا تعترض بنفس القوة التى تعترض بها نساؤكم بمصر إلا إذا كانت ضُرَّتُهَا أقل منها فى المستوى الاجتماعى أو أجنبية وليست من قبائلنا.

Obeikan.com

- لا أدرى لماذا أتانى إحساس الآن أنك تتكلم عن واقع.. يبدوأن هناك ثمة امرأة تفكر فى الزواج منها.

فقال عبد الله سارحًا:

- أفكر نعم فيها وليس فى الزواج.

فقال طارق بفضول:

- آه فهمت سر سفرياتك الكثيرة إلى لندن، لابد أن حبيبة القلب إنجليزية أليس كذلك؟

وسكت لحظة ثم أكمل:

- إنما لماذا لا تريد أن تتزوجها؟ لإن الحياة هناك فرى (free) والزواج لا داعى له أم أنك تخشى القانون عندهم الذى يمنع الجمع بين زوجتين؟ و..

وبتر عبارته عندما أتى النادل بالطعام والشاى وبعد انصراف النادل قال عبد الله:

- ما كل هذا الفضول؟ كل واشرب شايك ونتكلم عن العمل أفضل.

- ألا تمل الحديث عن العمل؟

- وماذا أفعل وليس لدى الآن غيره.

قالها بأسى ورشف رشفة من كوب الشاى أمامه ثم قال بنبرة حماس:

- عندى لك أخبار طيبة ستفرح بها ولكن لن أقول عنها شيئًا الآن.. سأخبرك عندما تزورونا الجمعة القادمة.

فقال طارق بعدم اكتراث:

- حسنًا.. كما تحب.

ولم يكن طارق متلهفًا على معرفة الأخبار لإنه كان يخمن أن عبد الله سيُلْقِى إليه بمزيدٍ من الأعباء والمسئوليات.

وقال عبد الله كأنه تذكر:

- نسيت أن أُبْلِغُكَ الفيلا صارت جاهزة تسكنوها بالخير إن شاء الله، وما عاد ينقصها سوى الأثاث والسريلانكية.

وضحك هو وطارق .

obeikan.com

obeikan.com

الحُرِّيَّة

obeikan.com

- لابد أنك فقدت عقلك حتى تتفوه بهذا الكلام الفارغ .

نطقها والد عاصم وهو مُجْتَمِع معه فى غرفة المعيشة بمنزل والد عاصم، وكانت والدة عاصم حاضرة أيضًا حيث قالت:

- أكيد هو يمزح ولكنه مُزاح سخيف وغير مقبول.

فقال عاصم بِجَدِّيَّة:

- يا أبى يا أمى أرجوكما أن تسمعانى وحاولا تَفَهُّمَ الأمر.

فقالت والدته:

- ما الذى تريدنا أن نتفهمه؟ زوجتك لا تُعَوَّض.. ليس فيها عيب وإذا أردت الحقيقة أنت لا تستحقها.

فقال عاصم:

- ولهذا أريد طلاقها لأنى لا أستحقها.

فقال والده بعصبية:

- لا داعى لهذه السخرية فليس هذا وقتها.. اسمع يا بنى إذا كان فى نفسك منها شىء بسبب موضوع ابن خالتها فهذا لا يحق لك.. البنت ليس لها دخل بهذه القصة من قريب أو بعيد فلا تأخذها بجريرته حتى لا تصبح ظالمًا متعديًا.

فقالت والدة عاصم:

- ثم هل نسيت أن بينكما طفلة؟ هل تقبل لابنتك أن يقوم على تربيتها رجل غريب؟

obeikan.com

فقال عاصم ببرود:

- إذا سلمى أحبت أن تتزوج ثانية سآخذ أنا البنت لتعيش معى وإلى أن يحدث هذا ستبقى فى حضانة أمها وسأزورها دائمًا وأطمئن عليها باستمرار و....

فقال والده ناهرًا ومقاطعًا:

- ما هذا الهراء الذى تقوله؟ هل تظن الطلاق لعبة؟ وإذا لم تكن قد حسبت حسابًا للسنين التى عاشتها المسكينة معك بالحسنى ولا للبنت التى تريد تشريدها بين بيتين، اعمل حسابًا لمنصبك الوزارى، صورتك أمام الناس من ناحية، والنفوذ السياسى لأهلها فى الحزب والحكومة من ناحية ثانية.. أنسيت بنتُ من هى؟

فقال عاصم بعناد:

- وإذا قلت لحضرتك أنى لست حريصًا على المنصب الوزارى فلم يأتِ لى منه غير وجع الرأس والقلب، هذا إذا كان نفوذ أهلها سيجعلهم قادرين على إزاحتى عن منصبى مثلما تتوقع حضرتك أما عن الناس فحياتى الشخصية إذا تكلموا عنها ساعة فالثلاث وعشرين ساعة الباقين سيتكلموا عن عملى فى الوزارة وماذا أنجزت لهم وفى أى شىءٍ قصرت.

فقال والده:

- لا تقل لى أنا هذا الكلام فأنا والدك وأعرفك أكثر من نفسك أنت سعيد ومزهوٌ باللقب ولو فقدت منصبك ستحزن وكثيرًا.

- جائز يا والدى أن يكون كلامك صحيحًا ولكن أنا لست مستعدًا أن أحيا مع امرأة لا أريد أن أحيا معها من أجل عيون المنصب.

فقالت والدته:

- ومن أجل عيون من تريد أن تترك زوجتك إذن؟

فقال عاصم مدافعًا:

- من أجل عيونى أنا، يا أمى أنا أعرف أن سلمى زوجة مثالية ولكن أنا مشاعرى من ناحيتها ماتت.. ما عدت قادرًا على الإحساس بها وهى نائمة إلى جوارى فى سريرٍ واحد.

فقالت والدته:

- ومن التى أماتت مشاعرك ناحية سلمى؟ الحكاية فيها امرأة أخرى.

فارتبك عاصم قليلًا ثم تماسك وقال:

- أبدًا ليس فيها.. صدقينى أنا أيضًا أستغرب كيف تغيرت مشاعرى ناحيتها هكذا لكن هذا ما حدث.

فقالت والدته:

- هذا ما حدث أما ما سوف يحدث أنك بعد أن تطلق سلمى ستتزوج الأخرى التى تنكر وجودها الآن.

فرد عاصم بتلقائية:

- لا اطمئنى لن أستطيع أن أتزوجها.

ثم سارع إلى تدارك زلة لسانه قائلًا:

- أقصد أنى بعد أن أطلق سلمى لن أتزوج ثانية.

فقال والده:

obeikan.com

- ومادمت لن تتزوج ثانية فلماذا ستطلقها إذن؟

ثم أردف محذرًا:

- إياك أن تكون عازمًا على العودة لحياة المباذل والإستهتار التى كنت عليها قبل الزواج فلا سنك ولا منصبك الآن يسمحان لك بذلك.

- اطمئن حضرتك أنا لست عازمًا على الرجوع للعبث السابق وسأظل محافظًا على استقامتى.

فقالت والدته بإشفاق:

- ولكن يا بنى أنت مازلت فى عنفوانك ما الذى يجعلك تعزف عن الزواج وتعيش وحيدًا؟

فقال عاصم:

- ما بكما؟ هل ستشغلا نفسيكما بزواجى وأنا لم أُطَلِّقْ بعد؟

فقال والده مؤكدًا:

- نعم لأنك يجب أن تحسب حسابًا لكل خطوة قبل أن تخطوها كى لا تعود و تندم.. وأنا متأكد أنك ستندم إذا أصريت ونفذت ما فى رأسك وطَلَّقْتَ سلمى.

فقال عاصم ساخرًا:

- عفوك يا والدى فأنا أشتهى أن أجرب شعور الندم فقد أوحشنى إذ انقضى وقتٌ طويل لم أُحِسُّهُ فيه.

فنهض والده من مقعده وقال بلهجة من لا يعجبه الأمر:

obeikan.com

- انظرى إلى ولدك إنه يسخر من كلامى.. قد أفسده تدليلك له.

فوقف عاصم أيضًا وقال بقلق:

- إلى أين يا بوس (Boss)؟ نحن لم ننهِ حديثنا بعد.

فقال والده بنفادِ صبر:

- أنا انتهيت.. نصحتك وأنت غير مقتنع وفى النهاية أنت كبير بما يكفى أن تتخذ قرارك وتتحمل نتيجته.

فقالت والدته:

- أبوك مُحِقّ هذه حياتك ونحن لن نفرض عليك كيف تعيشها.

وأسرع عاصم يقبل جبين والده، ثم طبع على وجنتى والدته قبلتين، وقال متهللًا:

- شكرًا يا أبى.. شكرًا يا أمى.

وشعر فى تلك اللحظة أن حجرًا ثقيلًا انزاح عن كاهله، وقد اعتبر كلام والديه تسليمًا بقراره، وبقيت أمامه خُطْوَةٌ أخيرة ثقيلة.. سلمى.. لقد انتوى أن يُحَدِّثَهَا الليلة فى الموضوع وكل ما يرجوه أن يتم الطلاق بشكلٍ وِدِّيٍ وبهدوء والأهم أن يتم بسرعة، أما سر تعجله الطلاق فلأنه سمع أن الحزب يفكر فى ترشيحه لإنتخابات مجلس الشعب وهو لذلك يريد أن يسرع بتطليقها قبل أن يصل هذا الخبر إلى والده، فلو علم والده بالأمر الآن فسيصّر على ألا يطلق سلمى طبعًا بسبب ما لأهلها من ثِقَل سياسى وحزبى يُمَكِّنَهُم من دفعه للفوز فى انتخابات المجلس، إذا ما تم ترشيحه من قِبَلِ الحزب الحاكم الذى ينتمى إليه.. كانت هذه هى القصة الحقيقية أما تخمينات والدته بشأن المرأة الأخرى فلم تكن صحيحة.. لإن المرأتين

الموجودتين فى حياته حاليًا، إحداهما خديجة والأخرى عارضة أزياء غير مصرية عرّفه عليها مازن مؤخرًا، كلتاهما لا فرق بين أن يكون عاصم متزوجًا أو غير متزوج لتستمر علاقته بهما، فخديجة بالأساس متزوجة وهذه عقبته معها، زواجها هى وليس زواجه هو، وأما الأخرى فهى نوع من العلاقات العابرة.. علاقة للمتعة فقط وليس فى نية أى من الطرفين الإستقرار والإستمرار معًا.

...إن السبب الحقيقى لطلاقه من سلمى هو ما أعلنه لوالديه بالضبط ليست سلمى سيئة ولا يأخُذُ عليها شيئًا ولم تُقَصِّر فى حقه يومًا لكنه يشعر أنه يعيش معها فى سجنٍ كبير، ورغم علمه بحبها الشديد له لكنه ما عاد يستطيع أن يبادلها هذا الحب ويريد أن يسترد حريته.. إنه الآن فى أوائل الأربعينيات وكما قال والده لم يعد سنه هذا ولا منصبه أيضًا يسمحان له بالعبث كما كان فى العشرينيات والثلاثينيات، ثم إنه بالأساس، ومنذ زواجه من سلمى التزم بعدم خيانتها خيانة كاملة، بمعنى أنه كانت له علاقات عابرة بأخريات ولكن فى حدود لا تصل إلى حد المعاشرة الجنسية الكاملة، وبذلك هو يعتبر نفسه زوجًا مُخْلِصًا خاصة مع الجهد الكبير الذى كان يَبْذُلُهُ ليكبح جماح غريزته مع نساءٍ مستسلماتٍ وداعيات، وكم نَقَمَ على الزواج الذى حرمه من الإستمتاع الكامل بفاتنات عديدات مررن عليه أثناء زواجه.. كان يتمنى أن يظل حرًا طليقًا كابن خالته مازن لكن ضغوط والديه وإلحاحهما كانا السبب فى اقترانه بسلمى.. وربما كان هذا خطأً يحاول الآن إصلاحه.

وقرر أن يجتمع بسلمى وحدهما فى نفس اليوم مساءًا، وكان قد طلب منها أن تُبقى ابنتهما تلك الليلة فى بيت والد سلمى لأنه يريدها وحدها فى أمرٍ مهم، أما المسكينة فقد ظنت خطأً أنه يريد أن ينفرد بها ليقضيا ليلة من ليالى شهر العسل، خاصة بعد أيام الجفاء الطويلة السابقة، فاتخذت

زينتها واختارت قائمة العشاء من الأصناف التى تعلم أنه يحبها ووقفت على ترتيب المائدة بنفسها حيث زينتها بالشموع والورد.. ولما حضر عاصم ورأى الجو الرومانسى المحيط به شعر أن مهمته ستكون أصعب مما تخيل. أما سلمى فما أن رأته حتى أسرعت للإرتماء فى حضنه ثم طبعت على شفتيه قبلة حارة بينما تصلب جسده فلم يتجاوب مع قُبلتها ولا رفع ذراعيه ليحوطها بهما، وابتعدت عنه سلمى ونظرت إليه بريبة وتوجس فشعر بالحرج ثم استجمع شجاعته، وقال بهدوء:

- سلمى.. أريد أن أتحدث معك قليلًا.

حاولت أن تُخْفِىَ توتُرها وقالت بهدوء:

- أو كيه (OK) ولكن ألا نأكل أولًا؟

فقال عاصم:

- أنا لست جائعًا.. تفضلى أنتِ تناولى طعامك براحتك وسأنتظرك فى المكتب.

ولم تستطع أن تسيطر على قلقها أكثر من ذلك فقالت:

- أنا أيضًا فقدت شهيتى للأكل.. سأذهب معك كى أرى ماذا لديك لأنه من الواضح أن الأمر هام.

كانت المسكينة تتوقع أنها مشكلة جديدة فى الوزارة سبَّبَهَا أَحَدُ أقاربها، ولم يخطر ببالها أن المصيبة أفدح من ذلك بكثير، بالنسبة لها، وتَبِعَتْهُ إلى المكتب وبعد دخولها أغلق الباب حتى لا يسمعهما الخدم، وجلس فى المقعد المقابل لها .

وقالت هى فى لهفة:

- خيرًا إن شاء الله.. أتعشم أن لا تكون مشكلة جديدة فى العمل.. تعرف أبى يمكن أن..

فقاطعها قائلًا:

- العمل ليس فيه مشكلة.. أنا جئت لأتحدث معكِ عن المشكلة الموجودة هنا فى البيت.

فردت بدهشة:

- مشكلة هنا؟ أية مشكلة؟

فقال عاصم بحنق:

- هل أنتِ راضية عن الحالة التى نحن فيها الآن؟ الحياة في البيت صارت باردة والمسافات بيننا كل يومٍ تزيد أكثر.

فقالت سلمى برفق وكأنها تواسيه:

- يا حبيبى أنا مُقَدِّرَةٌ لحجم المسئوليات الملقاة على عاتقك وألتمس لك العذر ولست مستاءة لإن الأمر ليس بيدك بل أنا مستعدة لأتحمل أكثر.

... لماذا تُصعّبها عليه؟ لقد أخذ قراره ولن يتراجع وقال ببأس:

- لكن أنا مستاء ولست قادرًا على التحمل أكثر.

، وبدأت تفهم فوقع قلبها بين قدميها وقالت بحذر:

- ما الذى تعنيه بكلامك هذا؟

فأخذ عاصم نفسًا عميقًا ثم قال مقررًا:

- سلمى.. نحن يجب أن نفترق

Obeikan.com

فهتفت باستنكار:

- نفترق؟ هل تريد أن.. ننفصل؟

فقال عاصم مبررًا:

- أنتِ من حقك أن تعيشى حياتك وأنا لا أريد أن أكون أنانيًا و...

فقاطعته قائلة فى ألم:

- ومن قال لك أنى لا أعيش حياتى معك؟ رغم بعدك وبرودك معى الفترة الماضية لكنى كنت راضية بل وسعيدة بحياتى البائسة هذه، هل تعرف لماذا؟ لأنى أحبك وكنت مستعدة أن..

ولم تكمل جملتها فقد أجهشت بالبكاء فجأة وظلت لمدة خمس دقائق كاملة تبكى وهو يراقبها فى صمت، ولم يستطع أن يتفوّه بكلمة وقد شعر كم آذاها وجرحها لكنه لن يتراجع وهو مُصِرٌّ على أن ينهى المسألة الليلة...

وبدأت دموع سلمى تخفُت واستجمعت نفسها وتماسكت قليلًا

ثم قالت بكبرياءٍ جريحة:

- ولكن هل أعرفها؟

فقال عاصم بدهشة:

- تقصدين من؟

فقالت سلمى بمرارة:

- حبيبتك الجديدة التى ستطلقنى كى تتزوجها.

فأسرع عاصم بالنفى قائلًا:

obeikan.com

- لا توجد جديدة أو قديمة قد فهمت خطأً.

فابتسمت سلمى بسخرية وقالت بمرارة:

- أفهِمْنِى أنت الصحيح إذن.. إذا لم تكن هناك أخرى فلماذا تُصِرُّ على الطلاق؟

- لأنى وكما قلت لكِ لا تعجبنى هذه الحياة الباردة التى نحياها الآن معًا.. كأن الطلاق وَقَعَ ولكن بصفة غير رسمية.. صدقينى ليس من العدل أن تعيشى مع رجلٍ لا يبادلك مشاعرك.

فقالت بألم:

- وهل من العدل أن تغدُرَ بى وأنا أحبك؟

- أنا لم أغدر بك.. صدقينى الوضع الذى نحن عليه ليس جيدًا لكِ أو لى.

- هذه وجهة نظرك أنت وحدك.

ثم شدّت نفسها وقالت بترفع:

- عمومًا واضح أنك اتخذت قرارك وليس لديك استعداد أن تتراجع وتحاول إصلاح الأمور لتعود حياتنا معًا كما كانت، وأنا لن أتوسل إليك، افعل ما تشاء.

ورُغمًا عنها بدأت دموعها تنهمر من جديد.

فقال عاصم برفق:

- سلمى أنا أتمنى بعد وقوع الطلاق أن نظل أصدقاء وأنت تعرِفِين..

فقاطعته قائلة من وسط دموعها:

obeikan.com

- صعب.. صعب جدًا أن نظل أصدقاء.. خصوصًا الآن وأنا لتوى مجروحة منك.

فقال عاصم بتردد:

- ولكن ابنتنا...

فقالت بتفهم:

- طبعًا ستبقى معى وتفضل بالمجىء فى أى وقتٍ لتراها.

وسكتت لحظة ثم تحاملت على نفسها وقالت:

- واطمئن أنا أبدًا لن أُفَكِّرَ فى تشويه صورتك أمامها فى يومٍ من الأيام.

- أعرف ويقينى فى ذلك.

وصمت لحظة ثم أردف بخجل:

- سلمى.. أرجوكِ أن تسامحينى

ونهض فتناول يديها وقبّلهما ثم أطلقهما وفرد جذعه وألقى عليها نظرة وداع ثم قال برباطة جأش:

- سلمى.. أنتِ طالق.

وخرج وتركها فانخرطت فى بكاءٍ مرير..

***

مالت أميرة على خديجة وهمست لها قائلة:

- ألا تلاحظين أن عاصم صار أجمل هذه الأيام خاصة؟

فنظرت إليها خديجة باستغرابٍ وقالت:

- ولماذا هذه الأيام خاصة ؟

فقالت أميرة بخبث:

- لإنه عاد سينجل (single) ألم تلحظى يده؟ مر أسبوع وهى خالية من خاتم الزواج.

- وهل هذا دليل؟ قد يكون قد نسيه أو ضاع منه أو من الجائز أن يكون قد ضاق عليه.

- وسيظل ناسيًا له أو ضائعًا أسبوعًا كاملًا؟ كما أنك ترين هو لم يَسْمُنْ جرامًا واحدًا.. لا.. وحالة الانتعاش البادية عليه أيضًا كل ذلك يؤكد ظنونى هو غالبًا طلَّقَ زوجته.

فقالت خديجة بانزعاج:

- أعوذ بالله طلّق زوجته؟ ولو كان طَلَّقَهَا كما تظنين ما الذى يجعله ينتعش؟ إنه أمر يدعو للحزن والأسى لا الفرح والسرور وخصوصًا وأن له منها ابنة.

فابتسمت أميرة وقالت باستهانة:

- كم أنتِ طيبة يا خديجة.. أتظنين أن الزواج والطلاق عند هذه الطبقة مثلنا يكون مصيبة وكارثة مُحْزِنَة؟ يا سيدتى هذه الأمور عندهم بسيطة وإيزى (easy) كما الفنانون يقع الطلاق ويظلوا أصدقاء بشكلٍ عادىّ.

قالت الجملة الأخيرة بنبرة ساخرة

ولحظتها سمعتا طرقًا على الباب ثم ظهر همام وقال:

ebeikan.com

- معالى الوزير يريدكما أنتما الإثنتين حالًا.

وكانت خديجة قد فوجئت بعد عودتها من الإجازة الطويلة – التى أخذتها بسبب مرض زوجها – أن المكتب المستقل الذى أعده لها عاصم لم يكن سوى حجرة صغيرة ملحقة بحجرة مكتبه، كانت تُسْتَخْدَمُ فى تخزين الملفات القديمة والأشياء غير ذات الأهمية، وأى شخص كى يدلف إلى مكتبها عليه أن يمر من خلال حجرة عاصم أولًا وليس لحجرتها الجديدة مدخل آخر!

أما سليم فقد اختار له عاصم حجرة منفصلة فى أقصى الرواق بعيدًا عن حجرة مكتبه تمامًا وبدأ فى تجميده، بسحب الكثير من المهام والاختصاصات منه، وعزله بانتقاء ملفات محدودة غير ذات وزن ليعمل بها.. كانت هذه خطوات فى سبيل التخلص منه واقتلاعه من الوزارة.

وخرجت خديجة من حجرتها وأميرة خلفها وجلستا أمام عاصم الذى جلس كعادته يناقش معهم أمور العمل بحماسٍ ونشاط بينما كانت خديجة شاردة الذهن وبذلت جهدًا كبيرًا لتُرَكِّزَ فيما يقوله عاصم ولاحظ الجميع شرودها ذاك.

وأنهى عاصم حديثه ثم صرف همام وأميرة من الحجرة، وبعد أن أصبح وحده مع خديجة قام ليجلس فى المقعد المُقَابِلِ لها أمام مكتبه، وأدنى المقعد وهو جالس عليه منها ثم أخذ يتأملها ويتفحص ملامحها بدقة وكأنه يحاول أن يقرأ ما بداخلها ويعرف سبب شرودها، وبعد فترة صمت تناول يدها برقة وربت عليها بحنان وهو يقول برفق:

- هيا أخبرينى ما بِكِ؟

فأجفلت خديجة وأسرعت تسحب يدها وقالت باضطراب:

- أنا.. أبدًا.

ووقفت ثم أكملت:

- سأذهب لأنهى عملى.. بإذن معاليك.

فأمسك معصمها وشدَّها إلى أسفل قائلًا بلهجة آمرة:

- تفضلى اجلسى.

فجلست على مَضَضٍ على حين قال هو:

- كلنا لاحظنا شرودك والحزن البادى على وجهك.. إذا كان ثمة مشكلة لابد أن تحكى لى عنها.

فقالت خديجة بحزم:

- هذه أمور شخصية وأنا لا أحب، بعد إذن معاليك، أن أتكلم فيها لإنها لا تخص أحدًا غيرى.

فقال عاصم بتركيز:

- ما يخصك يخصنى وما يضايقك يضايقنى، ونحن هنا كلنا أسرة واحدة.

- أسرة واحدة فى العمل فقط.

فقال عاصم بإصرار:

- وخارج العمل أيضًا خصوصًا إذا كان يؤثر على العمل.

فقالت مدافعة:

- ولكنى لم أُقَصِّر فى عملى و..

فقاطعها قائلًا:

- حتى الآن نعم ولكن أنتِ شاردة باستمرار وغير منتبهة لمعظم ما يُقَال وبسبب ذلك أنا أتوقع خطأً منك فى العمل قريبًا.

وسكت لحظة ثم أردف برفق:

- لماذا لا تريدين أن تحكى لى؟ اعتبرينى صديقًا وبوحى لى بما يُثْقِلُ كاهِلَكِ.

وسكتت خديجة فآخر شخص تفكر فى أن تحكى له هو عاصم بالذات لأنها تخشى أن يستغل الموقف، وهو لابد فاعلًا، كما لا يليق بها أن تُخرِج أسرار زوجها وطال صمتها.

فقال عاصم مُحَذِّرًا:

- ليكن معلومًا لديك أنك لن تنصرفى من أمامى الآن قبل أن تحكى حتى لو بِتْنَا هنا.

وأُسْقِطَ فى يدها فهى تعلم أنه صادق فى تهديده هذا ومادام مُصِرًّا فلن يتركها حتى يعرف ما بها، ولم يكن أمامها إلا أن تبوح بشىءٍ مما ينوءُ به صدرها فتنهدت تنهيدة حارة، ثم قالت أخيرًا بصوتٍ مهموم:

- معتز تغيّر كثيرًا فى الأيام الأخيرة بعد أن منَّ اللهُ عليه بالشفاء.. لا أعرف ما الذى أصابه جسمه شُفِىَ وعقله تَعِب.

فقال عاصم باهتمام:

- عقله تعب بأىِّ معنى؟

فقالت بتحسر:

- أشياء لو كان حكاها لى أى شخص ما كنت سأصدقها.. معتز كان طيلة حياته ملتزم ومتديّن انقلب فجأة لا أعرف كيف ما عاد يصلى وأصبح يشرب الخمر ويسكر هو الذى لم يشرب سيجارة فى حياته من قبل، حتى أولاده كان كل يوم لابد أن يجلس معهما ليذاكر لهما قليلًا ويلعب معهما أما الآن فقد يمر الأسبوع دون أن يراهم أكثر من ساعة وبالصدفة ولا عاد يسأل عنهم ولا يتابعهم أما المصيبة الأكبر فهي..

وبترت جملتها وأطبقت شفتيها بقوة كأنها تمنع نفسها من الإسترسال فى الحديث وإن ظللّ الألم ملامح وجهها، ورقص قلب عاصم طربًا وهو يسمع منها ذلك.. فها هو الشيطان يساعده ويُخَرِّبُ لخديجة بيتها، وعما قريب ستصبح وحيدة ويَسْهُلُ على عاصم افتراسها وتماسك وهو يرسم الجدية على ملامح وجهه وقال:

- لا تقولى شيئًا الموضوع طبعًا فيه ساقطات.

فأسرعت خديجة تنفى قائلة:

- أنا لم أرَ شيئًا ولا أستطيع أن أُجْزِمَ بإنه...

وخفضت رأسها ونظرت إلى الأرض وأكملت بصوتٍ خافت:

-....... يخوننى.

فقال عاصم بغيظ:

- هذا بديهى، مؤكد أنه فعلها.

ثم أردف بتعجُّب:

- أنا فقط لا أفهم لماذا تصمتين على أفعاله القذرة هذه؟ أقله اسأليه لماذا تبدل هكذا.

- طبعًا سألته وهو يبرر تصرفاته بأنه يريد أن يتمتع بالدنيا التى كان سيحرمه منها الموت، وقد أوشك أن يموت دون أن يُجَرِّبَ ملذاتٍ كثيرة فى الحياة ولذلك يقوم الآن بالإغتراف منها، وكلام كثير كُلُّهُ خَرَفٌ وشَطَطْ لم أفهمه ولم يُقْنِعْنِى.

- واضح أن مرضه هذا أحدث له هزة نفسية قوية، كان لابد أن يعرض نفسه على دكتور نفسى.

- هذا ما خمنته أنا أيضًا وقرأت على النت أن من هم فى مثل حالة زوجى من مواجهة للموت وفترة الغيبوبة الطويلة قد يحدث لهم مثل ما يحدث له الآن من انحراف وإفراط فى استهلاك مُتَعِ الحياة بشكل مَرَضىّ، لهذا اقترحت عليه هذا الإقتراح فقد يستطيع الطب النفسى إعادة تأهيله ومعالجته، ولكنه لم يسمع أبدًا وأنا لا أعرف ماذا أصنع معه الآن ولا إلى متى سأستطيع أن أتحمل شططه هذا؟

قالت الجملة الأخيرة بصوتٍ مُخْتَنِقٍ ثم انهارت فى البكاء، ووَدّ عاصم لحظتها لو يهدهدها بين ذراعيه لكنه كان يخشى ردة فعلها، وتناول عدة مناديل ورقية من العلبة فوق المكتب ثم اقترب منها ورَبَتَ على كتفها بحنانٍ بالغٍ وقدَّمَ لها المناديل قائلًا:

- أستحلفك بالله ألا تبكى فهو لا يستحق دمعة من عينيك الجميلتين.

وتناولت خديجة منه المناديل وجففت دموعها ثم نهضت وقالت:

- آسفة قد صدعت رأس معاليك بمشاكلى.

وهمت بالإنصراف لكنه أمسك معصميها بقوة وتطلع فى عينيها مباشرة وقال:

- إياكِ أن تخشى شيئًا.. أنا دائمًا سأبقى إلى جوارك وسأحميكِ.

ثم أطلق يديها فدخلت حجرتها وأغلقتها عليها.. إنها لم تُخْبِر عاصم أنها ضبطت زوجها عدة مرات يشاهد أفلامًا مُخِلَّة ويدخل على مواقع إباحية عبر الإنترنت (net) (الشبكة العنكبوتية) وسمعته وهو يتكلم فى هاتفه المحمول مع سيدات بعبارات غزل خارجة – لم تسمع هى زوجته مثلها منه طيلة سنوات زواجهما التى قاربت تسع سنوات.. أما خيانته لها فى الفراش فإنها تُحِسُّهَا لكن لا تستطيع أن تتهمه دون أن ترى بعينيها.. تفاصيل كثيرة تؤذيها وتُفْزِعُهَا ولكنها تكتم فى نفسها.. إلى متى ستتحمل شطط زوجها وتصبر على سفالاته وإلى أين ستصير حياتها هى وأولادها مع هذا الجُمُوحُ الذى أصاب زوجها وهو سادِرٌ فى غيِّهِ مُصَمٌّ أذنيه عن كل نُصح؟!

أما عاصم فقد أشعل سيجارته وأخذ يُدَخِّنُهَا فى تَلَذُّذٍ وهو يسترجع كلمات خديجة منذ قليل وكأنها أغنية أثيرة تَهُزُّ مشاعره ويطرب لسماعها قلبه.. وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة فلقد بدا له أنها أيام حظه.. أولًا تم طلاقه من سلمى بهدوء وبدون خسائر كما تمنى.. ثم ها هى الآن خديجة التى لم تكن فى حساباته وهو يخوض معركة الطلاق.. خديجة؟! لقد أتت الرياح أخيرًا بما تشتهى السفن وليس ببعيدٍ أن ترسوَ على شاطئه فى غُضُونِ أيامٍ تالية، ولن يطول انتظاره لأنه يدرك أن تأكد خديجة من خيانة زوجها لها سيكون نقطة فاصلة لن تستطيع تحمل الحياة معه بعدها ولابد أن هذا المجنون – زوجها – بما أصاب عقله من لوثة سيجاهر بمعصيته فى وقتٍ قريب، وحينها عندما تصطدم خديجة بأخِر سفالات زوجها سيكون هو بانتظارها فاتحًا ذراعيه عن آخرهما لتسكن بين أحضانه ويُهَدِّئَ روعها ويصير – كما قال لها – سندًا وظهرًا يدعمها حتى يُخْرِجَ غريمه من حياتها إلى الأبد.. وإلى أن يحدث ذلك سيكتفى بإبداء تعاطفه وإظهار حُنُوِّهِ وحبه ويشير إليها تلميحًا، لا تصريحًا، بأنه مستعد أن يكون الرجل الجديد فى حياتها – إذا سمحت له بذلك – وهو واثق أنها

ستسمح وستفتح باب قلبها على مصراعيه له، فوقتها ستكون أنثى محطمة الكبرياء مجروحة القلب.

***

فى الأيام التالية زاد عدد الساعات التى يقضيها معها وحدهما فى المكتب بحجة ضغط العمل طبعًا، وأثناء جلوسهما معًا كان يرمى بين الفينة والفينة تعليقًا يُطْرِى به جمالها ويتغزل فيها بصورة غير مباشرة أو يُرْسِلُ لها نظرة إعجابٍ صريحة أو يهمس لها بكلمة توحى بولعه وشغفه بها، وكان يفعل ذلك بجرعاتٍ محسوبة حتى لا تفزع من مطاردته لها، فلم ينس أنها لازالت زوجة ولو كانت كارهة لزوجها ومادامت فى ذمة رجلٍ آخر فستظل محافظة على ألا يَحِلَّ غيره محله إلى أن تتحلل من هذا الارتباط، وفى ذات السياق أيضًا لم يعد يسألها عن مشاكلها مع زوجها لئلا تظن أنه يتدخل فى حياتها ويريد أن يُفْسِدَ العلاقة بينها وبين زوجها لغرضٍ فى نفسه، إنه يريد أن يظهر أمامها فى صورة الفارس النبيل الذى يجىءُ لإنقاذها بعد أن هدم زوجها المعبد فوق رؤوس ساكنيه، كما أنه لم يكن بحاجة لسؤالها فوجهها ينبئ بحالها.

***

ولم يطل انتظاره، وكما توقع، فوجئت خديجة بزوجها مع إحدى الساقطات فى غرفة نومها وفوق سريرها وسقطت مغشيًا عليها ولما أفاقت كان طلبها الوحيد الطلاق، ولجأت إلى منزل والدتها ولم تذهب إلى العمل فى اليوم التالى، وخفق قلب عاصم عندما لم يجدها فى مكتبها ولم تُبْلِغ أحدًا أنها ستغيب فى ذلك اليوم، وعرض همام أن يتصل بها ليستفسر عن سر غيابها لكن عاصم منعه على أساس أنه لا يحتاجها فى أمرٍ عاجل، وكلّفه بمهام إٍخرى وصَرَفَهُ، وبمجرد أن أصبح وحده فى مكتبه أخرج هاتفه

المحمول واتصل بها فى لهفة وقد كان على شبه يقين أن ما تصوّره قد حدث وأنها قاب قوسين أو أدنى من الطلاق، إذا لم يكن الطلاق قد تم بالفعل أمس، ورنّ هاتفها كثيرًا دون أن تُجِيب، كان متلهفًا لسماع صوتها ومعرفة ما حدث لدرجة أنه كان يفكر فى أن يزورها فى البيت إذا لم تُجِبْ على اتصاله، وأخيرًا سمع صوتها وأسرع يقول بعتاب:

- ماذا يا خديجة أنا أهاتفك من وقتٍ طويل لماذا لا تجيبين على اتصالى؟

- آسفة معاليك الموبايل كان فى حقيبة يدى ولم أسمعه.

ولم يكن بحاجة لأن يسألها فنبرات صوتها المنهكة الحزينة تُنَبِّئُهُ بما حدث لكنه أصرّ على أن يسمعها منها فقال وقلبه يخفق فى انفعال:

- الداعر الفاجر ضبطتيه أليس كذلك؟

وسمع صوت بكائها وقالت بصوتٍ مختنق:

- إذا سمحت معاليك أنا لست قادرة على الكلام الآن.. أنا أشعر بتعبٍ شديد.

وأجهشت فى البكاء من جديد فاعتصر الألم قلبه وهو يسمع نحيبها وآهاتها فلم يكن يحب لها أن تتألم إلى هذه الدرجة، ووجد نفسه يقول بغضب:

- والسافل الحقير قام بتطليقك أم ليس بعد؟

فقالت من وسط دموعها:

- ليس بعد.

فقال عاصم باستنكار:

- ولماذا لم يفعل؟ ماذا ينتظر بعد الفعلة الشنيعة التى أتاها؟ هل يظن أنك يمكن أن تظلى معه دقيقة واحدة بعد ما حدث؟

وسكتت خديجة واستمرت فى بكائها ولم تُجِبْه

فقال:

- طبعًا تركتِ له البيت.. أين أنت الآن؟

فتنهدت وقالت:

- عند والدتى.

- سآتى إليك الآن أعطينى العنوان بالضبط.

ولو هلة لم تستوعب ما قاله، ثم قالت متوسلة:

- تأتى أين معاليك؟ أرجوك أنا لا أريد فضائح ومعاليك تعرف أنى يجب أن أحافظ على صورته من أجل أولادى ثم أساسًا معاليك ماذا ستصنع بمجيئك إلىَّ عند والدتى الآن؟

فرد على الفور:

- أريد أن أراكِ ولكى يعلم هذا السافل أنه رُغْمًا عنه سَيُطَلِّقُكِ وأنَّكِ مسنو..

فقاطعته قائلة:

- بعد إذن معاليك الموضوع له أبعادٌ أخرى.. ليست الفكرة أنه لا يريد أن يُطَلِّق .. سأشرح لمعاليك عندما أراك غدًا إن شاء الله فى الوزارة.

- وهل تعتقدين أنى سأستطيع الإنتظار للغد؟ لا.. إذا كنتِ لا تريدين أن أجىء إليكِ فى البيت فلنتقابل خارجه فى أى مكان.

وسكت لحظة ثم أردف مُتَذَكِّرًا:

- أنا بعد نصف ساعة سيكون لدىَّ اجتماع وعندما ينتهى لن تكون لدىَّ مواعيد أخرى.. حددى المكان والزمان وسأجىءُ إليكِ.

- لن أستطيع الخروج من المنزل اليوم.. أنا آسفة.

فقال بإصرار:

- لا تحاولى سأراكِ اليوم أى سأراكِ.

وفكر قليلًا ثم أردف:

- تعرفين؟ معك حق لن يصلح أن آتى إلى منزلك فلن يكون الشكل مُستَسَاغًا، إنما يمكن أن تنزلى أنتِ بحجة أننا فى الوزارة محتاجون لأوراقٍ مُهِمَّةٌ فى مكتبك وأنتِ وحدك معكِ المفتاح، وأنا سأبعث إليكِ السائق وأُهاتِفُكِ.. لا لن يصلح.. سأُعطِيكِ رَنَّةً فقط قُرْبَ نهاية الإجتماع كى ترتدى ثيابك وتستعدى.

فقالت بِفُتُور:

- لكن أنا لست قادرة على أن أتحرك من مكانى و...

فقال بحزم:

- سأبعث السائق إليكِ وكما اتفقنا.

وأغلق الخط دون أن يُعْطِيَهَا الفرصة للاعتراض من جديد، وفكرت ماذا عساها ستفعل؟ إنها فى أشد الحاجة إلى أن تكون وحدها وقد استنفذ

Obeikan.com

البكاء كل طاقتها فلم يَغْمَضْ لها بالأمس جفن، وصورة زوجها مع الأخرى شبحٌ يمثُلُ أمامها كل لحظة ليحرق قلبها ويستنزف دموعها، وعاصم لماذا يُصِرُّ على لقائها الآن ويُلِحُّ بِشِدَّة، وبأية صفة ستقابله؟ وهى حتى هذه اللحظة وبرغم ما حدث لازالت فى عصمة رجل آخر.. حقيقة لا تستطيع أن تنساها ولا أن تنسى نوايا عاصم نحوها، ولكن ها هو الشيطان يتم صنيعه لعاصم فَيُوعِزُ لها أنه ليس فى لقائها بعاصم ما يُشِيْنُهَا فهى ليست ذاهبة إلى موعدٍ غرامىّ وإذا لم تذهب قد يسبب عاصم لها مشكلة وقد لمست إصراره المستميت على الإلتقاء بها، إذن فلتذهب إيثارًا للسلامة ولن يُضِيْرَهَا لقاؤه فى شىء بل على العكس إن كلامه معها خارج العمل سيكون أفضل من لقائهما والتحدث أثناء العمل وحولهم الموظفون بين داخلٍ وخارجٍ، وهكذا استسلمت لأوامره والتقته فى أحد الأماكن العامة، ولما رآها هاله الذُبُولُ الذى كسا ملامح وجهها وعينيها المحمرتين من أثر الدموع وقلة النوم، واحتضن يديها بيديه فى رفقٍ، وقال بحنان:

- اجلسى.

وجلست قبالته وقال:

- أسأل الله أن لا يكون أحد الصحفيون الثقلاء مارًا من هنا ويرانا.

فقالت ناصحة:

- من أجل هذا اقترحت على معاليك أن ننتظر للغد فأنا لا أحب أن أسبب ضررًا لمعاليك من أىِّ نوع.

- نحن نتناول غدائنا فى مطعمٍ عادىّ فى فترة الراحة وأنتِ مُساعِدَتِى لا أظن أن فى هذا ما يُرِيْب، ثم أنتِ عندى أهم من الوزارة ومن الدنيا كُلِّهَا.

وابتسمت فى شحوب فقال عاصم:

- هيا احكى لى ولكن ماذا ستأكلين أولًا؟

- طبعًا ولا أى شئ.

- أنا أيضًا ليست لدى شهية لآكل.

وجاء النادل فطلب منه قَدَحَيْنِ من القهوة التركية السادة، وبعد انصرافه قال:

- هيا تكلمى ما الأمر؟

- هو طبعًا غير موافق على الطلاق.

فقال عاصم بانفعال:

- غير ماذا؟ سيُطَلِّقُ ورُغْمًا عنه فليس الأمر خاضعًا لِمِزَاجِ سيادته، أنتِ تحتاجين رجلًا يقف لهذا الوضيع.. أين والدك؟

- والدى توفاه الله من خمس سنوات ولكن أنا لدىَّ اثنين من الإخوة الذكور سيقفون معى طبعًا، لكن هذه ليست المشكلة.. المشكلة فى والدتى.. والدتى تريدنى أن أغفر له ونستمر معًا من أجل الأولاد فلم يحدث فى عائلتنا حالة طلاقٍ واحدة من قبل ونحن زواجنا مثل الأقباط المسيحيون ليس فيه طلاق وأولادنا لا يقوم على تربيتهم رجُلٌ غريب والمُطَلَّقَةُ تعيشُ فى جحيم.

- ما هذا الكلام! حتى الأقباط الذين تستشهد والدتك بهم يُطَلِّقُونَ لِعِلَّةِ الزِنَا.. ثم إن هذا لم يعد آدميًا هذا حيوان وإذا استمريت معه قد يؤذيَكِ أنتِ أو الأولاد.

- قلتُ لها هذا لكنها من سيداتِ الزمن الماضى لا تعرف غير أن المرأة يجب أن تتحمل وتُضَحّى من أجل أولادها.. لقد قلت لها أنى ما عدت أُطِيْقُهُ أو

أَطِيقُ أن يلمسنى أو أن أرى وجهه فهل تعرف ماذا قالت لى؟ قالت انفصلى عنه لكن فى نفس البيت اهجرى حجرته ونامى مع أولادك فى حجرتهم لكن طلاق على يد مأذون مُستحيل.

- اسمعى منى.. مع احترامى طبعًا لوالدتك ضعى كلامها جانبًا، أنا سأُحْضِرُ لكِ محامى ممتاز سيأخذ لكِ حكم بالطلاق من أول جلسة، هذا إذا أصرّ ولم يُنْهِ الموضوع بشكلٍ وِدّىّ.

- أنا أخوىَّ قالا لى أنهما معى فى كل ما أراه، وإذا كنت أرى أنى لن أستطيع أن أغفر له فسيؤيدون قرارى ويجعلونه يُطَلِّقُنِى رُغْمًا عنه.

- طبعًا رجال وهذا هو الكلام الصحيح، رجل لم يحافظ على أختهم وأهانها لابد أن يأخذ فوق رأسه.. وحاله هذا لن يتغير بالمناسبة مادام قد وصل به الفُجور إلى هذه المرحلة فقد أصبح نَجِسًا ولن ينظف أبدًا.

وأخذت خديجة تتأمل عاصم فى صمت فقال لها:

- ماذا؟ هل فى كلامى خطأ؟

ثم أردف بحذر:

- إياكِ أن تكون والدتك قد لعبت فى رأسك وتفكرين فى الصفحِ والعودة.

فتنهدت وقالت:

- أنا الآن لست قادرة على التفكير ولا أعرف ماذا سأصنع.

فقال مُحَفِّزًا:

- افعلى ما ينبغى فعله طبعًا لابد أن يخرج من حياتك فورًا وكفاك ما رأيتيه منه.

وعادت تتأمله فى صمت وشبح ابتسامة ساخرة فوق شفتيها..

وقال:

- ماذا؟... هل كلامى لا يُعْجِبُكِ؟ ألا توافقيننى فيما أقوله؟

- ليست الفكرة إنما كنت أتوقع أنك ستقول هذا وتنصحنى طبعًا أن أتركه.

فقال بسرعة:

- لأجل صالحك طبعًا.

ثم استدرك بِخُبْث:

- وصالحى أنا أيضًا.

ثم أكمل مدافعًا:

- أنا أحبك ولا أُرِيْدُكِ أن تتأذى ثانية أو تُجْرَحِى ثانية.

وأمسك يدها الموضوعة على المائدة فسحبتها وقالت:

- أنا سوف أستخير الله وبعد ذلك سأتخِذُ قرارى.. سأفكر فى الذى قلته معاليك والذى قالته والدتى ولكن عندما أهدأ قليلًا، وإذا كنت معاليك ستسمح لى بإجازة يومين .

- طبعًا خذى وقتك .

وسكت لحظة ثم أردف:

- ولو أنى سأشتاق إليكِ كثيرًا.

obeikan.com

فقالت بحرج:

- بمناسبة المكتب أنا لى رجاء معاليك.. لا أريد أن يعرف أىَّ شخصٍ فى العمل شيئًا مما حدث.. على الأقل حتى أرى كيف سينتهى الأمر.

- أفهم... أفهم... لا تخافى لن أُخْبِرَ أحدًا رُغم أن الأمر انتهى فعلًا.

فنهضت ومدت يدها تصافحه قائلة بامتنان:

- شكرًا معاليك.. شكرًا على كل شىء.

فمد يده يصافحها وهو واقف وقال:

- بالمناسبة السائق سيقوم بتوصيلك.

فقالت وهى تتلفت حولها:

- بالمناسبة معاليك أنا أتعجب أن المطعم خالى.

فقال بترفع:

- نعم فقد قلت للأمن خاصتى أنى سأتناول غدائى هنا فأمَنوا المكان بطريقتهم.

فأومَأَت برأسِها، وابتسمت فى سخرية، ثم قالت:

- أراك على خير.

- رافقتكِ السلامة.

وانصرفت من أمامه وهو يتابعها ببصرهِ ويتبَعُهَا بقلبه.. كم يُحِبُّهَا ويتمناها ويتعجل اللحظة التى يَحُوْزُهَا فيها فى فِرَاشِهِ.

obeikan.com

الإنْتِقَام

obeikan.com

الخير والشر فينا يتنازعانا والشيطان يُزَيِّنُ لنا الشر ويضع لنا مبرراتٍ واهية لنستسلم لنوازع الشر فينا.. وها هو قد أغوى وفاء وأعماها فأسلمت قيادها له وصممت على أن تنتقم لقلبها الجريح وأنوثتها الممتهنة ممن صوّر لها الشيطان أنه ظلمها وخدعها وخانها وبدأت وفاء ترسم وتخطط وهداها شيطانها لأبشع طريقة تحقق بها انتقامها منه.. من طارق.. الذى فُتنت به وأحبته حتى الموت.

بدأت ترمى شباكها على شابٍ شبه عاطل فسقط سريعًا صريعًا فى هواها، ومثلما كانت سالومى حين طلبت رأس يوحنا المعمدان طلبت وفاء استلاب حياة طارق مهرًا لها وأقنعت شريكها بأن الأمر سهل ولن تنكشف الجريمة.. خطة مُحكمة وخطواتها بسيطة.. ستسافر أولًا إلى بلدها وبعد خمسة أشهر من سفرها سيراقب هو تحركات طارق ويختار الوقت المناسب لتنفيذ جريمته.. سيقوم بدهسه بالسيارة أثناء عبور الطريق ليبدو الأمر وكأنه حادث سيارة عادى، وستكون عقوبته، كما هو معمول به غالبًا فى هذه الدول، دفع الدية لأن التحقيقات سَتُثْبِتْ أنه قَتْلُ خطأ، وستعمل هى على تدبير مبلغ الدية الذى سيُحكم به، وبعد شهر أو شهرين من غلق الملف يلحق بها فى بلدها لينال مكافأته بالزواج منها.

ورُغْمَ خطورة الأمر إلا أن وفاء أحسنت اختيار من تُسْنِد إليه تنفيذ الجريمة فهذا الشاب جاء من بلد يتدثر أهلها بالبؤس ويتنفسون الفقر تحت جِلْدَتِهِم وقد أغرقهم فى هذا الوحل - كما هى العادة - الحكام الظالمون والسياسيون الفاسدون.. لقد أتى من بلد ليست من بلاد العرب لكنها دولة إسلامية مع الأسف حيث لم يُطَبَّق فيها من مبادئ الإسلام وتعاليمه شىء فلا العدل ولا طهارة اليد ولا الدعوة إلى العلم والتعلم.. انشغلوا بحجب النساء لدرء الفتنة وإطلاق اللحى... جاء هذا الشاب من بلاده خاويًا فلا علم لديه ولا طموح ولا مال ولا كرامة.. لا يميّز إلا غرائزه

من مأكلٍ ومشربٍ وجنس.. كان طبيعيًا أن يتهالك أمام أية امرأة.. أمام أى جسد لامرأة تقبل أن يفرغ شهوته فيها فيشعر أنه فى الجنة ولم تكن وفاء امرأة فحسب بل كانت طوفانًا من الأنوثة أنى لمثله ألا يغرق فيه؟ وعندما تأكدت من سيطرتها التامة عليه أمرته فأطاع، وقد أعمى قلبها جمود طارق معها وجفاؤه الشديد لها رغم أنها حاولت معه كثيرًا ومنحته أكثر من فرصة ليرجع عن صدّه ورفضه، لكن إصراره زاد إصرارها وها هى تنتقم منه زورًا وبهتانًا.

وسافرت إلى بلدها وبعد انقضاء المدة المتفق عليها مع شريكها أعطته إشارة البدء، وبدأ الفتى فعلًا فى مراقبة طارق دون أن يشعر المسكين بشىء.

كان طارق وقتها يعيش أزهى أيام حياته، كما تصوّر، لأنه حَقَّقَ فى عمله نجاحاتٍ كبيرة، كما أنه بعد أن فاتحه كفيله عبد الله، وقت أن لبى دعوته على الغذاء هو والأسرة، فى فكرة إنشاء فرع لشركتهم فى القاهرة ازداد حماسًا وسارع بتقديم تصوراته وأفكاره عن كيفية تنفيذ المشروع الجديد، وهو يَأمُلُ طبعًا أن يقوم عبد الله بتعيينه مديرًا لفرع القاهرة وكان هذا هو طموح طارق الجديد.. أن يعود إلى بلده التى يحبها وفيها أهله دون أن يفقد العائد المادى الضخم الذى يحصل عليه هنا فى الدولة الخيلجية، وبدا له أن الحياة قد صفت له بعد أن أقرّه عبد الله فعلًا مديرًا لفرع القاهرة، وقد كان تحت التأسيس وقتها، ورغم أن طارق يعلم أن ظروف العمل فى القاهرة أصعب من مثيلتها فى الدولة الخليجية حيث يعمل الآن، لإن الإنجاز فى القاهرة بات مرتبطًا بعوامل كثيرة ليس الإجتهاد ولا الكفاءة أكبرها ولا أهمها، رغم ذلك كان يتعجل سفره إلى القاهرة ويشعر بشوقٍ غريبٍ إليها حتى زوجته عالية لاحظت ذلك وقالت له ذات

مرة: " أنت تجعلنى أشعر أنه مر عشرون سنة لم ننزل مصر فيها مرة مع أننا كنا هناك من عدة أشهر" .

وكانت تستمهله حتى تنتهى السنة الدراسية لتتمكن من سحب أوراق أولادها من المدارس هناك دون أن تُضَيِّعَ عليهم السنة الدراسية رُغْمَ أنها كانت سعيدة ومتحمسة مثله لرجوعهم إلى مصر، وكان طارق يفكر فى أن يسافر قبلهم لأن هناك الكثير من الإجراءات الخاصة بتأسيس الفرع تنتظره ليقوم بها لكنه لم يشأ أن يترك زوجته وأولاده وحدهم فى الغربة وقرر أن ينتظر وكأنه كان ينتظر قدره المحتوم.. ففى الأسبوع الذى حجز فيه المقاعد على الطائرة التى سَتُقِلُّهُم إلى مصر، وقبل موعد السفر بخمسة أيام فقط، نفذ سهم الله ونفّذ الفتى المجرم خطة القاتلة المجنونة لتصعد روح طارق المسكين إلى بارئها قبل وصول سيارة الإسعاف ولِتُفْجَعَ عالية فى زوجها ووالد أبنائها الثلاثة، وكانت تشعر أنه قُتل غدرًا وغيلة دون أن تعرف السبب، ولأن الشرطة، وكما توقعت وفاء الشيطانة، لم يكن أمامها أى دافع لاعتبارها جريمة مُدَبَّرَةً مُتَعَمَّدَة فقد حكموا على القاتل بالسجن ودفع الدية، أما عالية فقد أصرت على تنفيذ وصية زوجها الراحل الذى أوصى بأن يُدفن فى بلده فى مقابر أهله بمصر.

والحق أن عبد الله – كفيلُهَا وَزَوْجَهَا الراحل – ساعدها كثيرًا فى إنهاء الإجراءات الروتينية المُتَّبَعَة فى مثل هذه الحالات، ولم يتركها لحظة حتى مثواه الأخير، وباستثناء النفوذ والقدرة المالية، كذلك فعل رمضان فقد ظل أيضًا إلى جوارها إلى أن دفنوا زوجها وعاد بها والأولاد إلى شقتهم بالقاهرة ولم يتركها لحظة بل كان يوميًا يذهب إليهم فى الصباح ويقوم على حوائجهم ويظل معهم إلى آخر الليل وحتى انصراف آخر المُعزّين.

أما عبد الله فقد وقف على صرف مستحقاتها ومستحقات طارق بل ومنحه مكافأة نهاية خدمة سخية للغاية إضافة إلى مبلغ الدية وكل ذلك

وضعه فى حسابها بالبنك لِيُدِرَّ عليهم عائدًا شهريًا يكفل لها وأولادها حياة كريمة، بل وزاد فأجرى لها معاشًا شهريًا كبيرًا، رُغْمَ أن هذا ليس من حق طارق وقد كان يعمل فى القطاع الخاص، كما أنه أيضًا لم ينقطع عن زيارتهم مدة شهرٍ كاملٍ منذ رافقهم فى رحلة العودة إلى القاهرة ثم اضطُرَّ للسفر لكثرة ارتباطاته ومشاغله.

وجاء عاصم إلى عالية مُعزيًا، وهمس لخديجة بأنه إذا كانت عالية بحاجة إلى وظيفة

فَسَيُرَشِّحُهَا لوظيفة ممتازة بمرتب كبير لدى أحد المعارف المُهمين، كما أن عبد الله كان قد عرض عليها أيضًا الاستمرار فى عملها هناك فى الخليج، لكنها شكرتهما ولم تقبل عرضيهما، فهى لم تقف على قدميها بعد ما ألمّ بها من المصائب بعد ولا زالت فى حزنها وحدادها على زوجها الذى يستمر شرعًا أربعة أشهر وعشرة أيام ولن تخرج من بيتها قبل أن تنتهى فترة الحداد، وربما وقتها تكون قد تناست ألمها وحزنها قليلًا وبدأت فى ترتيب أوراق حياتها بعد ترملها ولترى ماذا ستصنع لأولادها فى قادم الأيام بعد أن أصبحت أباهم وأمهم معًا.

***

مع الأيام بدأ حزنها يَخْفُتْ ودموعها تجف وبدأت تعى قليلًا ما يدور حولها حيث لاحظت أن عبد الله الخليجى يُدَاوِمُ على الاتصال بها والسؤال عنها، وأن زياراته للقاهرة أصبحت كثيرة العدد وطويلة المدة، إلا أنها عادت وأخمدت الشك فى صدرها بتذكرها أنه يؤسس فرعًا لإحدى شركاته فى القاهرة، والتى كان من المفترض أن طارق عليه رحمة الله، هو الذى سيتابع مراحل تأسيسها ويتولى إدارتها، كما أن طارق كان قد أخبرها أيضًا

أن الرجل يفكر فى المشاركة مع بعض رجال الأعمال المصريين فى عدة مشاريع فى مصر.

أما من بدأ يلفت انتباهها حقًا فهو رمضان فلقد فوجئت أنه ترك مشروعه الصغير فى الدولة الخليجية تحت إدارة شقيقه وعاد إلى هنا باحثًا عن عمل يستقر فيه إلى جوارها هى والأولاد.. رجع إلى مصر التى لا يملك فيها أى شىء وخلّف وراءه العمل الذى عَيَّنَهُ فيه طارق رحمه الله قبل وفاته والذى كان يعده بمستقبل وحياة أفضل وخلّف أيضًا ماله ومشروعه الصغير.. ترك كل ذلك ليكون معها هى والأولاد.

والحق أن وجوده خفف عن الأولاد بعضًا من صدمة فقدان والدهم فقد كان يجالسهم ويلاطفهم ويشترى لهم أشياء لم تكن باهظة الثمن ولكنه يعرف أنهم يحبونها، ورغم أن أخَوَىّ عالية عرضا أن يقوما بتقديم أوراق الأولاد إلى مدارسهم الجديدة إلا أن رمضان أصرّ على أن يتولى هذه المهمة وسمحت له عالية بذلك، وكان الجميع يُعَلِّقُونَ على تصرفاته بأنه شهم وخدوم ويثنون على أدبه وكانت والدتها تقول لها: " والله إن هذا الفتى طيب وخلوق، وصحيح أنه فقير لكن لديه عزة نفس وكرامة ".. كانوا كلهم ينظرون لرمضان على أنه خادِمٌ وَفِىّ رفض أن يأخذ مقابلًا لخدماته وظل واقفًا معهم إلى النهاية.

إلا عالية.. وحدها بدأت تنظر إليه نظرة مختلفة وهى تراه كيف يحتضن أولادها ويحنو عليهم ويلاعبهم وترى مدى تعلق الأولاد به وحبهم له كان هذا أول ما لفت انتباهها.. ثم بدأت تلاحظ النظرات التى كان يختلسها ثم يعود ليطرق فى الأرض أثناء حديثه معها.. كانت نظرات تعرفها كل امرأة.. نظراتُ حُبٍّ حارقة.. وبدأ قلبها يخالجه الإضطراب عندما تسمع صوت رمضان أو عندما يُصَوِّبُ إليها نظرة مسروقة.. وكأنها تُعِيْدُ اكتشافه.. بدأت تنظر إليه نظرة مختلفة.. بدأت تتأمل جسده الشاب الفَتِىّ وصوته الذكورى القوى..

أصبحت تأنس إلى تحلق أولادها حوله واحتضانه لهم.. عادت لتتذكر وصف زوجها الراحل له بأنه موهوب وذكيّ..

وجاءها يومًا والبِشْر ينضح من وجهه ولما دخل وجلس على الأريكة، فى حجرة الجلوس، تحلق الأولاد حوله، كالعادة، وقامت عالية لتذهب إلى المطبخ، ولكنه أمسك يدها، لأول مرة فى حياته، وهو يقول:

- لا يا سيدة الناس أنا لا أريد أن أشرب شيئًا.. أنا لدىَّ أخبار حلوة أحببت أن تكونى أول من يسمعها.

وشعرت هى بالاضطراب من لمسة يده تلك بينما شعر هو بالإحراج رغم أنه لم يتعمد ذلك وترك يدها فورًا وأطرق بوجهه فى الأرض. فقالت هى بحماس متجاهلة ما حدث كى لا تزيد إحراجه:

- خيرًا إن شاء الله؟

- حضرتك تتذكرين طبعًا الباشمهندس طارق رحمة الله عليه كان يُعَلِّمُنِى ويوجهنى والحمد لله أخيرًا بدأت أصنع برامج ألعاب بسيطة تصلح كنواةٍ لمشروعٍ صغير بدأت أتخذ خطوات فى سبيل إنشائه.

فقالت عالية بفرحة حقيقية:

- حقًا؟ وفقك الله وبارك لك حتى ينمو مشروعك ويتوسع وتُصْبِحَ مثل بيل جيتس.

فقال رمضان وقد أسعده أنها فرحت بالخبر:

- ليس إلى درجة بيل جيتس يا دكتورة نحن مازلنا فى بداية البداية.

وسكت لحظة وهو ينظر إليها بخجل بينما كانت هى ترمقه بإعجاب

ثم قال كأنه تذكر:

- بالمناسبة الشيخ عبد الله عرض علىَّ أن أعمل فى فرع الشركة هنا فى القاهرة ولا أعرف ماذا أقول له؟

- هل تسألنى رأيى؟

- بالطبع فرأى حضرتك أهم شىء.

كم تحب اللكنة الصعيدية التى ينطق بها بعض الكلمات فقد كان يتحدث معها بلهجة أهل القاهرة باستثناء بعض الكلمات التى كانت تُفْلِتُ منه وبعض الحروف والمدّ الذى يصاحب بعض الكلمات، وكانت المدة التى قضاها فى الجيش هى التى ساعدته على تعلم لهجة أهل القاهرة، ولولا ذلك لما فهمت عالية شيئًا من لهجته الصعيدية القِحَّة.

ونظرت إليه عالية نظرة خاصة ثم قالت:

- أكيد طبعًا المرتب أقل لكن إذا كان هو نفس العمل ستصبح فرصة جيدة وسَتَدْعُمُكَ فى مشروعك من الناحية الفنية والمادية أيضًا..أنا أرى أن تتوكل على الله وتقبل.

فابتسم رمضان وقال بإعجاب:

- ما أجمل كلام حضرتك يا دكتورة كلام مُنَظَّم ورائع و....

والتقت عيونهما للحظة ثم هرب رمضان بعينيه وابتلع ريقه.. إن حبها يُزَلْزِلَهُ وكتمانه أصعب، وقال وهو يتلفت حوله:

- ولكن أين الحاجة والدة حضرتك؟ أليست هنا؟

فتنهدت عالية وقالت:

- حدثت ظروف منعتها من المجيء اليوم.

فقال رمضان بقلق:

- هل هي أبعد الله الشر عنها مريضة؟ إذا كان ذلك لابد أن أذهب لزيارتها والاطمئنان عليها إنها بركتنا.

- لا.. لا داعي هي لست مريضة إنها بخير.. هي فقط مُشَادَّة بينها وبين خديجة أختي.

ووجّه لها نظرة متساءلة ووجدت نفسها تحكي كأنه ليس شخصًا غريبًا لا يصحّ أن تُطْلِعَهُ على أسرار أختها، وقالت:

- خديجة تريد الطلاق من زوجها ولكن أمي لا توافق على ذلك تريدها أن تعود إليه.

- طبعًا الطلاق مصيبة كبيرة لكن لابد أنه فعل مصيبة أكبر كي تطلب الطلاق.

فقالت عالية مؤمّنة:

- فعلًا.. فعل أكبر مصيبة.

فقال رمضان ببساطة:

- لا يُكَلِّفُ الله نفسًا إلا وسعها إذا لم تكن قادرة على الصفح عنه وترى أن حاله لن يصلح فالأفضل أن تتركه.

كان قد فهم مارمت إليه عالية واستنتج أن زوج خديجة خانها وأنها اكتشفت ذلك، وأُعْجِبَت عالية بردّه لكنها لم تتكلم فقال هو بحرج:

- أنا آسف.. آسف أنا أعرف أنى لا شأن لى ولا ينبغى أن أتدخل وأقول رأيى.

كان يخشى فعلًا من أن تكون قد شعرت أنه يُقْحِمُ نفسه فيما لا يخصه وتضايقت لذلك.. دائمًا يحاول أن يضع لنفسه حدًا أحمر لا يجاوزه مخافة أن تطرده من جنتها إذا رأته يجاوزه، وقبل ان ترد عالية وجدت ابنها عبد الرحمن يشده من يده ويقول:

- تعالى يا رمضان نلعب على الكومبيوتر قليلًا.

فقال رمضان وهو ينهض من فوق الأريكة:

- لا.. اليوم لا يصلح فلنؤجلها للغد أفضل.

وقامت عالية وهو يمد يده مصافحًا ويقول:

- سوف أمر عليكم غدًا إن شاء الله.. هل تأمرينى بشىء يا سيدة الناس؟

كان يصافح الأولاد ويحتضنهم وهم يبدون اعتراضهم.

- لماذا تريد الإنصراف؟ ألأن والدتى غير موجودة؟

- فى الحقيقة نعم.. حضرتك تقيمين بمفردك وأنا لا أحب أن أسمع غمزًا ولمزًا عليكِ لا سمح الله.

- لكنى لست بمفردى الأولاد معى.

- الناس نفوسها سيئة ولا أحد يسلم من لسانهم وأنا لا أطيق أن أسمع عليك كلمة يا سيدة الناس.

قال الجملة الأخيرة بصوتٍ مُتَهَدِّج

openeikan.com

وودعته حتى باب الشقة وتنهدت قائلة:

- عمومًا لقد بقى على انتهاء العدة أيام بعدها سأستطيع أن أخرج وكل ما سنحتاجه أنا أو الأولاد سأتولى إحضاره وترتاح أنت من هذه المشاوير والتعب.

فقال رمضان عاتبًا:

- أرتاح من ماذا يا سيدة الناس؟ إن راحتى هى أن أُنَعِّمَكِ وأُدَلِّلَكِ.

ثم استدرك زلة لسانه فأكمل:

- أقصد أن أكون فى خدمتك أنتِ والأولاد مثلما كنت أيام المرحوم وأكثر.

وهمّت عالية بالرد لولا أنهما سمعا جرس الهاتف فى شقتها

فقال رمضان:

- تصبحون على خير.

وأولاهم ظهره ونزل سريعًا وعالية تقول:

- وأنت له أهل.

وأغلقت الباب بعد أن غاب عن ناظريها وذهبت للرد على الهاتف وأتاها صوت خديجة عبر الأسلاك هادرًا مستغيثًا حيث قالت:

- انجدينى يا عالية أمك تريد أن تتبرأ منى لو أصريت وتطّلقت خذيها كلميها.

كانت هذه هى المرة الخامسة التى تطلبها فيها خديجة فى ذلك اليوم وتشكو لها من تَعَنُّتِ والدتها معها.

obeikan.com

وجاء صوت والدتهما غاضبًا عبر أسلاك الهاتف وهى تقول:

- أنا لا أعرف ما هذه العين التى أصابتنى فى ابنَتَىّ واحدة ترملت والثانية تريد أن تطلق.. أما أنتِ فقد قلنا قضاء الله ولا نملك فيه شيئًا ولكن اختك هذه التى تريد أن تجلب الخراب على نفسها وتُيَتِّمَ أولادها ووالدهم على قيد الحياة.

فقالت عالية:

- أتريدينها يا أمى أن تعاشر زانيًا؟ إنه سبحانه يقول (الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) صدق الله العظيم وهذا يعنى أن أختى أصبحت مُحَرَّمَةً عليه شرعًا لإنه لا نَدِمَ ولا تاب ولا حتى لديه النية.. والأولاد عندما ينشأون بدون أب أفضل مئة مرة من أن ينشأوا مع أب كل يوم يأتى وهو يتطوّح من السُكر وفى يده نسوة شوارع يدنس بهن البيت ويُلَوِّثَ عقول أولاده وهو قدوتهم.

وسكتت قليلًا ثم أكملت بهدوء:

- وحِّدِى الله يا أمى واهدئى وفكرى فيما قلته وفى النهاية خديجة ابنتك ولن تأتى عملًا دون رضاكِ وموافقتك.

ثم أردفت مُنَبِّهَة:

- ولا تنسى أن محمود ومصطفى أيضًا يرون مثلنا أن هذا الرجل لا أمل فى إصلاحه.. ومن يدرى ربما عندما يُطَلِّقُهَا وتبعد عنه هى والأولاد يُحِسُّ بقيمتهم ويفيق من غِيِّهِ ووقتها يمكن أن تكون هناك رجعة.

فزفرت أمها زفرة عميقة ثم قالت:

- حسنًا يا بنات رِفْعَت أنا أعرف أنى لن أنتهى إلى شىء مع أى واحدة منكما.

- لا سمح الله يا أمى بل نحن لا قيمة لنا بدون رضائك عنا مَتَّعَكِ الله بالعافية وأطال بقائك .

وسكتت لحظة ثم أردفت:

- اعطينى خديجة بعد إذنك يا سيدة الكل.

فقالت أمها باستسلام:

- حاضر يا ذات الكلام الناعم.. هى معك.

وأتاها صوت خديجة قائلًا:

- نعم يا عالية.

- اسمعى يا خديجة لا تعودى لفتح الموضوع معها ولابد أنها عندما تهدأ سَتُفَكِّرُ مع نفسها وتعيد هى فتح الموضوع وقتها تكلمى برفق معها وأفهميها أنك لا يمكن أن تأخذى قرارًا دون أن ترجعى إليها فيه وراعى أن والدتك من جيل تفكيره غير تفكيرنا وأنها تفكر فى أولادك خاصة وأنكِ لو حدث الطلاق ستقومين بتربيتهم وحدك وهذا ليس أمرًا سهلًا أبدًا.

وسرحت فى حالها وهى تقول الجملة الأخيرة

- أعرف يا عالية لكن، ورب الكعبة، ما عدت أطيق حتى أن أسمع اسمه.

فقالت عالية مواسية:

- كان الله فى عونك حكاية مُقَزِّزَة لكن نحن ندعو الله أن يُصْلِحَ الأحوال ويهديه لك.

obeikan.com

- أخواكِ تقابلا معه ثانية اليوم ولا توجد فائدة.. الشيطان رَكِبَهُ ولن يُطْلِقْه.

ثم أطلقت تنهيدة حارة وبعدها قالت بلهجة مُغَايِرَة:

- المهم كيف حالك أنت والأولاد ؟ أعرف إنى لم أسأل عنهم فى المرات السابقة التى كلمتك فيها اليوم.

- الحمد لله كلنا بخير.

- ومحمود ألم يمر عليكِ؟ فقد كان قد مر علينا قبل أن يذهب إلى عيادته وعندما رأى الشجار الدائر بينى وأمى لم يمكث أكثر من خمس دقائق وقال أنه سيمر عليك.

- آه فعلًا لقد جاء وجلس قليلًا ثم غادر على ميعاد العيادة تقريبًا.

وسكتا لحظة ثم قالت خديجة:

- بالمناسبة هل اتفقت مع صاحبتك التى ستبدأين العمل فى الصيدلية التى تملكها إن شاء الله من أول الشهر؟

- نعم حتى أنها اتصلت اليوم لتؤكدّ على اتفاقنا.

- أيعنى هذا أنكِ لن تعيدى التفكير فى الوظيفة التى أتى لك بها عاصم؟ إن راتبها كبير ومواعيدها جيدة.

فقالت عالية بقناعة:

- وكذلك الصيدلية التى سأعمل فيها مواعيدها مناسبة ويكفى أنها قريبة من البيت أما الراتب فهناك فارق طبعًا لكن لا يُهِمّ.

فقالت خديجة بحذر:

- هل فَكَّرتِ جيدًا؟ لإنه أكّد علىَّ اليوم أن أعرض عليك الوظيفة مرة أخرى.. فبصراحة هو حجزها لك ولا يريدك أن تخسريها.

- اشكريه نيابة عنى.. وكما قلت لك يكفى الواحدة منا أن تستريح من زحمة المواصلات فهذه ليست قليلة.

- والله معكِ حق فى هذا.. نحن نختنق من الشلل المرورى كل أيام السنة وفى كل الأوقات من اليوم.. نصف اليوم يضيع حيث السيارات لا تسير والنصف الثانى يضيع فى البحث عن مكان لصف السيارة.. هل تعرفين أنى من عدة أيام سيارتى حُشِرَت فى الزحام نصف ساعة دون أن تتحرك أى سيارة ولو سنتيمترًا واحدًا من المكان الذى وقفت فيه.. وقتها فكرت أن أترك السيارة كما هى فى وسط الشارع وأذهب إلى الوزارة سيرًا على الأقدام.

فضحكت عالية وقالت:

- أرأيت إذن؟

وضحكت خديجة ثم قالت بجدية:

- سأتركك الآن فلابد أن ورائك عشاء الأولاد وإعدادهم للنوم فقد تأخر الوقت.. تصبحين على خير.

- وأنت له أهل.

وأغلقت الخط ثم اتجهت إلى أولادها وأعدّت لهم طعام العشاء وبعد أن ناموا جميعًا ظلت هى مُؤَرَّقَة.. كانت تفكر فى خديجة وفى تأييدها لها فى طلب الطلاق.. من الناحية الشرعية يبدو القرار صائبًا، ولكن كلام والدتها له وزنه أيضًا فأن تقوم بتربية الأولاد وحدها عبءٌ كبير على المستويين المادى والنفسى، وإذا كانت عالية مضطرة لأن زوجها توفى، فإن خديجة

غير مُضْطَرَّة والأولاد لابد سيحتاجون إلى شِدَّةِ الأب فى بعض المواقف وبعض المراحل فى عمرهم، وكما أسَرَّت والدتها إليها فإن خديجة لازالت فى مقتبل العمر وليس من السهل، إن لم يكن مستحيلًا، أن تتزوج من رجلٍ آخر ويقبل بتربية طفلين ليسا من صُلْبَهُ فإما أن تتخلى عن طفليها أو تُضَحّى بشبابها واحتياجها البيولوجى لرجل وكما قالت والدتها " البنات جالسات فى انتظار الفرج فهل ستجد هى المطلقة ومعها طفلين من يرضى بها؟ "، وفعلًا خديجة شابة وجميلة لكنها ليست واسعة الثراء وذلك غالبًا الذى يُغْرِى الرجال بالزواج من مطلقة لديها أطفال.. وهذا ما تخشاه عالية.. تخشى أن تكون نصيحتها لأختها سببًا فى شقائها وبقائها وحيدة دون زواج وهى فى أوج شبابها وأنوثتها إضافة إلى عبء تربية طفليها وحدها، وقامت لتصلى لها استخارة.

***

فى الصباح التالى هاتفها عبد الله الخليجى وأخبرها أنه سينزل إلى القاهرة بعد أيام ويستأذن فى زيارتها فى حضور والدتها، ورغم أنه لم يقل أكثر من ذلك، إلا أنها وبحاسة الأنثى شعرت أنه سيفاتحها فى أمرٍ هام وبالتحديد عرض زواج وصدق حدسها.

استقبلته فى حضور والدتها، فى الموعد المضروب بينهما، وجاء حاملًا معه الهدايا وبعد السؤال عن الأحوال والصحة اعتدل فى جلسته وقال:

- فى الحقيقة يا أمى الحاجة..أنا لا أجيد صنع مقدمات.. لقد جئت اليوم طالبًا الزواج من الدكتورة.

هكذا دخل فى الموضوع مباشرة وبسرعة، وإذا كانت عالية قد توقعت ذلك إلا أن والدتها بوغتت بالأمر ولم يكن قد خطر ببالها مطلقًا، ولذلك رددت بدهشة:

- هل تعنى يا بنى عالية ابنتى؟

فقال الرجل مُحْرَجًا:

- أنا أعرف أن عدتها انتهت من أيام قليلة وقد يكون طلبى الآن جاء فى وقت غير مناسب ولكنى خشيت أن يسبقنى إليها أحد وأنا لا أطلب أكثر من كلمة تُطَمْئِنُنِى وحسب.

وتبادلت عالية وأمها النظرات..

فقال عبد الله:

- أنا لا أقصد أنى أريد رأيك الآن حالًا.. خذى وقتك فى التفكير يا دكتورة وإن شاء الله يصير خيرًا ويكون لى نصيب معك.

فقالت أمها:

- والله يا بنى يكفينا أنك دخلت البيت من بابه ونحن نراك ما شاء الله رجل محترم وأى بيت يتشرف بك.

فابتسم عبد الله وقال:

- وأنا والله لا أدرى ماذا أقول؟ حضرتك أخجلتينى بهذا الكلام الحلو.

وسكت ونقل بصره إلى عالية ثم أكمل:

- لكنى أراك يا دكتورة صامتة... أعنى إذا كان هناك شىء تودين السؤال عنه.

فقالت عالية بلا حماس:

- أسأل عن ماذا؟ أنا أعرف تقريبًا كل شىء عن حضرتك من أيام المرحوم.

فقال عبد الله بصوتٍ خاشع:

- ألف رحمة على روحه الطاهرة.

ثم أردف:

- أنا أعرف أنه طلب ثقيل ولم يمر وقت كبير على وفاة زوجك لكن أنا قلت لكم عذري.

وظلت عالية على جمودها فلم تفتح فمها بكلمة. فشعر بالحرج، ووقف قائلًا:

- أنا مضطر أن استأذن وسأترُكَكِ تفكرين على راحتك.. السلام عليكم.

ومد يده فصافح والدتها بينما رافقته هى إلى باب الشقة حيث قال لها:

- كنت أود يا دكتورة أن أمر عليكم غدًا وآخذ الأولاد إلى مدينة الألعاب والأجمل لو تقبلين أن تأتى معنا.

فقالت عالية:

- غدًا لن نستطيع.. أنا آسفة فسوف نجتمع كلنا عند والدتى ونقضى اليوم من أوَّلِهِ لآخره معًا أنا وإخوتى.. وعمومًا أنا أشكر لك عرضك الكريم وأشكرك على الهدايا التى أحضرتها لنا وليتك لا تُرْهِقْ نفسك بإحضار هدايا مرة أخرى.

فقال عبد الله:

- لا تشكرينى فهذه أشياء بسيطة وأنا لا يُرْهِقَنِى بل يسعدنى أن أفعل ذلك دائمًا وبالنسبة لنزهة الأولاد فسنحاول ترتيب موعد آخر.. أراك على خير يا دكتورة.. السلام عليكم.

ومد يده يصافحها وهو يملأ عينيه منها.. إنها رائعة ليتها توافق على الزواج منه !

وظلت عالية واقفة أمام الباب إلى أن دلف فى المصعد فقالت وهى تغلق الباب برفق:

- صَحِبَتْكَ السلامة.

وعادت إلى والدتها التى قالت بصدرٍ مُنْشَرِحِ:

- الرجل ما شاء الله عليه هل قُلْتِ أنه أمير؟

- لا يا أمى إنه ليس أميرًا لكن توجد صلة نسب بين عائلته والأسرة الحاكمة هناك على حد علمى.

- لكن واضح أنها عائلة كبيرة أيضًا.

- طبعًا عائلة كبيرة ولهم وزنهم فى بلدهم.

فقالت أمها بحذر:

- هو طبعًا تكلم فى وقتٍ غير مناسب لكنه قال أنه يريد فقط أن يسمع منك كلمة والارتباط الرسمى سيكون بعد ذلك بفترة بعد أن يُتِمَّ المرحوم السنة حتى يكون حزننا عليه قد خَفُتَ قليلًا كما أن هذا ما تقضى به الأصول.

- هذا على أساس أنى وافقت على الزواج منه والمشكلة فقط فى تحديد الموعد؟

ولمست والدتها نبرة إعتراض فى صوتها فقالت متعجبة:

-وهل أنتِ تفكرين فى الرفض؟ ماذا جرى لك يا عالية؟

ثم أردفت ناصحة:

- يا ابنتى أنتِ لازلت شابة وأولادك صغار لابد أنك ستحتاجين رجلًا يؤازرك وتكملين معه حياتك.. هل تعرفين؟ أنا أتمنى أن يرزق الله خديجة هى أيضًا بعريسٍ مثله.. إنه فرصة يا ابنتى سيتزوجك وأنت معك أطفال.

فقالت عالية بضيق:

- وكأنه هو الخالى ! هو أيضًا معه أطفال.

- فهمت.. أنتِ معترضة لإنه متزوج.. وماذا فى هذا؟ أنت ستكونين فى بلد وهى فى بلد وهذه ميزته، ولا تنسى أن من هى فى مثل ظروفك لابد أن تأخذ رجلًا سبق له الزواج، فإما أن يكون مُطَلِّقًا أو أرملًا أو يكون متزوجًا وتصبحين زوجة ثانية، ولكنك فى حالة هذا الرجل لن تشعرى أن لك ضرة، ثم أننا نسمع عن فنانات كثيرات يتزوجن الأمراء العرب وتبقى الواحدة منهن زوجة ثانية ولكنها تعيش فى سعادة.

فقالت عالية ساخرة:

- عذرًا يا أمى فأنا لست فنانة.

فقالت أمها بضيق:

- لماذا سأُوْجِعُ قلبى معكِ؟ أنت تفكرين مثل أختك تظنان أنكما كبرتما على النصيحة من أمكما. ها هى الخائبة تُطَلَّق وأنت تريدين أن تظلى أرملة وأنا يظل قلبى يحترق عليكما أنتما الاثنتين إلى أن يحين الأجل.

فقامت عالية إليها واحتضنتها بقوة ثم ابتعدت قليلًا وتناولت يديها فقبلتهما، وقالت:

- أبعد الله عنك الشر يا أمى يا حبيبتى ولا حرمنا منك أبدًا.

وسكتت قليلًا وابتعدت لتجلس إلى جوارها ثم زفرت وقالت:

- يا أمى أنا لم أقل أنى سأقضى بقية عمرى دون زواج ولكن بالتأكيد أيضًا ليس الوقت مناسبًا كى أفكر فى الموضوع.

- حسنًا قولى له هذا الكلام.

فابتسمت عالية وقالت:

- أنتِ تريديننى أن أُعَلِّقَهُ بأيِّ أَمَلٍ كى لا يطير.

فضحكت والدتها ثم عادت ترسم ملامح الجدية على وجهها وقالت:

- بدلًا من هذه السخرية اسمعى منى الرجل فرصة وتتمناه ألف امرأة.

وهمت عالية أن تقول " لكن أنا لست من هؤلاء الألف " ولكنها أمسكت لسانها وابتسمت فى وجه والدتها ثم قالت مازحة:

- ألف فقط؟ قولى ألف ومائتين.

وضحكتا ثم ربتت عالية على كتف والدتها بحنان، وقالت:

- عمومًا يا أمى من أجل عيونك الغالية سأحاول أن لا أجعله ييأس منى لكنى لا أستطيع أن أعدك

فقالت والدتها بتوجس:

- آه.. فهمت.. أسأل الله الستر.

ولقد سترهم الله ولكن بأيِّ ثمن؟!

obeikan.com

المَنْع

obeikan.com

يومان.. كان عاصم ينتظرهما بفارغ الصبر وعلى أحر من الجمر وها قد جاءا تِبَاعًا.. يوم طلاقه من سلمى، ثم يوم طلاق خديجة من زوجها..

أما اليوم الأول فقد شعر بعد أن نطق بكلمة الطلاق أنه سجين استرد حريته أخيرًا

وأما اليوم الثانى فقد أوشك أن يأخذها بين أحضانه من شدة الفرحة عندما جاءت إلى العمل وليس فى يدها خاتم الزواج (دبلة) وقد ظن أنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من تحقيق مأربه فيها.

وفى ذلك اليوم أسرع بصرف كل من فى المكتب وتأجيل مناقشة كل الأمور المُتَعَلِّقَةِ بجدول أعمال اليوم إلى وقتٍ لاحق.. كان مُتَلَهِّفًا على الاختلاءِ بها، وما أن انصرف الجميع وأصبحا وحدهما فى الحجرة حتى أسرع فأمسك كلتا يديها بيديه فاعتصرهما بسعادةٍ وهو يتحسس موضع الإصبع الخالى وكأنه يتأكد ثم رفعهما إلى شفتيه فقبّلهما – أى يديها – بحرارة ثم اتسعت ابتسامته، وهو ينظر إليها قائلًا بحماس: مبروك.

وأسرعت هى تسحب يديها، وأدارت وجهها مُتَهَرِّبَةً من نظراته ثم قالت بانكسار:

- مبروك على ماذا؟

فذهب عاصم ليقف أمامها من جديد وقال بفرحة:

- أنا لا أرى خاتم الزواج فى إصبعك فلابد أنه حدث.

فجلست على أقرب مقعد وقالت بانهيار:

- وصلتنى الورقة أمس.

ثم إنحدرت الدموع من عينيها فتناول منديلًا ورقيًا من علبة فوق مكتبه وجثا على ركبتيه أمامها فمسح دموعها ورفع وجهها المُنَكَّس بِرِقَّة، ووجَهه إليه وتأمل ملامحها الحزينة، وقال بتأثر:

- كنت أظنك ستفرحين لإنك تخلصتِ منه أخيرًا ثم لا تنسى أنكِ أنتِ التى طَلَبْتِ الطلاق وأصررتِ عليه.

فقالت بمرارة:

- أنا أيضًا كنت أعتقد ذلك لكن وقت أن كنت أُوَقِّعُ كى أستلم ورقة الطلاق.. وقتها شعرت أن روحى تُسحَب منى.

فقال بِغِيْرَةٍ وهو ينهض:

- أإلى هذه الدرجة كُنْتِ تُحِبِّينَه؟

فقالت بألم:

- ليس الحب أو الكُرْه... مهما وصفت لكن هذه الكلمة ثقيلة جدًا على أية امرأة حتى لو كانت هى التى طلبت وحتى لو كان قد جرحها وعَذَّبَهَا ورأت الهول على يديه.

فقال بضيق:

- ما أفهمه أن المرأة التى تحزن على فراق رجل جرحها وعذبها كما تقولين معناها أنها مازالت تحبه.

- ليس حبًا ولكن عِشْرَة طيبة وذكريات وأهم شىء فى حياتى أولادى لا تنس أنهم منه.

فقال وهو يُشْعِلُ سيجارة:

- ليتك لم تُصِرِّى على الطلاق إذن وخصوصًا وهو لم يكن يريده, وكنتِ أَرَحْتِنِى أنا أيضًا وقد أتعبتِ لى أعصابى وعينى الفترة الماضية كلها.

فرددت بدهشة:

- أعصابك وعينيك؟

- طبعًا فقد كنت أنتظر خبر الطلاق هذا على أعصابى كمثل نتيجة الثانوية العامة.

فابتسمت لأول مرة وقالت:

- وعيناك قد أتعَبَتْكَ بالتأكيد من الإستذكار.

- لا أيتها المتذاكية عينى أتعبتانى من الحملقة فى إصبع يدك اليسرى كل يوم وأنا أنتظر أن أراه خاليًا.

وضحكا معًا ثم سكتا لحظة بعدها قال عاصم بجدية:

- عمومًا إذا كنتِ تشعرين أنكِ تسرعت فى قرارك فأنتِ لازلت فى شهور العدة ويمكن أن يُرَاجِعَكِ.

قال الجملة الأخيرة مُتَرَقِّبًا إجابتها باهتمام ..

وقالت هى بتأفف:

- أعوذ بالله أبعد الذى رأيته منه؟ لا يمكن طبعًا.

فأشرق وجه عاصم من جديد ووضع يده على كتفها وقال:

- هذا هو عين العقل.. ليذهب إلى الجحيم ونعيش نحن حياتنا.

obeikan.com

ونظر إليها نظرة ذات مغزى فأسرعت ترفع يده من فوق كتفها وقد فهمت ما يعينه وقالت بحزم:

- أولًا أنا لست فرى (free) بعد كما تتصور معاليك شرعًا أنا لازلت زوجته ويمكن أن يردنى إلى عصمته فى أى وقت وإلى أن تنتهى شهور العِدّة.

ثم نهضت واتجهت إلى مكتبها وأكملت مُحَذِّرَة:

- وثانيًا حياتى بعد أن ينتهى هذا الكابوس لن أرى فيها غير شيئين أولادى وعملى فقط.

وقبل أن تدلف إلى مكتبها أمسك معصمها، ونظر إليها بتحدٍ قائلًا:

- جميل.. سترين عملك يعنى سترينني فأنا عملك.

فَخَلَّصَت مِعْصَمَهَا من قبضته وقالت وهى تُشِيْرُ إلى رأسها:

- عملى هنا.

ثم أنزلت إصبعها ،ووجَّهَتْهُ إلى قلبها وأكملت:

- وليس هنا.

وتركته ودخلت إلى حجرتها، وشعر هو بالغيظ الشديد.. ما الذى تريد أن تفعله به هذه المرأة؟ إلى متى صَدَّهَا وتَمَنُّعِهَا عليه؟ لقد ظن أنها باتت فى يده منذ خاضت معركة الطلاق وأن سماحها له بالاقتراب منها جدًا خلال هذه المحنة دليل استسلامها له وأن الدعم المادى والمعنوى الذى قدمه لها طوال هذه الفترة أقنعها بأنه يحبها وأنها سَتُصَرِّحُ له بحبها فور حصولها على الطلاق، لإنها مثالية ومتدينة، لكن ها هى تفاجئه بتحذيرها له بألا يقترب منها.. لماذا؟ لماذا تتمنع عليه الآن مع أنه لم يعد بينهما أية عوائق وآخر جدار يفصل بينهما قد سقط أخيرًا... وماذا يفعل؟... وماذا

يقدم أكثر لكى تُعْلِنَ استسلامها وحبها وينال منها ما يشتهى؟.. وحار فيما يفعل أيأخذها باللين أم بالشدة؟، وعاد بذاكرته إلى السنين الماضية البعيدة حيث لم تُفْلِح الشدة معها وقتها..

وكانت خديجة أيضًا جالسة فى مكتبها تتذكر مثله هذه الحادثة وتبكى، لقد كانت فى ذلك اليوم البعيد جالسة أمامه فى حجرة مكتبه وقد استبقاها بعد انصراف كل من فى المكتب، حتى النادل صرفه، وبقيا وحدهما فى الشقة – شقة مكتبه قبل توليه الوزارة – ثم زاد بأن أغلق باب حجرة مكتبه عليهما، وجلست أمامه واجمة واجفة، وقال هو بضيق:

- هل يمكن أن أعرف لماذا هذا العَبُوس الذى يكسو وجهك هذه الأيام؟

فقالت بحزن وشرود:

- أبدًا لا يوجد شىء.

- ومادام لا يوجد شىء فُكِّى هذا العُبُوس إذن.

فقالت وهى تنهض:

- حاضر.. يُهَيَّأُ إلىَّ أن حضرتك لا تريدنى فى شىءٍ آخر.

فرمقها بنظرةٍ صارمة وقال:

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟ اجلسى أنا أريدك فى موضوع هام جدًا.

، فجلست على مضض وقالت بضجر:

- خيرًا إن شاء الله؟

فأشار إلى الأريكةِ وقال:

- لا.. تعالى نجلس على الأريكة أفضل.

فنظرت إليه باستغراب ثم اتجهت إلى الأريكة بخطواتٍ مُتَثَاقِلَة وجلست على طرفها ملتصقة بمسند اليد، وجلس هو إلى جوارها وعلى بُعْد سنتيمترات قليلة منها لدرجة أن ساقه وركبته تكادان تلامسان ساقها، وكانت رائحة عطرها تَنْفُذُ إلى أنفه ويسمع صوت تردد أنفاسها، بينما غمرتها رائحة عطره القوى، ورسم على شفتيه ابتسامة عريضة، وقال بلطف:

- هل توقفتِ عن حبى أم ماذا؟

ورغم أنه باغتها بالسؤال إلا أنها ردت بتلقائية وبنبرة يُغَلِّفُهَا الحزن:

- ليتنى أستطيع.

فرفع حاجبيه بدهشة وقال:

- ليتك تستطيعين؟!

ثم أنزلهما وأكمل:

- هل الموضوع مؤلم إلى هذه الدرجة؟

وانحدرت من عينيها دمعة رُغْمًا عنها وأسرع هو على الفور بمسحها بسطح يده، وقال وهو ينظر إليها بتركيز:

- خديجة.. أنتِ ماذا تريدين؟

فقالت بصوت يغالب البكاء:

- أنا.. لا أريد شيئًا.. أنا سأنصرف.

وهَمَّت بالوقوف لكنه أمسكها من معصمها وجذبها لتجلس وقال:

- لماذا تؤفورين (overloaded) القصة؟ أنت تحبيننى وأنا لست معترضًا أحبينى كما يحلو لكِ .. أنا كلى ملكٌ لك أيتها الجميلة.

ولمعت فى عينيه نظرة شيطانية وفى ثانية خلع ربطة عنقه وألقاها بعيدًا وفتح نصف أزرار القيمص الذى يرتديه فظهر شعر صدره وقال:

- لا أعرف لماذا أصبح الجو حارًا فجأة؟

وشعرت خديجة بالرعب وقلبها يدق بجنون وحاولت الوقوف، لكنه أمسك يديها الاثنتين ورفعهما إلى شفتيه فقبّلهما باشتهاء، ثم قال:

- سأُعَلِّمُكِ الآن أجمل طريقة تعبرين لى بها عن حبك وتطفئين بها ناركِ وتُدْخِلِيْنَ السرور إلى قلبك وإلى قلبى أنا أيضًا.

ثم أخذ يحرك يديها، فلم يكن قد أطلقهما، لتلامس شعر صدره وهو يرقب تعبيرات وجهها بشغف وقال:

- حلو أليس كذلك؟

كاد قلبها أن يتوقف عندما لامست أناملها صدره العارى ثم ترك يديها فجأة وقال ويده تمتد إلى فتحة القميص الذى كانت ترتديه:

- تعالى ندخل إلى الأجمل والأمتع.

وفهمت على الفور ما يقصده فأزاحت يده وأسرعت تركض من أمامه لكنه لحق بها وأمسك ذراعها وضغطه بقوة وقال بانفعال وهو يُدِيْرُهَا إليه:

- أين ستذهبين؟ نحن سنتسلى معًا قليلًا.

obeikan.com

ثم مرر يده الأخرى فى شعرها وهو يردف:

- وستتعرفين عَلَىَّ أكثر وتحبيننى أكثر.. دون أن تخسرى شيئًا.. فأنا أعرف أنك تريدين الحفاظ على بكارتك.

ولو أن لخديجة أن تتمنى أمنية واحدة فى هذه الدنيا لكانت أن يطبع عاصم بشفتيه قبلة على شفتيها وأن تداعب أناملها شعر صدره البارز.. كان هذا حلمها ودعاؤها ليل نهار ولكن.. فى الحلال..

تمنته فى الحلال زوجًا لها تأخذ منه ما تحب وتعطيه منها كل ما يشتهى، أما هو فقد كان ينوى حقًا أن يمارس معها كل شىء دون أن يأخذ دليل براءتها معتقدًا أنه بذلك لا يؤذيها ويحافظ عليها..

وأسرعت هى تدفعه بعيدًا عنها واختطفت حقيبتها التى كانت مُلْقَاةً على أحد المقاعد وفرت من أمامه وقد سقط قلبها بين قدميها وميّزت باب الشقة بصعوبة ولا تدرى كيف وصلت إلى بيتها واختبأت فى حجرتها وقضت ليلتها ترتجف فى سريرها وقد تدثرت بكل الأغطية فى حجرتها... ومن يومها لم تطأ قدميها أرض مكتبه، حتى مستحقاتها المالية تركتها والأوراق التى تخصها فى المكتب التقت السكرتيرة فى أحد الأماكن العامة وأخذتها منها، ولم يعرف أحد بما حدث ولا أقرب الناس إليها، وظهر الأمر على أنه خلاف فى العمل تركت على إثره المكتب ... ورُغم مرور السنوات وتتابع الأحداث وزواجها وإنجابها إلا أن هذه الحادثة بالذات لازالت ساخنة يرتجف لها كيانها كله كلما تذكرتها وكأنها وقعت بالأمس فقط.

وكيف يتسنى لها أن تنسى اللحظة الوحيدة التى كرهت فيها عاصم حتى الموت وأحبته إلى درجة الجنون وكان يفصل بينها وبين السقوط شعرة لولا أن تداركها لطف الله وأسبغ سبحانه عليها سِتْرَه..

واليوم عندما وضع يده على كتفها رأت نفس النظرة فى عينيه لكنها استجمعت شجاعتها هذه المرة لِتُفْهِمَهُ أنها لم تعد الحمل الوديع الذى يسهل على الذئب افتراسه، وتذكرت تحذير والدتها لها بأن الرجال يرون فى المطلقة صيدًا سهلًا مغريًا وقد صدق كلام والدتها، فإذا كان عاصم طوال الفترة الماضية منذ عادت للعمل معه – بعد توليه الوزارة – قد حافظ على الحدود التى وضعتها أمامه فلم يحاول تجاوزها تقريبًا.. إلا أنه وبمجرد أن علم بطلاقها أفصح عن نواياه دون مورابة فماذا عساها فاعلة؟ أتترك العمل؟ كيف؟ إنها لا تستطيع، فبعد طلاقها أصبحت فى حاجة إلى عائد مادى تصرف منه على نفسها وطفليها أيضًا، إذ تتوقع أن طليقها لن يمنحها نفقة لأولادهما وإذا حدث فإنها ستكون قليلة ولن تكفى الطفلين كل احتياجاتهما، وعاصم أيضًا إذا غضب عليها فلابد أنه سيستخدم نفوذه ويُضَيِّق عليها الأرض بما رَحُبَت فلا تجد مكانًا آخر لتعمل فيه، وإذا كان استمرارها فى العمل معه اضطرارًا وليس اختيارًا عليها إذن أن ترتب أفكارها وتنتقى كلماتها دون أن تخضع له بالقول حتى لا يزيد طمعه فيها.. كم راجعت كلماتها ونظراتها وتصرفاتها كلها معه منذ التقيا صدفة فى ذلك المركز التجارى، وقد أفهمته تصريحًا وتلميحًا.. مرارًا وتكرارًا.. أن الطريق إليها مسدود، لكن ماذا تفعل وهو يتصرف على الخلفية القديمة؟.. أيامهما الأولى حيث كانت هى التى تسعى خلفه، إلى الآن مازال ينظر إليها على أنها العاشقة المدلّهة التى تنتظر منه إشارة لترمى قلبها تحت قدميه ويَطْلُبُ فَتُلَبِّى وكل ذلك أملًا فى أن يبادلها مشاعرها، وكان هذا صحيحًا فى الماضى فقط.. أما الآن وقد نضجت شخصيتها وزادت خبرتها فى الحياة لم يعد الإستحواذ على قلب عاصم هدفًا لها لأنها عرفت أن عاصم سواء أحبها أو فقط رغب فيها فالنتيجة واحدة هى لن تعدو أن تكون عشيقة أو محظية ولأسباب كثيرة تخمن بعضها ولا تعرف أغلبها فإن عاصم أبدًا لم تمر على ذهنه فكرة أن يتزوجها ولا تظن أنها

ستأتى يومًا على باله هذه الفكرة، فإذا كان ما ينشده عكس ما تنشده هى فلماذا لا يُسَلِّمُ بأنه المستحيل وييئس تمامًا كما فعلت هى؟.. نعم.. يئست فإذا كانت فى الماضى تتحرك من منطلق حماس شبابها وعذريتها ولم تلفته، فكيف اليوم وقد أصبح معالى الوزير وهى مجرد سيدة مُطَلَّقَة ولديها أطفال؟

وأخذت تمسح دموعها ثم استنشقت الهواء بعمق وحاولت أن تتماسك وتستعيد رباطة جأشها، وكانت تغلق عينيها بقوة وتعض على شفتيها بألم فلما فتحت عينيها، وبينما تمسح دمعة شاردة جديدة وقعت عينها عليه، كان واقفًا على باب مكتبها يتأملها وقد عقد ساعديه أمام صدره دون أن تشعر به وقال لها بغيظ:

- أكيد أنتِ تريدين دفعى إلى الجنون.. تعالي.

وتَبِعَتْهُ دون أن تَنْبِسَ ببنتِ شَفَة، وأشار إليها بضيق قائلًا:

- تفضلى اجلسى.

وجلست على المقعد أمام مكتبه وأخذ يتأمل ملامحها لدقيقة، ثم قال:

- لن أسألك لماذا تبكين.. أنا أريد أن أصل معكِ إلى شىء.. أريد أن أعرف كيف تنظرين إلى ما بيننا؟

فقالت بتردد:

- وهل ترى معاليك أن الوقت والمكان مناسبين للكلام فى هذا الموضوع؟

- بالنسبة للمكان نحن الآن وحدنا وبالنسبة للوقت فماذا ترين سيادتك؟ أننتظر عشر سنوات أخرى كى نتكلم؟

- أنا لا أقصد هذا ولكن أنا لتوى مُطَلَّقَةٌ بالأمس وأفكارى مُشَوَّشَة ومشاعرى مُرْتَبِكَة وأخشى أن أُخَرْبِطَ فى الكلام.

- أكثر من هذا؟ عمومًا أنا تعوّدت على خربطتك لا تخافى لن أغضب، لكن تكلمى بصراحة، ولاحظى أن ما أسألك عنه ليس له علاقة بزواجك أو طلاقك.. أنا أسألك عنا نحن الإثنين ومن وقت أن كنا نحن الإثنين وحسب فأنا لا أحب أن أجعل الموضوع مُعَلَّقًا أكثر من ذلك.

وسكت لحظة ثم أردف ساخرًا:

- لا تنسى أنا لست منقطعًا لكِ أريد أن أركز قليلًا مع مشاكل الشعب.

فقالت باسمة:

- كان الله فى عون معاليك أنا أيضًا من الشعب وها أنت جالس معى كى تَحُلَّ لى مشكلتى.

- مشكلتنا نحن الإثنين.. أنا لا أعرف كيف أتواصل معكِ ... لست قادرًا على فهمك.

فقالت بهدوء:

- وأنا أيضًا لا أعرف معاليك كيف ترانى ولا ماذا تريد منى .. ربما أخمن لكن فى الأخير نواياك لا يعلمها إلا الله.

وتذكر عاصم نصيحة أخته فقال:

- بسيطة سأقول لكِ أنا على نيتى.. أنوى أن أُبْقِيْكِ إلى جوارى حتى آخر العمر ولن أُبْعِدَكِ عنى مرة أخرى أبدًا.

ثم أمسك يدها وتَطَلَّعَ فى عينيها مباشرة وأكمل:

- أنا أحبك وسأظل أحبك حتى آخر يوم من عمرى.. وإذا كنتِ حقًا لم تشعرى بحبى هذا فها أنا ذا أقولها لك وأطمئنك.

وأسرعت تسحب يدها وقد ترقرقت دمعة فى عينيها ما أجمل ما يقوله وما أصعبه ...

ولملمت شَتَاتَ نفسها ثم سحبت نفسًا عميقًا, وبعدها قالت:

- أنا سأتكلم بصراحة كما أمرتنى معاليك واعذرنى إذا كان كلامى لن ينال رضا معاليك.. الحقيقة أنا أرى أننا قطاران يسيران فى اتجاهين متعاكسين على قضيبين متوازيين بمعنى أنهما يريان أحدهما الآخر و لكن يستحيل أن يتلاقيا.

فقال ساخرًا:

- هذا الكلام يصلح لوكنا فى وزارة النقل وكما يُهيأُ إلىَّ أيضًا أعتقد أنها قد تحدث عندما تكون حادثة وكارثة أبعد الله الشر عن وزارتى.

فقالت بعتاب:

- قَلَبْتَهَا مُزَاحًا وأنا أتكلم بجدية.

- وهل هذا كلام؟ هذا هُرَاء لا معنى له.. واضح أن صدمة الطلاق أَثَّرَت عليكِ فعلًا.. أىُّ قطار؟ وأىُّ قضيب؟ ونلتقى ولا نلتقى.. أنا لا أحب هذا الكلام المقعر الذى يكتب فى الروايات العاطفية .. حدثينى بكلام مفهوم.. أنا حدثتك عن مشاعرى ناحيتك حدثينى أنتِ أيضًا عن مشاعرك.

- وما أهمية مشاعرى؟ للأسف النقطة التى أتحدث فيها لم تصل لمعاليك.

فقال عاصم باستخفاف:

- بل وصلتنى طبعًا .. سيادتك تقصدين الزواج، ومن قال أننا لن نتزوج؟ أنا فكرت عندما تنتهى عدتك سنتزوج عرفيًا، بسبب وضعى ومركزى تعرفين طبعًا.

قال العبارة الأخيرة بلهجة تبريرية !

فقالت خديجة بسخرية:

- ومادام عرفيًا لماذا ننتظر العدة؟ فلنتزوج الآن ولا نضيع الوقت إذن.

فقال بنفاد صبر:

- بدون أن تسخرى.. خديجة.. نهايتها ماذا تريدين؟

- نهايتها أنى لا أعتبر الزواج العُرْفِيُّ زواجًا من الأصل ولا أريده هو أو غيره.. أنا أريد أن أُرِيْحَ معاليك من قصص الحب والزواج ووجع القلب ونركز فى العمل وحسب.

فقال عاصم حانقًا، وهو يحاول أن يسيطر على غضبه:

- أهذا كَلَامُكِ الأخير؟ تريدين المعاملة رسمية بيننا؟

- أو تَنْقِلَنِى إلى مكانٍ آخر معاليك إذا كنت لن تستطيع..

وسكتت، فقال عاصم بتحدٍ:

- لن أستطيع ماذا؟ لن أستطيع أن أتحكم فى نفسى أمام سِحْرَكِ وفِتْنَتَكِ؟

- لا أقصد معاليك.. أنا فقط لا أريد أن يكون وجودى مصدر إزعاج أو تشتيت لمعاليك.

فقال عاصم بكبرياء:

obeikan.com

- أبدًا أنتِ ستظلين معى هنا وسنتعامل بشكلٍ رَسْمِيٍّ كما اخترتِ ولكن وقت أن تشعرى بالندم لا أريد أن أرى دموعك أو أسمع صوتك وأنتِ تتوسلين إلىَّ لنعود كما كُنَّا ديل (deal)؟

فتنفست خديجة بارتياح وقالت:

- ديل (deal).

فقال عاصم وهو يُشْعِلُ سيجارة:

- تفضلى اذهبى إلى مكتبك إذن.. أريد عملًا مُسْتَمِرًّا .. وقتُ التدليل انتهى.

فقالت وهى تقف:

- حاضر.. بإذن معاليك.

ودخلت مكتبها وأغلقت بابها عليها. نا عاعا

وجلس هو ينفث دخان سيجارته وهو يشعر بالحنق الشديد.. فها هى تُعْلِنَهُ دون مواربة أنها لا تريده فى حياتها وهو الذى كان يتوقع أنها ستفقد وعيها عندما يَعْرِضُ عليها الزواج وأشد ما يؤلمه أن رفضها هذا زاده ولعًا ورغبة فيها ولولا ذلك لقام بنقلها فورًا بعيدًا عن مبنى الوزارة بأكمله حتى لا تقع عينه عليها ولو صدفة. ولكن ماذا يفعل فى هذا الغَبِيُّ الخَافِقُ بين ضلوعه؟ سيعتصم بكبريائه ويلتزم بما اتفق عليه معها وسيكون الإلتزام صعبًا ولكنه سيتحمل ليسترد جزءًا مما يظنه أنه إهدار لكرامته عندما صرح لها بحبه فلم تُحَرِّك ساكنًا ولِيُقْنِعَهَا أنه قادر على إخراجها من حياته وقلبه كما أسقطته هى من قلبها ومن حساباتها.

***

obeikan.com

أما خديجة فقد كان قلبها يُدْمَى من الألم إنها تحبه.. حقيقة كان يَجِبُ ألا تُمَارِى فيها ولكنها فعلت ذلك ظنًا منها أن فقدان الأمل سيجلب لها راحة البال... تمامًا كما يختار شخص أن يقطع عضوًا مصابًا فيه ظنًا منه أنه بذلك يُنْهِى ألمه.

وأثبتت لها الأيام التالية أنها أخطأت القرار. فمشاكلها مع طليقها لم تكن قد انتهت بل زادت المعارك أكثر وكانت مضطرة لأن تُخْفِىَ عن والدتها الكثير كى لا تسمع تقريعها ولومها لإنها لم تستمع إلى تحذيرها، ومن ناحية أخرى، وبعد انتشار خبر الطلاق، بدأت تتعرض للمضايقات من هذه النوعية من الرجال الذئاب، وعلى جهة أخرى كان أطفالها تقوم بشئونهم وحدها فلا تطلب المساعدة من أحد أَخَوَيْهَا، تَجَنُّبًا لِتَقْرِيْظِ أُمِّهَا من ناحية، ولكى لا تُحمّل أحدًا عبئًا من ناحية أخرى.. ووسط كل ذلك عرفت قيمة ما حُرمت منه بناءًا على طلبها فقد التزم عاصم بكلمته هذه المرة وأصبح الكلام بينهما رسميًا جافًا، مع أنها ووسط هذا الخِضَمّ الهائل من المشاكل التى غَرِقَت فيها كانت تحتاج لنظرةٍ رقيقةٍ أو كلمةٍ لينةٍ تُشْعِرُهَا بأنوثتها أو حتى تعليق ساخر يُنْسِيْهَا بعضًا من همومها.. كانت بحاجة إلى رجل تختبئ فى صدره من ظلم الناس وطغيانهم.. ويقف خلفها يعضدها ويحمى ظهرها وهى تخوض معاركها.. وفوق كل ذلك كانت تحتاجه لإنه هو عاصم حب حياتها مهما حاولت أن تكذب على نفسها أو تخدعها.. نعم كانت تخشى أن تعترف بأنه بَعْدُ لازال مُقِيْمًا فى كيانها كله وأنها لم تنسه لحظة، ولكن ضميرها كان يُخْرِسُهَا وتَدَيُّنِهَا يمنعها أن تهمس بذلك ولو بينها وبين نفسها لإنها كانت زوجة لغيره.. أما الآن وقد أصبحت حرة لماذا أبعدته عنها وباختيارها وقد كان مُقْبِلًا عليها؟ أكى لا تتألم كما تألمت فى الماضى؟ فما الذى تشعر به الآن إذن؟ ألم وندم وعذاب، ولكن ماذا تفعل وهى تراه مُخْلِصًا جدًا فى تنفيذ الإتفاق؟ فهو لم يَخْرِقَهُ والتزم به تمامًا على مدار الأشهر التالية، اللهم إلا يومًا واحدًا حين كانت تصافح سليم فى

الرواق، وقد التقته صدفة، وتصادف أيضًا أن رآهما عاصم معًا فما كان منه إلا أن استدعاها إلى مكتبه على الفور وكانا وحدهما وقال بانفعال:

- هل يمكن أن أفهم سعادتك كنت واقفة مع سليم زفت لماذا؟

- معاليك لقد قابلت دكتور سليم صدفة فى الكوريدور ومد يده لمصافحتى فهل أكون قليلة الذوق وأتركه وأمضى؟

- ما كانت هذه مصافحة بل كان كلامًا وسَمَرًا ومداعبات ومسخرة.

فقالت باستغراب:

- معاليك نحن كنا نتكلم كلامًا عاديًا.

فقال مستنكرًا:

- عادى كيف وقد كنتِ تضحكين معه؟ ثم أنا رأيته وهو يُحَمْلِقُ فيكِ بوقاحة وكأنه سيأكُلَكِ بعينيه.. طبعًا فقد عُدْتِ عزباء ألم يعرض عليكِ الزواج بالمرة؟

- يعرض علىَّ الزواج؟ جبر الله خاطر معاليك.. واحد فى مكانة دكتور سليم وبإمكانياته هذه يصوم يصوم ثم يفطر على امرأة مُطَلَّقَة ومعها أطفال كيف ذلك؟

- أية إمكانيات؟ بل أنتِ التى بالنسبة له فرصة.. حلوة وصغيرة فبينكما ما يقرب من عشرون سنة أما أطفالك فهم ميزة إضافية فسيأخذهم ويقوم على تربيتهم كأنهم أولاده لأن من فى مثل سنه صعب أن يُنْجِب.. أعَرَفْتِ يا ساذجة من منكما الفرصة بالنسبة للآخر؟

وضحكت خديجة وقالت:

- عرفت معاليك ولكن هو لم يطلب أن يتزوجنى ولا أى شىء.. لقد كان يسأل عن أحوالى وأحوال الأولاد وكان يقول لى أن لديه محامٍ صديق له ماهر فى قضايا الأحوال الشخصية والطلاق و...

وقال عاصم مقاطعًا:

- ولماذا تذهبين لمحامٍ من طرفه؟ ألم أُرَشّح لكِ أنا محاميًا لا يوجد مثله وأنتِ التى قلتِ أنكِ لا تحتاجينه.

- وهذا ما قلته له هو أيضًا شكرته وأخبرته أنى لا أحتاج محامِيْه.

- أفضل شىء فعلتِه.

وسكت لحظة ثم قال بلهجة إستجواب:

- وفى أىَّ شىءٍ آخر تحدثتما؟

فقالت ببراءة:

- لا شىء معاليك.

فقال عاصم بشك:

- تعنين أنه لم يسألك عن العمل؟

- سألنى فقط كيف حال العمل معك فقلت له الحمد لله.

- ألم يسألكِ عن تفاصيل أو أنتِ أخبرته فى أى ملف تعملين الآن؟

- أبدًا معاليك لم يسأل وأنا لم أُخْبِره بشىء.

- عمومًا سنرتاح منه قريبًا، وستكون استقالة أو إقالة على حسب ما يختار هو.

ثم أكمل ساخرًا:

- لإنى طبعًا من أنصار الديموقراطية وهذا شعار الحزب والحكومة.

- معاليك طبعًا أكثر دراية بما فيه مصلحة العمل ولو أن دكتور سليم خبرة وكفاءة.

فقال عاصم ساخرًا:

- من أجل هذا لا أريده فى الوزارة أنا أختار أهل الثقة وليس أهل الكفاءة.

فقالت خديجة مُتَمَلْمِلَة:

- عمومًا معاليك هل تريد منى شيئًا آخر؟

فقال عاصم وهو يبحث فى هاتفه المحمول:

- نعم.. سليم هذا أحيانًا تكون له فائدة سيفى (save) لديكِ هذا الرقم.

وأخذ يُمْلِى عليها الأرقام بعد أن أخرجت هاتفها من حقيبتها ودّونت اسم المحامى

وقال لها عاصم:

- مُحَامِيْكِ هذا فعلًا بليد إلى الآن لم تصلى مع طليقك إلى شىء.. أما المحامى الذى كتبت رقمه الآن فهو مُجْرِمْ وسيأتيكِ بكل حقوقك من طليقك من أول جلسة وأنا أيضًا سأهاتفه وأعطيه فكرة عن الموضوع.

فقالت خديجة بدهشة:

- ولكن معاليك منذ مدة طويلة ما عدت تسألنى عن أحوالى الشخصية كيف عرفت معاليك أنى حتى الآن لم أصل إلى تسوية مع طليقى؟

- هل أنتِ بلهاء؟ وهل يوجد فى هذه الوزارة.. ماذا يقولون؟ المثل الذى فيه الفول المبتل فى الفم..

" وبالذات همام وأميرة " هكذا حَدَّثَت نفسها وقد فَهِمَت أنهما مصدر الأخبار

وقالت لعاصم:

- صحيح معاليك.

وفى الحقيقة لقد فَرِحَت لأن عاصم يتابع أخبارها مما يعنى أنه لازال يهتم بها ولو بقدرٍ ضئيل.

وتذكرت شيئًا فقالت بتردد:

- لكن هل المحامى الذى تنصحنى به معاليك أستاذ كبير ويترافع فى قضايا كبيرة؟

فقال عاصم وقد فهم:

- اطمئنى أتعابه عادية.

فقالت خديجة بحرج:

- عادية بالنسبة إلى معاليك أم بالنسبة إلىّ؟

فقال مطَمئنًا:

- لا بالنسبة إليك يا خديجة.

- أنا أشْكُرَكَ كثيرًا معاليك.. أتعَبْتُ معاليكَ معى.

- أنتِ فعلًا أتعبتينى جدًا.. اذهبى إلى عملك الآن.

obeikan.com

وانصرفت إلى حجرتها، والواقع أنها كانت تهرب من مشاكلها بالإنغماس أكثر فى العمل لدرجة أنها أصبحت كثيرًا ما تمكث فى مكتبها تعمل فيه بعد انتهاء الدوام الرسمى وانصراف الموظفين وأحيانًا كان عاصم يمكث معها يُنْهِى هو أيضًا أعماله، وكثيرًا ما يتركها ويذهب حيث جدوله حافل بمواعيد كثيرة واجتماعات ولجان.. الخ، وحتى فى الأحَايِيْنِ التى يمكث فيها معها وحدهما يَظَلُّ قابعًا فى مكتبه ولا يدخل إليها أو يتبادل معها كلمة واحدة وكأنها غير موجودة، وكانت هى فى البداية تشعر بالإثارة عندما تُحِسُّ أنهما وحدهما بعد انصراف الموظفين.. ثم وعندما تكرر إهماله لوجودهما وحدهما.. ارتضت باليأس والتعاسة رفيقين لها، وقد أدركت أنها ضَيَّعَت عاصم وخسرته إلى الأبد.. وكانت تُعَزّى نفسها بالقول أن خسارته أهون من أن تخسر احترامها لنفسها، لكنها فى أعمق أعماقها كانت تعلم أنها تكذب وأن خسارته أشد إيلامًا من خسارتها لحياتها ذاتها، ولكن ماذا تفعل وقد صَدَقَهَا عاصم ونسى قول الإمامِ علىٍّ كَرَّمَ الله وجهه "يتمنعن وهن الراغبات".. فلتدفن إذن رغبتها مع يئسها فما من سبيل إليه وأنى لها استعادته؟!

هكذا كانت تظن، لكنها لم تكن تعرف.. لم تكن تعرف أبدًا أن فوق صخرة اليأس ستتحطم مقاومتها وتتبعثر أشلاءًا وأن الرغبة المدفونة ستنبعث من جديد وتنتفض من مرقدها ماردًا عملاقًا يقودها إلى مصيرها التَعِسْ وقَدَرَهَا المحتوم.

obeikan.com

الغُرُوْر

obeikan.com

هل هى الطبيعة البشرية أم نظرة المجتمع أم ماذا؟ كثيرون يلتمسون العذر لخديجة لوقوعها فى حب عاصم والغالبية تراه أمرًا طبيعيًا لإن عاصم نموذج فيه كل ما يجذب النساء ويروقهن ويسعين خلفه، أما عالية فيرون أن مجرد مرور فكرة الحب لرمضان على قلبها هو نوع من العَبَث أو درب من الجنون وليس للفكرة أىَّ منطق تستند إليه ولا مَحَلَّ لها من الواقع.. فكيف تلتفت الصيدلانية الشابة الجميلة إلى رجل هو أدنى منها فى كل شىء؟.. يكفى أنه فى مقام خادم ولكن.. هذا هو الحب حيث المستحيل يصبح ممكنًا والخيال يغدو حقيقة والاستهجان ينقَلِبُ استحسانًا، على أن عبارة " الحب يصنع المعجزات " تنطبق على عالية التى لم تكن عاطفية فى تفكيرها فى يومٍ من الأيام، وكانت خديجة تحسدها لإنها دائمًا تُحِبُّ بعقلها فقط ولا تترك أبدًا المجال لقلبها كى يختار، وهذه هى الأعجوبة أو المعجزة.. عالية العقلانية التى لم تترك يومًا قلبها يقودها، يتعطل عقلها فجأة وتنقاد وراء مشاعر لم تخبرها فى حياتها من قبل.. أحست فجأة أن فى رمضان ما يشدها إليه.. فى البداية ظنت أن اكتشافها لحبه وتَدَلُّهَهُ هو الذى يجذبها إليه، ولِأنها كامرأة، فى حاجة إلى من يُرْضِى غرور الأنثى فيها خصوصًا بعد أن غَيَّبَ الموتُ زوجها إلى الأبد لكن عندما تقدم عبد الله الخليجى لخطبتها عرفت أن هذا ليس السبب لأنها لم تنجذب إلى عبد الله، وهو على ما هو عليه، وقد صارحها بحبه وإعجابه بل وربما أنه وقع فى حبها فى نفس الوقت الذى وقع فيه رمضان أيضًا فى حبها، وعادت تحلل بعقلها وتبحث عن سببٍ أخر.. ربما يكون ارتباط أولادها القوى به؟ لكن هذا الإرتباط لا يعنى استثارتها عاطفيًا على الكيفية التى بدأت تشعر بها تجاهه، وأخيرًا اعترفت لنفسها أنها وقعت فى حبه وحسب.. دونما سبب ورُغْمَ أنها هى نفسها كانت أول المستنكرين لهذه الفكرة، فكرة أن تقع فى حب شخص مثل رمضان، ولإنها رأت ذلك دربًا من الجنون، فقد طوت سِرَّهَا فى صدرها وبذلت جَهْدَهَا كى تسير الأمور

كما كانت تسير وكأنها لم تعرف أنه يعشقها ولم تكتشف أنها تبادله مشاعره فما من فائدة تُرجى من اعتراف أحدهما للآخر بحبه بل قد تنقطع العلاقة بينهما إذا صرح هو بحبه لها وقد يظنها ذهب عقلها إذا هى أخبرته أنها تحبه.. ولكن الصَبّ تَفْضَحُهُ عيونه، وقد كان جالسًا معها ومع الأولاد حين رن هاتفها المحمول.. كان عبد الله ...

- السلام عليكم يا دكتورة.

- وعليكم السلام.. أهلًا يا شيخ.

- كيف حالك أنتِ والأولاد؟ عساكم بخير إن شاء لله.

- الحمد لله.. وأنتَ كيف حال حضرتك؟

- نحمد الله وأتمنى أن لا أكون قد أزعجتك.

- أبدًا.. أؤمرنى.

- بالنسبة إلى الموضوع الذى فاتحتك فيه قبل أسبوع.. وقت أن زرتكم شعرت بعدم تَحَمُّسَكِ للموضوع.. أنا أعرف أن هناك تفاصيل يمكن أن لا تكونى مُرْتَاحَةٌ إليها وفكرت أنه إذا سمحتِ لى وتقابلنا فى أى مكان عام ونحكى قليلًا معًا.

- نحكى فى ماذا؟ ثم ألم تقل لى أنك تُقَدِّرُ حزنى على المرحوم ولا يليق أن نتكلم عن فرح ونحن لازلنا فى حُزْن.

- أنتِ لن تتكلمى فى شىء.. أنا الذى سأتكلم.. فهناك أشياء لا تعرفينها عنى بعد، وأعتقد أنه من المهم أن تعرفيها قبل أن تأخذى قرارك .

إن ما تعرفه عنه يكفيها ومهما قال فلن تُغَيِّرَ رأيها..

Obeikan.com

ورُغْمَ ذلك وجدت نفسها تقول:

- فهمت.. فهمت..

وسكتت قليلًا تفكر ثم قالت:

- يمكن أن نتقابل صباحًا والأولاد فى المدرسة.. بعد غد إجازتى الأسبوعية من الصيدلية إذا كان يناسب حضرتك الساعة الثانية عشر ظهرًا فى أى كافيه (cafe) قريب.

- متفقين.. أنا سَأَمُرُّ عليكِ فى الموعد لنذهب سويًا.

- لا داعى أن تُتْعِبَ نفسك أنا سأقابلك هناك مباشرة.. أعتقد يوجد كافيه (costa) فى الشارع خلف الشارع الذى أسكنه ما رأيك أن نتقابل فيه؟

- ستجدينى فى انتظارك.

- أراكِ على خير إذن.. مع السلامة.

عبد الله وقت أن التقى عالية فى وجود أمها، قبل أسبوع، التقط إشارات منها جعلته يشعر بعدم حماسها لعرض الزواج وأن ذلك ليس مرجعه حزنها على زوجها، رغم أن هذا ما قالته. فكر عبد الله أنها معذورة فى ترددها بشأنه.. إنه يملك النفوذ والمال ولكن ذلك لا يبدو كافيًا لإقناع امرأة مثلها.. إنها على درجة عالية من التعليم والثقافة، كما أنها مصرية وفكرة أن تكون زوجة على ضُرَّةً فكرة ترفضها المصريات وبعضهن تعتبرنها إهانة، وهو لا ينسى ما كان المرحوم طارق يحكيه عن مدى الألم الذى شعرت به وقت أن علمت نبأ زواجه من أخرى، وهذه النقطة تحديدًا هى التى يود أن يُوَضِّحُهَا لها حين يلقاها، ثم إنها امرأة ويجب أن يُقَدِّم لنفسه عندها أولًا.. لابد أن يَصُّبَّ فى أذنيها من الإطراء ما يُرضيها كأنثى ولابد أن يحكى لها عن افتتانه بها منذ رآها.. لا يكفى أن يُلقِى بعرض الزواج

ويمضى.. من المهم أن تعرف عنه ومنه ما يُحَفِّزُهَا على التفكير فيه.. هو لا يطمع أن تتعلق به مثلما تعلّق بها منذ رآها ولا أن توافق على عرضه على الفور.. مجرد التفكير فيه يبدو بالنسبة له بداية جيدة وبالتتابع قد تأتى الموافقة التى ينتَظِرُهَا على أحرّ من الجمر.

***

أما عالية فإنها عندما أغلقت الخط، اكتشفت أن رمضان سمع كلامها كله لأنها كانت تتحدث على مَقْرُبَةٍ منه هو والأولاد كما أن وجهه المُتَلَوِّن يشى بذلك ووجدته يسأل بنبرة غيرة واضحة:

- هل هذا هو الشيخ عبد الله الذى نعرفه.. كان مع حضرتك على المحمول؟

فردت عالية ببساطة:

- نعم.. هو.

ولم يستطع رمضان أن يملك نفسه وقال بصوتٍ واجف:

- هل... هل الشيخ عبد الله عرض على حضرتك الزواج؟

ولا تدرى لماذا أجابته بسرعة وببراءة:

- نعم.

... ربما كانت تريد أن تتأكد فوق تأكدها مما يحمله لها فى قلبه !

وعلى الفور طفرت من عينى رمضان دمعة فور تحققه مما خمنه من حديثها مع عبدالله على الهاتف قبل لحظات، ورأت عالية تلك الدمعة التى أطلت من عينيه ورأت كيف أظلم وجهه.. إنه يحبها.. لا حاجة به لأن

obeikan.com

يقولها بلسانه صريحة.. نظرات عينيه و دمعه تقولها.. ملامح وجهه تُفْصِحُ عنها.. رنة صوته الذى يرجف من شدة الغيرة يُنَبِّئُ بِهَا، وطال صمته، فقالت عالية:

- يا أولاد اذهبوا إلى غرفتكم الآن لأنى أريد أن أتكلم مع رمضان فى أمرٍ هام.

فقال عبد العزيز مُتَذَمِّرًا:

- لماذا لا تؤجلى كلامك حتى ننتهى نحن من اللعب معه أولًا؟

فقالت عالية بحزم:

- نحن بعد أن ننتهى من حديثنا سيذهب إليكم فى الغرفة ليستكمل معكم اللعب.

ودخل الأولاد إلى حجرتهم ساخطين، بينما وقف رمضان مُتَأَهِّبًا للانصراف، فقالت عالية:

- إلى أين أنت ذاهب؟ ألم تسمع أنى أريد أن أتحدث معك؟

فقال رمضان بصوتٍ مُختنق:

- أنا آسف لكنى شعرت بالتعب فجأة و..

فقالت عالية برفق:

- اجلس يا رمضان.

وجلس على مضض

فقالت وهى تتفحص وجهه:

Obeikan.com

- وإذن لم تخبرنى برأيك؟

- رأيى فى ماذا؟

- فى موضوع زواجى من الشيخ عبد الله.

كان يشعر بالاختناق وكأن أحدهم سَدَّدَ إلى قلبه خِنْجَرًا مسمومًا وحاول أن يتمالك نفسه وقال بانكسار:

- ومن أكون أنا حتى أقول لحضرتك رأيى؟ ثم الشيخ عبد الله الذى تعرفينه حضرتك عنه هو تقريبًا نفس ما أعرفه أنا.

فقالت بضيق:

- ولكن هل ترى أنه من اللائق أن يُحَدِّثَنِى فى هذا الأمر الآن؟

- هم عاداتهم غير عاداتنا وحضرتك يمكن أن تَلْفِتِى نظره لذلك.

- لَفَتُّ ولا فائدة ها هو يفتح الموضوع مرة أخرى.

فوقف رمضان وقال بتسليم:

- الذى لنا نصيب فيه هو ما سنراه.

واتجه نحو باب الشقة بِخُطُواتٍ سريعة وتَبِعَتْهُ وعند عتبة الباب وقف وقال:

- إذا كنتِ حضرتك لا تريدين منى شيئًا أَسْتَأْذِنُكِ فى عدم المجئ غدًا.

- فقط غدًا؟

- نعم وإن شاء الله سأجيئك بعد غد.

فقد سمع أنها ستقابله بعد غد ولعله يعرف نتيجة هذا اللقاء، وإن بدا له أن النتيجة محسومة

وقالت عالية:

- لا بأس سَأُعْفِيْكَ من المجىء فى الغد.

- تُصبِحِيْنَ على خير.

وفتح الباب وخرج، وبمجرد نزوله إلى الشارع، طفرت من عينيه دمعتين حبيستين.. دمعتى قهر وألم.. فها هى تضيع منه ثانية وربما هذه المرة سَيُحْرَم منها إلى الأبد فمن الجائز جدًا أن تسافر مع الزوج الجديد وتستقر معه فى بلده ومن المتوقع أيضًا ألا يرى الزوج الجديد ضرورة لوجود رمضان فى حياتها هى والأولاد فلديه كثيرون يقومون على خدمته وسيختار منهم بالتأكيد من يراه مناسبًا لخدمة الزوجة الجديدة وأولادها.. إنه يشعر بقلبه يحترق من شدة الغيرة ولكنه عاجز لا يستطيع أن يُخْمِد النيران المشتعلة فى قلبه.. كان يود أن يقول لها أنا أحبك أكثر من أى شخص آخر على وجه الأرض.. أحبك أكثر من نفسى.. أنا أَوْلَى بِكِ من أى رجل آخر.. لا.. إنه ليس الأَوْلَى فحقًا إنه يحبها أكثر من أى رجل آخر على وجه البسيطة، لكن الحب وحده لا يكفى.. إنها تريد من يماثلها أو يعلو عليها فى المكانة الإجتماعية وفى الثراء ولو أنه حقًا يحبها فلابد أن يحرص على مصلحتها ويتمنى لها الأفضل.. فليتمن إذن أن تتم هذه الزيجة لأن عبد الله هو الأفضل.. أما هو فسيظل قابعًا فى الظل قانعًا بالمكان الذى تختاره له فى حياتها أيًا كان حجمه ضئيلًا.

وظل منذ نزل من عندها يهيم على وجهه فى الشوارع والطرقات إلى أن طلع الصباح ووجد نفسه تقوده قدماه إليها من جديد.. حيث اختبأ بعيدًا ووقف يراقبها وهى تخرج من العمارة هى والأولاد.. كم يتألم لإنه لا يستطيع

obeikan.com

أن يصارحها بحبه وكم يَنُوْءُ صدره بِسِرِّهِ وكم.. وكم.. وكم... أما من نهاية لهذا العذاب؟!

.. أما عالية فقد قضت ليلتها يُعَذِّبُهَا ضميرها لأنها تسببت فى إيلام رمضان على النحو الذى جعل الدموع تطفر من عينيه.. إنها تعلم أنه يحبها ولقد نطقها بدموعه، لامت نفسها أيضًا لأنها حين اسْتبْقته لم تُوَاتِهَا الجُرأة كى تُلَمِّحَ له أنها تعرف ما فى قلبه وأن فى قلبها مثله.. حتى لسانها لم يطاوعها فى أن تُعِيْدُ له أَمَانَهُ وتُخْبِرَهُ أنها لا تريد الزواج من عبد الله لا فى هذا الوقت ولا فى أى وقت آخر، ولا تدرى أيضًا لماذا جَبُنَت فلم تُصَارِحِ عبد الله بحقيقة موقفها منه..

كانت نادمة وحزينة لإنها تفعل أشياء لا ترضى عنها.. تساير رجلًا لا تحبه ولا تنوى الإرتباط به، وتجرح رجلًا يحبها وتبادله الحب..

ماذا هى فاعلة بنفسها وإلى أين يقودها الصراع المُحْتَدِم بين عقلها وقلبها؟ بين ما يرغبه الآخرون وما ترغبه هى..

***

حين التقت عبد الله فى الموعد الذى اتفقا عليه كانت قد قررت أن تحسم المسألة وتطوى صفحته إلى الأبد.

وذهبت فى موعدها فوجدته بانتظارها وبعد مصافحتها جلسا وبدأ هو الكلام قائلًا بابتسامة:

- ما شاء لله ما كل هذا الجمال يا دكتورة؟

فاغتصبت عالية ابتسامة وقالت:

- شكرًا على المجاملة.

فاتسعت ابتسامته وقال بشاعرية:

- تعلمين أنها ليست مجاملة.. صِدْقًا جمالك يأخذ العقل ويخطف القلب يا عالية.

ولاحظ تغير وجهها عندما نطق اسمها مُجَرَّدًا، فأسرع يقول:

- أتعشم ألا تكونى قد تضايقتِ لأنى أقول عالية بدون ألقاب.. أنا أريدك أنتِ أيضًا أن تقولى لى عبد الله مُجَرَّدًا.

فقالت بجفاء:

- صعب أن أُزِيْل الألقاب وليس بيننا علاقة تسمح بذلك.

- ستكون.. سيكون بيننا كل طَيِّبٍ بإذن الله.

وسكت لحظة يرقب تعبيرات وجهها.. لم تكن مُشَجِّعَةً ولكنه أصرّ على المُضِيّ قُدُمًا،

وقال بشجاعة:

- اسمعى يا عالية أنا لن أُضَيِّع وقتك.. أنا أعرف أنكم فى مصر مُعَوَّدين على زوجة واحدة وربما لهذا أنتِ تُفَكِّرين أنه سيكون لك ضرة إذا تزوجتينى لكن ما لا تعرفينه أنى طلقت من خمسة أشهر وكنا منفصلَيْن قبلها.

فقالت عالية بدهشة:

- طلقت زوجتك؟ أعنى..

واعتبر عبد الله دهشتها علامة جيدة

وأكمل فى حماس:

- أعرف أنه لم يصلك الخبر.. لم نكن متوافقين.. كانت بيننا مشاكل كثيرة آخرها أنها كانت تريد أن تبقى فى لندن وتستقر فيها لكن أنا لا أستطيع أن أترك بلدى وأهلى.. وحَكَّمْنَا أهلنا وقالوا ما دامت مُصِرَّة، تعيش فى المكان الذى ترتاح فيه وأُطَلِّقها.. ولا تعرفين كم فرحت بهذا الحكم.

فقالت باستغراب:

- فرحت؟

فتطلع فى عينيها وقال:

- نعم فرحت لإنها خطوة تُقَرِّبُنِى مِنْكِ.. أنتِ تظنين أن فكرة الزواج خطرت ببالى فجأة بعد أن أصبحتِ أرملة وأنى، كما يفعل بعض الرجال عندنا، سأتزوجك زواج متعة أو لا أدرى ما اسمه لمدة أشهر ثم أهجرك بعدها..لا يا عالية.. أنا أحبك من قبل.. أحبك، وأنا لا أفتخر بهذا، من وقت أن كنت مع المرحوم، ومن أول ما وَقَعَت عينى عليك لكنى كتمت سرى فى صدرى لإنه لا يليق.. كنتِ متزوجة ولا أستطيع حتى أن أُرْسِلَ لكِ نظرة أو أُلَمِّحَ بكلمة.. ولَكِنَّكِ الآن صِرْتِ حُرَّة وأستطيع أن أقول لكِ كل ما فى قلبى وأنى أُرِيدُكِ بالحلال.

ثم سكت وهو يرقب انفعالات وجهها بمزيج من القلق والرجاء، وقد كان صادقًا فى كل ما قاله لها.

وظلت عالية على صمتها، لقد فاجئها ما قاله وإن لم يجعلها ذلك تغير قرارها.

وقال بوجل:

- لماذا لا تتكلمين؟ أنا لا أقصد أن أعرف رأيك الآن فكما اتفقنا خذى وقتك وفكرى على راحتك.. لكن أنا أعنى لو لديك سؤال.. أمر لا ترتاحين إليه.. شىء تريدينه.. أنا هنا كى أُجِيب وأُلَبِّى.

كانا قد طلبا شايًا ساخنًا وقهوة باللبن ووضع النادل أمامهما الطلبات ثم انصرف وتناولت هى كوب الشاى وتشاغلت بوضع السكر فيه ثم تقليبه على مَهَل.. إنه رجل محترم وهى تريد أن تُبْلِغَهُ رفضها بطريقة لا تجرح مشاعره ولكن كيف يحدث ذلك وهو يقول أنه يحبها؟! وارتشفت رشفة من كوبها على مهلها بينما هو يُتَابِعهَا بمزيج من اللهفة والرجاء، ثم وضعت الكوب على الطاولة، ونظرت إليه وتسارعت دقات قلبه، وقالت:

- اسمع يا شيخ عبد الله كل الكلام الذى قلته جميل وأى واحدة فى مكانى أكيد كانت ستفرح عندما تسمعه ولكن..

وسكتت ....

فقال بلهفة:

- ولكن ماذا؟

فقالت وهى تنظر إلى الطاولة:

- بصراحة.. أرجوك سامحنى أنا غير موافقة.

ثم رفعت عينيها إليه مرة أخرى وأكملت:

- وهناك ألف واحدة أفضل منى يتمنونك.

فقال مصدومًا:

- لكن أنا لا أتمنى غيرك.

وسكت لحظة ثم قال:

- أنا أعرف أنكِ مازِلتِ حزينة على المرحوم بعد.. أنا سأنتظر إلى أن تهدأ أحزانك....

فقاطعته قائلة بحزم:

- رفضى هذا نهائى وليس له علاقة بحزنى على المرحوم.

- ما معنى هذا؟ أتعنين أنكِ ستبقين بدون زواج؟

- أنا لم أقل أنى سأُقَاطِع الزواج.. أكيد سأُفَكِّر فى الموضوع عندما يأتى النصيب.

فقال بعتاب:

- وهل أنتِ لا ترينه جالسًا أمامك الآن؟

- شيخ عبد الله أنا لا أريد أن أُعطِيَكَ أملًا وتنتظر وفى النهاية قرارى لن يتغير.

- لماذا؟ هل بى شىء يُزعِجَكِ أو تخافين منه؟ صارحينى.

- ولا أى شىء طبعًا، فكما قلت لك أنت رجل تتمناه كل امرأة.. المشكلة عندى أنا.

فنظر إليها بشك ثم قال:

- هل هذا يعنى أن هناك رَجُلًا آخر؟

فارتبكت وقد باغتتها جُرأته ثم أردفت بصرامة:

obeikan.com

- شيخ عبد الله أنا ليس مطلوبًا منى أن أُطْلِعَكَ على تفاصيل حياتى الشخصية.

- سامحينى أنا لم أقصد أن أُغضِبَك...

ولكنها كانت قد نهضت ومدت يدها تصافحه وقالت:

- أنا مضطرة للانصراف الآن فهذا موعد خروج الأولاد من المدرسة ولا يوجد أحد فى المنزل ليكون باستقبالهم، أشكرك على الشاى.

ووقف يُصَافِحُهَا وقال:

- برغم كل ما قُلْتِهِ فأنا لن أيأس منكِ وعسى أن يكون لى نصيب فيكِ فى قابل الأيام.

ونظرت إليه متعجبة ثم انصرفت، وأخذ هو يتابعها ببصره حتى غابت عن ناظريه

.. أما هى، وإن استغربت جملته الأخيرة، إلا أنها شعرت كأن حَجَرًا ثقيلًا انزاح من فوق صدرها فقد أعلنته رفضها بوضوح ودون مواربة.. شىء واحد فقط ضايقها.. شَكَّهُ فى وجود آخر بحياتها وإن يكن؟ ما شأنه بها؟ وألقت ضيقها جانبًا.. تمامًا مثلما ألقت كل ما قاله لها عبد الله، رغم أهميته، خلف ظهرها.. إنها حتى لم تتأثر بمظهره حين التقاها وقد بدا وسيمًا أنيقًا وهو يرتدى سروالًا أسود من الجينز تحت قميص أبيض من القطن وقد شَمَّر ساعديه بأناقة وفخامة زادتها الساعة الغالية التى كانت تُزَيِّنُ مِعْصَمَهُ وشعره الأسود الكثيف والمُصَفَّفَ بعناية واللحية الصغيرة المُنَمَّقَة.. وأية امرأة فى موضعها كان لابد سيفتنها مظهر عبد الله ذاك وسترتجف حين تسمع منه أنه وَالِهٌ مُدَلَّه، ولكن عالية لم تهتم.. كل ما كانت تفكر فيه رمضان! متى تمر الساعات ويأتى موعد اللقاء لِتُبَشِّرَهُ بالنبأ

obeikan.com

السعيد فيهدأ باله ويسكن خاطره ومن يدرى ربما يتجرأ وقتها ويعترف لها بحبه وربما يفهم أيضًا أنها تحبه وأنها رفضت عبد الله من أجله.. وإن بدت الحقيقة الأخيرة مستحيلة التَخَيُّل.

وإذا كانت هى لم تهتم إلا أن عبد الله اهتم كثيرًا بما قالته.. كان شكه فى وجود آخر طبيعيًا لأنها، كما أخبرته، ليست رافضة لفكرة الزواج مرة أخرى وكانت كلمة النصيب تعنى بها رجلًا بعينه.. هكذا تَصَوَّر، وإذا لم يكن فى قلبها رجل آخر فلماذا ترفضه؟ وهو – بشهادتها – زوج تتمناه أية امرأة.. ولكن من هو غريمه؟ فضوله وغيرته سيقتلانه ليعرف من الذى سبقه إلى قلبها ورفضته من أجله.. وأخذ يعصر ذهنه أيكون زميلًا صيدلانيًا يعمل معها فى العمل الجديد أم قريبًا لها ظهر بعد وفاة زوجها؟ ووجد الأمر صعبًا فهو لا يعرف أحدًا على اتصال بها سوى.. سوى رمضان، وبالطبع استبعده فورًا.. ثم تذكر رجلًا آخر.. إنه الوزير عاصم.. لقد رآه فى عزاء زوجها وعرف أنه جاء مُجَامَلَةً لأختِها التى تعمل فى مكتبه ولأنه يعرف أنه مُطَلِّق فقد بدأ يشك أنه هو الذى يبحث عنه، فعاصم يماثله ويوازيه فى كل المزايا تقريبًا بل يتفوق عليه فى نقطة أنه مصرى مثلها لكن عاصم عندما أتى للعزاء كانت هذه هى المرة الأولى التى يرى فيها عالية – وضح ذلك من أختها التى قامت بتعريفه لها – وإذا كانت هذه هى المرة الأولى فمتى إذن أحبها وأحبته وتصارحا بمشاعرهما؟ ولكن ها هو يقولها كانت المرة الأولى فربما تبعتها مرات أخرى ونمت العلاقة بينهما خلالها لاسيما وأن هذا التعارف الأوَّلِىّ كان منذ شهور ناهيك عن أن الوقوع فى حب عالية لا يستغرق أكثر من نظرة إليها – تمامًا كما حدث له – وفكر أنه بدلًا من أن يغرق فى بحر الإحتمالات والتخمينات فليذهب إلى المصدر مباشرة ويقطع الشك باليقين وبينه وبين عاصم علاقة قد تسمح له بذلك إذا أحسن انتقاء كلماته.. وهو وكما قال لها لن ييأس منها، وإذا لم يكن عاصم هو هدفه المنشود فعلى الأقل يمكنه أن يساعده فى فتح الموضوع

مرة أخرى ومحاولة إقناعها.. ومن يدرى ربما يشرح الله صدرها له وينال مراده..

***

أما رمضان عندما حَلَّ موعد ذهابه إلى منزل عالية كان يقدم رِجْلًا ويؤخر أخرى.. يريد أن يراها يسوقه شوقه إليها وأمل شديد الضآلة فى حدوث معجزة بأن ترفض الزواج من عبد الله، وفى نفس الوقت يُشْفِق على نفسه من مذلة الإنكسار أمامها عندما يعرف أنها أصبحت لغيره، وهو ما يتوقعه لأن من البديهى أن توافق عالية.

ووجد نفسه أمام باب شقتها وقبل أن يرفع إصبعه ليرن جرس الباب عاهد نفسه أن يبقى متماسكًا وأن يتجلد فذاك الضعف لا يليق بالرجال، وكأنها كانت تقف وراء الباب فما إن دق الجرس حتى وجدها أمامه بِطَلَّتِهَا البهية ووجهها المُشْرِق.. كم يشعر بالأسى إذ سيُحرم حتى من رؤيتها إذا سافرت مع الزوج الجديد .

وقالت عالية باسمة:

- ما بك واقفًا هكذا؟ ادخل..

ثم وضعت سبابتها فوق شفتيها وقالت بصوتٍ خفيض:

- أدخل بهدوء حتى لا يعرف الأولاد أنك أتيت.. فأنا أريد أن نتكلم بمفردنا قليلًا أولًا.

ودخل وأغلقت الباب بهدوء وحذر وبعد أن جلس رمضان، قالت:

- ماذا ستشرب؟

- ولا شىء يا سيدة الناس.

فقالت وهى تجلس:

- حسنًا سأذهب لعمل شاى عندما تدخل للأولاد.

وأخذ هو وهى يتبادلان النظرات.. كان قلبه يدق بعنف ويخشى أن يسألها فيسمع منها ما يسوءه وهى أيضًا كانت مُتَرَدِّدَةً فإذا تكلمت فإن هذا يعنى أنها بدأت تُزِيْلُ الحواجز بينهما وإذا لم تبدأ هى الكلام فأغلب الظن أنه سيبقى صامتًا إلى الأبد..

.. لماذا تهرب منها شجاعتها.. أتخشى الندم؟ أم أنها لا تصدق بالأساس أنها وقعت فى حبه؟ ووجدت نفسها تتنحنح ثم قالت:

- أنت لم تسألنى ماذا حدث فى مقابلتى مع الشيخ عبد الله اليوم؟

وتسارعت دقات قلبه وهو يقول:

- يارب خيرًا.

فقالت وهى تُرَكِّزْ نظراتها على تعبيرات وجهه:

- أنا.. أنا اعتذرت له وقلت أنى غير موافقة على الزواج منه.

وكاد قلب رمضان أن يتوقف من شدة الفرحة وكأن روحه عادت إليه كمثل المحكوم عليه بالإعدام ثم يصدر العفو عنه، وقفز من فوق مقعده كالأطفال ثم جثا على ركبتيه أمامها وتناول يديها فاعتصرهما فى يديه وهو يقول بحماس:

- بالله هل حقًّا رفضتِ؟ رفضتِ رفضًا نهائيًا.. نهائيًا باتاً؟

وأشرق وجه عالية وعلت الحُمَرة وجنتيها وعندما أمسك يدها على هذا النحو أحست بشعور رائع لم تَخْبَرْهُ من قبل، إنها تحبه.. تحبه.. تحبه،

وأومأت برأسها موافقة، وتنبه هو إلى أنه مُمْسِكٌ يديها فأسرع بتركهما، ونهض من أمامها، وعاد للجلوس على مقعده، وهو يقول بحرج:

- أنا آسف فقد أعمتنى الفرحة و..

وكانت عالية قد قررت أمرًا.. ستواصل الضغط عليه حتى يتكلم.. لابد أن يتصارحا قبل أن تفقد حماسها وشجاعتها، وقالت بِخُبْث:

- لكن لماذا فرحت إلى هذه الدرجة؟

وشعر أنها تُحَاصِرَهُ وربما أن رفضها أعطاه جرعة من الشجاعة وفكر أيضًا أنه ليس عليه أن ينتظر وقد كادت فرصة الإعتراف بحبه لها أن تضيع إلى الأبد.. سيتكلم وليكن ما يكون، وقال لها بحذر:

- أطلب أن تعطينى الأمان حتى أستطيع أن أتكلم.

فقالت مُتَظَاهِرَةً بعدم المعرفة:

- واضح أنه موضوع خطير تكلم يا سيدى ولك الأمان.

فقال برجاء:

- لكن أرجوكِ أن لا تعتبرى ما سأقوله جُرْأَةً ووقاحة وتُغْلِقِى بابك فى وجهى وحتى إذا كان الكلام سَيُضَايِقُكِ ألقيه جانبًا وكأنكِ لم تسمعى منى شيئًا.

فقالت عالية مُتَشَوِّقَة:

- هيا تكلم بسرعة قبل أن يأتى الأولاد.

فقال وهو يستجمع رباطة جأشه:

- بصراحة وباختصار أنا.. أنا واقع فى حبك ومن زمن طويل.

وسكت وهو يحاول أن يقرأ ما يدور بداخلها ويعرف رد فعلها.. هل اعتبرت ما قاله تطاولًا ووقاحة؟ أم أنها ستكون شفيقة به ومُتَفَهِّمَة؟ هل ستطرده من جَنَّتِهَا أم سَتُبْقِى عليه؟، وأشرقت الشمس أخيرًا... ابتسمت ابتسامة عريضة أضاءت وجهها كله.. إذن هو باقٍ ولن يُغادِر..

أما هى فقد نزلت كلمات " واقع فى حبك " بردًا وسلامًا على قلبها وقالت بهيام:

- لماذا سكت؟ أكمل.

فنهض رمضان وقال مُتَهَرِّبًا:

- لقد سألتِنِى حضرتك وأجبت.. سأدخل للأولاد.

فقالت بحزم:

- اجلس.. أنْهِ الكلام معى أولًا.

فجلس على مضض وقال وهو يهرب بعينيه:

- بصراحة أنا أخشى أن أُخَرْبِط فى الكلام زيادة على ذلك وقد حمدت الله أن الكلمة التى قُلْتُهَا قبل قليل مرت.

فقالت عالية بفرحة:

- ومن قال لك أنها مرت؟ قد جلست واستقرت هنا.

وأشارت إلى قلبها

فابتلع ريقه وقال:

opeikan.com

- أتعنين حضرتك أنكِ لم يُضَايْقْكِ ما قلته؟ ألم تعتبريها وقاحة مني أو أني مجنون؟

فقالت بتلقائية:

- مؤكد لو أن أحدنا مجنون فسأكون أنا.

فرد على الفور:

- أبعد الله الشر عن حضرتك بل أنتِ سيدة العقلاء.

ثم أطرق وأكمل:

- أنا أعلم أن حضرتك لم ترضى بكسر خاطرى لأن قلبك كبير وابنة أصول.

فقالت بشجاعة:

- أبدًا ليس هذا هو السبب.

فانتبه وقال وهو يرفع بصره إليها وقلبه يدق بعنف:

- فماذا إذن؟

فقالت بتمهل:

- أنت لم تسألنى لماذا رفضت الزواج من عبد الله .

فقال بوجل:

- وهل أنا يحق لى أن أسأل؟

- طبعًا مادام رفضى له علاقة بك.

obeikan.com

ثم أطرقت فى الأرض بخجل، وللحظات ظل ذاهلًا ونظر إليها غير مُصَدِّق

ثم قال:

- تعنين؟..

فقالت عالية مُؤَكِّدَةً:

- نعم وكما وصلك بالضبط.

وكانت أسعد لحظة مرت عليه خلال سنوات عمره البائسة كلها، وأخذ يُحَدِّق فيها قليلًا وكأنه يتأكد أنه ليس حلمًا ثم قفز يحملها بين ذراعيه ويدور بها كالأطفال فى سعادة.. إنها بين ذراعيه.. رائحتها فى أنفه وحرارة جسدها تُدْفِئُ صدره و..

أنزلها ثم قال بسرعة:

- أنا سأذهب لأرى الأولاد كى أتأكد أنى لا أحلم.

وأسرع إلى حجرة الأولاد بينما ابتسمت هى وقالت:

- وأنا سأذهب لعمل الشاى.

.. كان كلاهما يطير على أجنحة السعادة بعد أن تصارحا، هو كان يشعر كأنه امتلك قطعة من السماء بين يديه، وهى عندما حملها بين ذراعيه تأكدت أنه أول رجل يدخل قلبها على الرُغم من أنها كانت مُتَزَوِّجَة من قبل.. وهذا هو سحر الحب وهذه هى معجزاته..

***

بعد انصرافه وخلود الأولاد إلى فراشهم أخذت عالية تستعيد فى مُخَيِّلَتِهَا ما حدث فى سعادة إنها تحبه وهو يذوب فيها عشقًا وقد تصارحا فماذا

obeikan.com

بعد؟ السؤال بدا ككرة الثلج ظل يتدحرج ويكبر فى صدرها إلى أن منعها تمامًا من النوم.. والد رمضان الفلاح الأجير الأُمِّىّ وكذلك إخوة رمضان الحرفيين وأخواته البنات غير المتعلمات الأسرة الفقيرة التى تسكن فى قرية شديدة البؤس مَن مِن أخويها الطبيبيْن سيرضى بمصاهرة رمضان وأهله بهذا المستوى المتواضع والوضيع؟ إن موافقة أهلها على هذا الزواج تبدو مستحيلةً.

والمفارقة أن أهل رمضان أيضًا اعترضوا على هذه الزيجة.. أمه اعترضت لأنها أكبر منه فى السن بما يقارب اثنا عشرة سنة أو ثلاثة عشر – فهو فى أوائل العشرينات وهى فى منتصف الثلاثينات – كما أنه سبق لها الزواج.. أى أنها ليست بِكْرًا بل ولديها أطفال فلماذا يتزوج شاب مثله لم يسبق له الزواج بأرملة مثل عالية؟ والأدهى أنه حتى مستواها الإجتماعى وتعليمها العالى اعتبروه عيبًا وليس ميزة.. فمادامت من طبقة أعلى منهم بكثير فلابد أنها ستتعالى عليه بمستوى عائلتها وتعليمها وسوف تُسَيْطِرْ عليه فلا يكون الرجل فى بيته.. هكذا اعتقدوا وهكذا اعترضوا.

***

ومرت الأيام وعالية ورمضان يلتقيان دون أن يُفْصِحَ أحدهما للآخر بحقيقة اعتراض أهليهما على هذا الزواج.. هو يخشى أن يجرحها بما قالته أمه عن فارق السن ووجود أطفال لها، وهى تخشى أن تجرح كرامته إذا أخبرته كيف ينظر أهلها إلى عائلته وإلى تعليمه المتواضع..

ومع كل ذلك لم يفقدا الأمل وكانا يسعيان لأن تضيق المسافات بينهما، فَقَدَّم رمضان استقالته من الشركة التى كان يعمل بها وبدأ فى تأسيس مكتب خاص به وأيّدته عالية فى ذلك وشَجَّعَتْهُ.. ويومًا بعد يوم كانت ترى منه ما يُزِيْدَهَا تَعَلُّقًا به وحبًا له فهو طَمُوح ويسعى لتحسين وضعه

والارتقاء بمستواه ويساعده ذكاؤه على ذلك.. أيضًا كان يخاف عليها من نسمة الهواء أن تجرحها ويَغْمُرُهَا هى والأولاد بحنانه، ورغم شبابه وعنفوان رجولته لم يسمح لنفسه أن يستلب منها ولو قُبْلَةً.. ولم يكن ذلك سهلًا أبدًا لاسيما وهو يحمل لها كل هذا الحب فى قلبه ومفتون بها من زمن، وكان يمازحها قائلًا: " أنا صعيدى القُبْلَةَ لن تكفينى وعندما سأدخل سأدخل بكِ كُلَّكِ ولكن يُكْرِمُنَا الله بالحلال ".

وكانا يقضيان هزيع الليل الأخير كل منهما فى بيته يسأل الله أن يعفّهما بالحلال لاسيما وحبهما يكبر وحرمانهما يزيد.

كأن بينهما حائط زجاجى لا يريانه ولكن كل منهما يرى الآخر من خلاله وحينما يقترب أحدهما ليلمس صاحبه يصدمه الحائط بقسوة، إنه المجتمع يقف بينهما ويحارب وجودهما معًا، وسيظل كذلك..

Obeikan.com

obeikan.com

الاحتِيَاج

obeikan.com

وقف عاصم على باب مكتب خديجة وقال لها:

- خديجة .. تعالى.

فقالت خديجة:

- دقيقتين بالضبط سأطبع هذه الأوراق ويكون الملف جاهزًا أمام معاليك.

- اتركى الملف الآن وتعالى وحدك.

وعاد ليجلس خلف مكتبه بينما همست هى لنفسها قائلة: وحدى كيف؟ لابد سيعطينى عمل آخر وأنا لم أنتهى مما لَدَىَّ بعد.. ما عاد فى قلبه ذرة من رحمة.

وذهبت إليه وأشار إليها فجلست على المقعد أمام مكتبه وقال:

- اسمعى يا خديجة أنا أعرف أن بيننا ديل (deal) لكن حدثت ظروف ومضطر أن أُنَحِّى جانبًا المعاملة الرسمية لبعض الوقت وأُحَدِّثَكِ فى موضوعٍ شخصِىّ.

فقالت خديجة على الفور وقد تسارعت دقات قلبها:

- أنا ليس لدىَّ مانع أن نُلْغى الديل (deal) نهائيًا ونُنَحِّى المُعَامَلَةَ الرسمية على الدوام وليس الآن فقط.

ونظر إليها عاصم شذرًا فقالت بانكماش:

- أعنى.... هو ما تراه معاليك.

- حسنًا.. إن الموضوع ليس شخصيًا جدًا إنه شخصىٌّ فقط.

فقالت بحماس:

- تفضل معاليك كلى آذان مُصغِيَة.

واعتدلت فى جِلسَتِهَا ورمقها هو بشك، ثم قال:

- أختك اسمها عالية أليس كذلك؟

وعندما ذكر اسم عالية تحطمت آمالها، بل شعرت بالقلق وقالت بتوجس:

- نعم إنها هى التى ذهبتَ معاليكَ لتعزيتها فى وفاة زوجها.

فقال متذكرًا:

- نعم.. نعم أذكرها.

وسكت لحظة ونظرت هى إليه متسائلة، فقال ساخرًا:

- أختك يجب أن تقوم بواجبها الوطنى فمن غير المعقول أن تضرب لنا السياحة والإستثمارات فى البلد وتُفْسِدَ علاقاتنا مع الأشقاء العرب.

فقالت خديجة بدهشة:

- وما علاقة عالية بالسياحة والاستثمارات معاليك؟ إنها دكتورة صيدلانية.

فباغتها عاصم قائلًا:

- أختك لماذا لم توافق على الزواج من الوزير عبد الله؟

ثم أكمل مُوَضِّحًا:

- الرجل يتقلد الآن وزارة الإقتصاد فى بلده، ثم إنه ليس كبيرًا مُسِنًّا إنه شاب من سنها ومن عائلة لها وزنها، غير أنه تلقى تعليمه فى الخارج أى أنه ليس به عيب كى ترفضه الهانم أختك.

Obeikan.com

- أنا لا أفهم هل وسّط معاليك فى الموضوع؟

- نعم حدث.. فأنتِ تعرفين أن بيننا علاقة رسمية بسبب الإتفاقيات التى وقَّعْتَهَا وزارتنا مع الوزارة فى بلدهم ومن قبلها عندما كنا نُسَهِّلَ له الإجراءات من أجل الشركات والاستثمارات التى ينشئُها هنا.. الرجل عندما رآنى فى العزاء تذكر أنى على صلة بأختك ولهذا لجأ إلىَّ وهو يشكو من تعنت أختك معه ويطلب مساعدتى على أساس أن نفتح الموضوع معها مرة أخرى ونجعلها توافق.. وأنا والله أتعجب ! الرجل سَيُجَّنْ من شدة حبه لأختك مثلما أنا معك فما قصتكما؟

وسكت لحظة وقد شعر أن لسانه زلّ، ثم استدرك بلهجة مُغَايِرَة:

- أعنى الرجل يُحِبُّهَا وما به عيب وطبعًا هو مستعد لكل طلباتها شبكة ومهر وفيلا محترمة فى كومباوند (compound) أو قصر لو طلبت، وإذا أحبَّت أن تظل مُقِيْمَةً هنا فى مصر بعد الزواج أو حتى إذا سافرت تأتى للجلوس فيها عندما تنزل فى الإجازات وسيقيم لها عُرْسًا فى أفخم فندق فى القاهرة ولو طلبت عمرو دياب لِيُغَنّى فى الحفل سيُحْضِرَهُ لها، فالوزير فى بلدهم راتبه محترم وليس كما عندنا الوزير راتبه لا يسد الرمق.

فقالت خديجة ساخرة:

- لا إذا كانت الحكاية فيها عمرو دياب إذن يجب أن توافق.

فقال أيضًا ساخرًا:

- ومن أجل هذا لم توافقى على زواجنا؟ لأنى لن أحضر لك عمرو دياب فى العرس؟

- طبعًا لإن لو فيه عمروذياب لن يكون عُرْفِيًّا .. فسوف يُذاع على الفضائيات.

Obeikan.com

وسكتا قليلًا كلًا منهما يتأمل الآخر

ثم قال عاصم:

- نتكلم بجدية قليلًا.. الرجل يشك أن هناك غيره هل هذا صحيح؟

- إذا فرضنا أنه صحيح؟

فقال عاصم بتسليم:

- طبعًا الرجل سَيُصْدَم بشدة ولكن ليس أمامى إلا أن أعتذر له.

وسكت لحظة، ثم قال بفضول:

- إنما لم تخبرينى هل الآخر بوزن وحيثية الوزير عبد الله؟

فردت خديجة بتلقائية:

- ياليت !

وانتبهت لنفسها فأردفت بارتباك:

- أقصد أنها مسألة تخصها وحدها.

فرمقها عاصم بشكٍ وقال بريبة:

- لماذا أُحِسُّ أن هذا الموضوع فيه ما تُخْفِيْه؟

فوقفت خديجة وقالت بسرعة:

- عن إذن معاليك سأذهب لأُكْمِلَ طباعة.

وشعر عاصم أنها تتهرب منه فقال بحزم:

- اجلسى يا خديجة.

فجلست على مضض وقالت:

- ما الأمر معاليك؟

فقال مُتَفَحِّصًا تعبيرات وجهها:

- أنتِ التى ستقولين لى.

فقالت بحذر:

- معاليك إنه أمر يَخُصُّهَا هى وأنا غير مسموح لى أن أخوض فيه.

- بل هذا أمر يَخُصُّ مصر كلها.. إنها العلاقات الرومانسية بين البلدين.. تكلمى يا خديجة.

، ورغم سخريته كانت تعرف أنه مُصِرّ ولن يتركها حتى تحكى له كل شىء، ولكن ماذا تقول؟ إنها، ورُغْمَ تعاطفها مع أختها واحترامها لقصة حبها، إلا أنها تخجل من أن تُصَرِّحَ بأن أختها تحب شابًا متواضع المستوى مثل رمضان، وتُصَرِّحُ بذلك لمن؟ لعاصم فيزداد احتقاره لعائلتها.

وطال صمتها، فقال عاصم بحذر:

- هل أختك متورطة مع رجل متزوج؟

فقالت بإستنكار:

- أولًا هى ليست متورطة، وثانيًا اطمئن إنها تحب شابًا أعزب ولم يسبق له الزواج من قبل.

فقال عاصم بإعجاب:

- شاب ولم يسبق له الزواج؟ وسيأخذ أختك التى فى رقبتها أطفال؟ لم أكن أعرف أن اختك جبارة إلى هذا الحد.

فردت خديجة بتلقائية:

obeikan.com

- جبارة على ماذا؟ إنه رمضان.

ورنّ الإسم فى أذن عاصم وعندما تذكره جَمُدَ فى مكانه للحظة ثم هتف مستنكرًا:

- يا للنهار الأسود ! هل تعنين هذا الولد الذى يعمل لديهم سائق أو خادم أو حارس لا أذكر؟

وعندما رأت خديجة تعبير الغضب الذى ارتسم على ملامحه أدركت أن المصيبة التى تخشاها قد وقعت. فأطرقت فى الأرض، وقالت بخفوت:

- نعم.. هو.

فقال عاصم بانفعال:

- يجب إذن أن تذهبى بأختك إلى طبيب ليكشف على سلامة قواها العقلية .. فلا ريب أنها جُنَّت.

فقالت خديجة مُحَذِّرَةً:

- معاليك لا تنسَ أنها أختى.

- وهذه هى الكارثة.

وسكت لحظة ثم أردف:

- وطبعًا لن تجدى أحدًا من أهلك يوافق على هذا الجنون.

فردت خديجة على الفور:

- طبعًا لا يوجد.

ثم أردفت مُوَضِّحَةً:

- هى لم تواتيها الجرأة من الأصل لتفتح معهم الموضوع وكلما حاولت أن ترمى بكلمة أو تُلَمّحَ بشىء تسمع منهم ما يجعلها تبتلع لسانها وتسكت.

وسكت لحظة ثم قال بحزم:

- قولى لأختك أنى سأبلغ الوزير عبد الله بموافقتها على الزواج.

- كيف ذلك؟ هل ستتزوج رُغْمًا عنها؟

- لم أقل أن تتزوج الآن ستُخْطَب له وعندما يعود إليها عقلها وتنسى هذه القمامة تتزوج.

- حرام عليك لماذا تُهِيْنَهُ هكذا؟ هو لم يخطئ فى شىء إنه يحبها ويريدها فى الحلال.

- وهل عبد الله الذى يريدها فى الحرام؟ الأَوْلَى بكِ يا خديجة بدلًا من أن تُجادلينى وأنتِ نفسك غير مقتنعة أن تذهبى إليها وتحاولى أن تَرُدِّيْهَا إلى عقلها، وأنا من ناحيتى سأتهرب من عبد الله إلى أن تأتى وتُبْلِغِيْنِى أنها آبَتْ إلى رُشْدِهَا.

- وإذا لم يحدث؟

- لابد أن يحدث ليس لديها خَيَارٌ آخر .

فقالت خديجة وهى تنهض:

- عن إذن معاليك سأذهب لأُكْمِلَ عملى.

- خديجة ليتك تُغَادِرِيْنَ المكتب اليوم مبكرًا لتمرى على أختك قبل عودتك إلى منزلك.. الرجل ينتظر على نار.

وتركته خديجة ودخلت إلى مكتبها.

وكما طلب منها عاصم عرجت على أختها فى طريق عودتها للمنزل وتحدثت معها وكما توقعت فإن أختها لم تَلِنْ ولم ترجع عن موقفها من عبد الله.

***

ومر أسبوع ثم فوجئت بأختها تحادثها على الهاتف المحمول وهى غاضبة وتشكو لها من تَعَنُّتْ عاصم وأنه يقف فى طريق رمضان ويرفض أن يمنحه التراخيص اللازمة لإشهار المكتب الذى يؤسس فيه رمضان وطلبت من خديجة أن تُحَادِثَهُ فى هذا الشأن، وانتظرت خديجة إلى أن خلا مكتب عاصم من الجميع عداهما وتنحنحت فقال عاصم وهو يُقَلِّبُ فى الأوراق أمامه ودون أن ينظر إليها:

- هاتِ ما عندك.

فابتعلت ريقها واستجمعت شجاعتها, وقالت:

- لقد هاتفتنى عالية وأخبرتنى أن معاليك أوقفت لرمضان التراخيص و..

فقاطعها قائلًا ببرود وهو لا يزال يفحص الأوراق أمامه:

- ولن أمنحها له.. هل يظن نفسه بيل جيتس؟ إنه ولد قذر معه شهادة دبلوم حقيرة مثله.

قال الجملة الأخيرة بازدراءٍ واستعلاء.

- لكن معاليك هذه التراخيص ليس لها علاقة بالشهادة التى يحملها.

فرفع وجهه أخيرًا وأخذ ينظر إليها بغيظ ثم قال بهدوء:

- نعم.. أنا مُتَرَبِّصٌ له ولن أسمح أن يفتح هذا المكتب أبدًا كى يعرف حجمه ويعود لأختك عقلها.

- معاليك إنهما لم يُخْطِئا كى تعاقبهما إنهما..

فقاطعها قائلًا بانفعال:

- كلا بل أَخْطَئا.. عندما يدور شاب من بيئة مُنْحَطَّة مثله حول اختك ليوقعها فى حبائله يجب أن يقف أمامه أحد ويُعَرِّفَهُ حدوده فلا يتجاوزها مرة أخرى.

- هو لم يخدعها وعالية أيضًا ليست صغيرة.

- لكن عقلها صغير ولا تُمَيِّز أىَّ شىء.

فقالت بتحدٍ:

- ومعاليك عُيِّنْتَ وصيًا عليها؟

- تستطيعين أن تقولى ذلك.

كم هو قاسٍ، وقالت بانفعال:

- أتعرف؟ لقد تأكدت الآن فقط أنك ما أحببتنى عمرك لإنك ببساطة لا تَمْلِكُ قلبًا.

وتركته ودلفت إلى مكتبها وأغلقت بابه وراءها وما أن جلست على مقعدها حتى انفجرت فى البكاء.. كان من الصعب عليها أن تعترف بأن عاصم ظالم وها قد وقع ظُلْمُهُ على أختِهَا هذه المرة، وإذا كانت الخلافات بين عالية وعاصم قد أرهقت أعصابها فقد وصلت أيضًا الصراعات بينها وبين طليقها إلى درجة الغليان حتى لَكَأَنَّهَا تُحِسُّهَا تَصْهَرُ روحها..

واستجمعت نفسها ومسحت دموعها ثم سمعت ضجة فى الخارج وفتحت باب مكتبها ونظرت فإذا رمضان واقف أمام الباب يُصِرُّ على الدخول وهمام يمنعه ثم سمعت صوت عاصم يقول فى حزم:

- همام اتركه واذهب أنت.

obeikan.com

فقال همام:

- تحت أمر معاليك.

وخرج وأغلق الباب خلفه

ونظر عاصم إلى خديجة قائلًا بلهجة آمرة:

- عودى أنتِ أيضًا إلى مكتبك يا خديجة.

ودخلت خديجة على مضض..

وتقدم رمضان نحو عاصم ومد يده لِيُصَافِحَهُ, ولكن عاصم تجاهل يده الممدودة إليه وقال ببرود:

- ماذا تريد؟

فقال رمضان ساخرًا:

- هل معاليك لا تُصَافِحُ أحدًا إلا أمام كاميرات الأخبار فقط؟.. فقد رأيت معاليك من عدة أيام فى التلفاز وكنت تصافح رجلًا شكله يقول أنه لم يغتسل منذ سنة.

- لأنها سنة واحدة وليس طيلة حياته قذر.

وغلى الدم فى عروق رمضان، ولكنه حاول أن يُسَيْطِر على أعصابه وقال:

- لماذا تأخذ منى هذا الموقف؟ لماذا تحاربنى فى أكل عيشى؟

وسكت لحظة، ثم أردف ساخرًا:

- ثم إنه من المفترض أن الحكومة تسهر على خدمة المواطنين وراحتهم.

فقال عاصم باستنكار:

- أتريد أن تقول أنى أنا أخدم شخصًا حقيرًا مثلك؟

فقال رمضان ببرود:

- اعتقد أن الحكومة عيَّنَتْكَ من أجلِ هذا.

فرماه عاصم بنظرةٍ نارية وقال:

- ليس غريبًا على وضيعٍ مثلك تَخَطّى حُدُودَهُ مرة أن يستمر فى سفالته وحقارته للأبد.

وفهم رمضان ما يرمى إليه عاصم فقال مدافعًا:

- أنا لست انتهازيًا كما تتهمنى ولكن لا أحد فينا يملك قلبه وحبنا شريف ونطلب الحلال.

- أىَّ حلال فى أن يتزوج حُثَالَةً مثلك سيدته لتُنْفِقَ عليه.

واستشاط رمضان غضبًا، وكاد أن يَشُجَّ رأس عاصم لولا أنه بذل جَهْدًا خارقًا لئلا يفعل، وقال مُهَدِّدًا:

- أتعرف؟ أنا من الممكن أن أبعث بشكاوى وأحكى على الفضائيات عن تَعَنُّتَكَ معى.

وسكت لحظة ثم أردف بلهجةٍ مُغَايرة:

- لكن أنا لن أفعل ذلك إكرامًا لخاطر الأستاذة خديجة.. وليعوضنى الله خيرًا.

ثم أكمل بإصرار:

- وأبدًا لن أترك عالية.

فقال عاصم بغضب:

- أنت يا حقير يا قمامة تهددنى وتقول لى فضائيات وأشكوك؟..

ولم يكمل لأن رمضان أولاهُ ظهره وخرج..

وترك عاصم يغلى من شدة الغضب..

ولو لم يكن عاصم يُحِبُّ خديجة لما اهتم بأن يتزوج رمضان من عالية أو يتركها، ولكن عالية أخت خديجة التى يحبها وقد يتزوجها فكيف يُصْبِحُ رمضان هذا صِهْرًا له؟ ولو أن عالية كانت قد وافقت على الزواج من عبد الله الخليجى لكانت مُهِمَّةَ عاصم فى إقناع والديه بالزواج من خديجة أسهل كثيرًا على اعتبار أن أختها متزوجة أيضًا من وزير ومن أرقى العائلات فى بلاده، ولكن خديجة لم تفهم ذلك وتَحَيَّزَت لأختها وها هى، ومنذ ذلك اليوم، وقد مرّ أسبوع، كانت تتجنب الحديث مع عاصم نهائيًا وتُنَفِّذْ ما يطلبه منها فى صمت..

واستمرت فى خِصَامَهُ إلى أن جاء اليوم الفارق.. كانت فى ذلك اليوم جالسة فى مكتبها تعمل بعد انتهاء الدوام كما كان عاصم أيضًا فى مكتبه بعد انصراف الجميع.. حينها طرق الباب شخص لم يتوقعه عاصم حتى أن موظف الأمن عندما ذكر له اسمه سمح له بالصعود وهو مُنْدَهِش.. لقد كان معتز طليق خديجة، ودخل معتز فصافح عاصم وقال:

- آسف يا معالى الوزير لكن أنا كنت أريد أن أرى خديجة والهانم تتهرب منى فلم يعد أمامى سوى أن أجىء إليها فجأة.

وتسارعت نبضات قلب عاصم لكنه قال بهدوء:

- حسنًا لحظة واحدة سأجيءُ بها إليك.

ودخل عليها فوجدها غارقة فى العمل، وأخبرها أن معتز ينتظرها فى مكتبه، ولما سمعت اسمه شعرت بالإنقباض وأظلم وجهها وقالت:

- لكن أنا لا أريد أن أرى وجهه.

فقال عاصم مُشَجِّعًا:

- بل اخرجى إليه وانظرى ماذا يريد، ولا تخشى شيئًا فلن أتركك معه وحدكما.

وخرج عاصم وتَبِعَتْهُ خديجة مُتَلَكِّأَةً فلما رآها معتز، هتف ساخرًا:

- لا أصدق.. أخيرًا ظَهَرْتِ؟ لقد تصورت أنك ستقفزين من النافذة كى تهربى منى .

وأَوْلَتْهُ خديجة ظهرها وهى تقول ببرود:

- ماذا تريد؟

فقال معتز:

- أنتِ لا تريدين حتى أن تَنْظُرِى إلىّ؟

فقالت بتحَفُّز:

- نعم .

فقال باحتقار:

- وأنا أيضًا لست حزينًا على أنى طلقتك.. هل تعرفين المومس التى رأيتهَا فى أحضانى أنا أحترِمُهَا أكثر منك.. إنها تأخذ نقودًا لكنها فى المقابل تكون معى كلها أما أنتِ فما أحسست عمرى بمتعة وأنتِ فى فراشى هل تعرفين لماذا؟ لأنك تكونين معى بجسدك فقط أما قلبك فظل دائمًا مُغْلَقًا على رَجُلٍ مجهول.. من الجائز أنى سافل لأنِّى خُنْتَكِ بجسدى لكن أنتِ ابتدأتِ الخيانة من لحظة أن وافقت على الزواج منى ورجلٌ آخر مُقِيْمٌ فى قلبك.

فالتفتت إليه وقد امتقع وجهها وقالت بصوتٍ هادرٍ من شدة الغضب:

- ويحك أيها السافل ! ماذا تقول؟ أنت حقًا حقير.

- ولكنى لا أكذب.. إياكِ أن تظنى أنى ما أحسست من أول يوم لنا معًا أن قلبك ليس معى، ومن ليلة زفافنا كنتِ تتركين لى نفسك وأنت مُغْمِضَةَ العينين كى تتخيلى صورة حبيبك على وجهى والمرة التى...

ولم تتمالك أعصابها أكثر من ذلك ورفعت يدها، لتصفعه، وهى تقول فى غضب شديد:

- لقد تماديت فى غَيِّك.

ولكنه أمسك يدها قبل أن تهوى بها على وجهه وقال مُتَشَفِّيًا:

- معذرة لأنى فضحتك أمام معالى الوزير ولكن أنتِ السبب لأنكِ رفضتِ مقابلتى على انفراد كى نتفاهم.

ورمى يدها إلى الأسفل بقوة وأكمل بجدية:

- أبلغى محاميكِ الفاجر أن يغير شروط الرؤية لأن أولادى سأراهم وقت أن أحب وكما يحلو لى ولو أردت أن أضُمَّهُم ليعيشوا معى فسأفعل.. هل تفهمين؟

فقالت خديجة بتحدٍ:

- أنت لن تضع عليهما إصبعًا بعد الآن.

فقال معتز باستخفاف:

- سنرى واستعدى للجولة القادمة فأنا أعدك أنها ستكون شرسة جدًا وقذرة جدًا جدًا.

وتركها وعاصم ومرق كالسهم إلى الخارج، بينما ركضت هى إلى حجرتها منهارة.. أما عاصم فلم يَعْلَق بذهنه إلا ما قاله معتز عن حبيبها المجهول

حين تحدث عن علاقتهما الخاصة – معتز وخديجة – وشعر أنه عثر أخيرًا على المفتاح الذى بحث عنه طويلًا وقد اكتشف فجأة أنه كان فى جيبه طوال الوقت.. لقد فهم أن خديجة مُدَلَّهَةً فى غرامه بلا شك – أى عاصم – عرف ذلك رُغم أن معتز نفسه لم يُصَرِّح بالإسم ولا يعرف من هو حبيبها المجهول.. لكن امتقاع وجهها ونظرة الرعب فى عينيها عندما صَرَّحَ معتز بذلك أنبأتهُ أن معتز صادق فيما ادعاه.. ولقد قال أنه رجل أحبته قبل أن تتزوج فمن يكون سواه؟ - أى عاصم - ، وشعر أن اللحظة قد حانت ولابد له أن يزهو بانتصاره.. فهى تريده أكثر مما يريدها وتحبه أكثر مما يحبها...

ودخل عليها الحجرة كانت واقفة والدموع تُغْرِقُ وجهها وملابسها وابتسم هو ابتسامةً ظافِرَةً، وأخذ يتقدم نحوها وهى تتراجع إلى أن التصقت بالحائط، وعندها اقترب هو منها حتى لامست ملابسه ملابسها وشعر بحرارة أنفاسها تلفح وجهه فلامس شفتيه بشفتيها لثانية دون أن يُقَبِّلَهَا ثم ابتعد فجأة، كان كأنه يتأكد من شىءٍ ما، وأجفلت هى وارتجفت..

بينما قال هو بتشفٍ:

- كذبتِ علىَّ وقلتِ أنَّكِ لا تريدينى بينما جسدك يرجف ويصرخ ويتلهف كى أطبع بصمة شفاهى على كل ذَرَّةٍ فيه، ولكنى سأتمَنَّعُ عليكِ وأُعَذِّبَكِ كما تَمَنَّعْتِ علىَّ وعَذَّبْتِيْنِى..

ولم تعد قادرة على الوقوف فانزلقت بظهرها المُلْتَصِق بالحائط إلى الأسفل وأخذت وضع القُرفصاء بينما دموعها تَهْطِلُ بغزارة، وأولاها ظهره وتقدم خُطوتين ثم عاد أدراجه إليها، ونزل على ركبتيه ليكون فى مستواها، وأحاط وجهها بكفيه، ثم رفع رأسها لتنظر إليه قائلًا:

- انظرى إلىَّ، هذه المرة غير كل المرات السابقة، عندما كنتِ تخافين أن أقرأ ما فى عينيك، وأعرف أنكِ ترغبينى أكثر مما أرغَبُكِ.. فى كل مرة كنتِ تهربين

Obeikan.com

بعينيك.. أما هذه المرة فليست عيناك وحدها التى تقول.. دموعك.. رجفتك.. كل ما فيكِ كشف كذبتك.

وامتدت يده إلى غطاء رأسها فنزعه بهدوء وألقاه جانبًا ثم نزع مشبك شعرها وألقاه كذلك، ثم أخذ يُغَلْغِلَ أصابعه فى شعرها ليتركه مُنْسَدِلًا بنعومة على جانبى وجهها، وتأملها هُنَيْهَة.. كم هى جميلة.. ذلك الجمال الذى يُضَيِّعُ العقل ويُشْعِلُ الجسد.. وها قد آن الأوان لِيُطْفِئَ نَارَهُ ويروى غُلَّتَهُ... هذا أوان قِطَافِهَا ! ومرر أصابعه على شفتيها بِتَمَهُّلْ وَرِفْق وراقب صدرها وهو يعلو ويهبط بسرعة وشفتيها وهى ترتجف تحت لمسات أصابعه.. لاشك عِنْدَهُ أنها أصبحت تحت إمرته ولكنه يستلذ إذلالها.. وسحب يده سريعًا وانتفض واقفًا من جديد ثم تحرك إلى منتصف الحجرة ونظر إليها بِتَشَفٍ

ثم قال ليضغط على أعصابها أكثر:

- ليس بهذه السهولة .. يجب أن تقولى أنكِ تُرِيْدِيْنَنِي..

وكأن واحدة غيرها هى التى تتحرك أمامه وقد فوجئ بها تتجه نحوه زاحفة على ركبتيها حتى وصلت إليه فَطَوَّقَت ساقيه بذراعيها واحتضنتهما بقوة حتى شعر بجسدها اللين وهى تَحُكُّهُ وتضغط به فى ركبتيه وسمع آهات تلذذ تنفلت من بين شفتيها، ورغم أنه هو أيضًا كان يشعر بالإنهيار إلا أنه تماسك وهو يقول بإصرار:

- أريدك أن تقوليها بلسانك.

فشدت كفيه إلى فمها فَقَبَّلَت باطنهما ثم أخذت تلعقهما وأصابع يديه بلسانها باشتهاء، ثم رفعت رأسها إليه والدمع يترقرق فى عينيها وقالت بصوتٍ مُرتجف من الرغبة والشبق:

obeikan.com

- نعم أريدكَ وأشتاق لمولدى كأنثى بين ذراعيك.. أنا كلى ملكٌ لَكَ فَخُذْنِى الآن إليك.

فلم يتحمل هو أكثر من ذلك وانكَبَّ عليها مُطْلِقَيْنِ لغريزتهما العنان ...

كان يعرف أنها تمتلك جسدًا مُثِيْرًا وأنه سيستمتع كثيرًا لكن الواقع أنها كانت أكثر من ذلك بكثير.. كان جسدها أروع من جسد أية امرأة نام معها من قبل.. كان أجمل بكثير مما يشتهى ويُحِبّ.. كانت تتفوق على كل الجميلات اللائى ضاجعهن من الشرق والغرب.. كان جسدها أشدَّ فتنة منهن جميعًا، أما ممارسة الجنس معها فكان متعة لا تصفها كلمات وقد بلغ شَأوًا لم يبلغه مع غيرها من قبل.. ها هو ينهل من ينابيع فتنتها تُغْرِقَهُ شلالات أنوثتها المتفجرة.... وتطفئ شوقه وشوقها.. شوقها إليه الذى استغرق أعوامًا طويلة منذ رأته أول مرة.. إنها تعشقه بكل ذرة فى كيانها وتسعى لذلك لإرضائه وإِشْبَاعِهِ وترويته...

كانت مع زوجها السابق تترك جسدها وتُغمِضُ عينيها وتتركه يعبث حتى ينتهى ويُنْهَك أما عاصم فلا تُرِيْدَهُ أن ينتهى منها أبدًا ولا تريد أن تُغْمِضَ عينيها لثانية بل هى تفتحهما عن آخرهما لتستمتع برؤية رجلها كما لم تره من قبل.. تراه مُقْبِلًا عليها منهومًا بها وتقرأ فى عينيه وَلَعَهُ بها وافتتانه ورضاه وامتنانه...

أخيرًا باتت بين ذراعيه بعد طول لأَيٍّ ومنعٍ وصَدٍّ وعندما دخل المُتَحَرِّكُ فى الساكن وصلت لدرجة من الإثارة لم تمر بها فى حياتها من قبل وبلغت أَوَجَّ نشوتها وغَمَرَتْهَا مشاعر عارمة لم تَخْبَرْهَا من قبل.. وشعر هو بسيطرته التامة ورضاؤها فزاد زهوه واستمتاعه بدرجة غير مسبوقة.

ومن شدة إنهاكهما غفوا قليلًا ثم استيقظت خديجة لتجد نفسها مُحَاطَةً بذراعيه ووجهها مدفون فى صدره فداعبت بأناملها الرقيقة شعر صدره ثم

رفعت وجهها إليه فوجدته ينظر إليها باسمًا ثم أَكَبَّ على شفتيها بشفتيه يقبلها بعنف، ثم ضمها إليه بقوة وهو يهمس لها:

- أحبك.. أحبك.. أحبك كثيييييرًا جدًا.

ثم خفف من ضغطته عليها وكانت مُلْتَصِقَةً به فانفصلت عنه قليلًا فأسرع يضمها إليه لتلتصق به من جديد وقال بصوتٍ مُخْتَلِج:

- لا أُرِيْدُكِ أن تبعدى عنى ثانية.

وبعدها شعر بقطرات ماء ساخنة فوق صدره، فأبعدها عنه قليلًا ونظر إلى وجهها فإذا هى تبكى.

فقال:

- ما هذا؟ أهى دموع الفرح؟

فقالت بأسى:

- بل دموع الندم.

ثم أسرعت بالنهوض من جواره والتقطت ملابسها وكانت ترتديها وجسدها كله يَرْجُف، فنهض هو أيضًا وقال بانزعاج وهو يتناول سرواله ويدس قدمه فيه:

- ندم على أى شىء؟ أتندمين على أجمل لحظات مرت علينا فى عمرنا كله؟

فقالت بانكسار:

- بالنسبة إليك طبعًا هذه أجمل لحظات حياتك لأَنَّكَ وصلت أخيرًا إلى ما كنت تريده من البداية.

فقال باستنكار:

- وهل أنا فقط الذى كنت أريد وأنتِ لا؟

فقالت بألم:

- أنا؟ أنا كنت أريدك أن تأخذنى بالحلال فأخذتنى بالحرام كنت أريد أن أكون زوجة فأصبحت عشيقة كنت أرجو أن أظل مُخْلِصَةً لكننى بِتُّ خائنة.

- خائنة لمن؟ نحن لم نخن أحدًا أنتِ مُطَلَّقَة وأنا أيضًا بمعنى أننا نحن الإثنين أحرار فى العلاقة بيننا.

فرمقته بنظرة استنكار وقالت باستهجان:

- أحرار أن نزنى؟ لقد خُنْتُ دينى وأخلاقى وكل ما نشأت عليه طيلة حياتى من قيم.. أنا سقطت فى الوحل..

وكانت قد انتهت من ارتداء ملابسها وحملت حقيبتها وخرجت من حُجْرَتِهَا وكانت فى طريقها إلى خارج مكتب عاصم حين لَحِقَهَا وأمسكها من يدها.

وقال:

- أرجوكِ إهدئى واسمعينى نحن سنتزوج.

فقالت ساخرة:

- نتزوج لماذا؟ لقد أخذت كل ما كنت تريده دون زواج.

وسكتت قليلًا لتستجمع نفسها وأكملت برباطة جأش:

- إذا كنت تريد أن تُعْطِيَنِى ثمنًا للوقت الممتع الذى قضيته معى قبل قليل فهو طلب واحد أريدك أن تنقلنى من مبنى الوزارة كله وتضعنى فى مكانٍ بعيدٍ لا أراك فيه مرة أخرى وإلى الأبد.

وخَلَّصَت ذراعها من يده وهو يقول لها:

- مُسْتَحِيْلٌ أن أجعلك تبتعدين عنى ثانية.

فقالت بسخرية مريرة:

- لماذا؟ الثمن الذى دفعته الآن ليس كافيًا؟ ألم تشبع من جسدى بعد وتريد ليلة أخرى؟

فقال عاصم بغيظ:

- كيف تتكلمين هكذا؟

فقالت بمرارة:

- ما الذى تنتظره من امرأة ساقطة كانت تبذل جسدها العارى لك من دقائق فى الحجرة الأخرى؟ تعتقد كيف ستتكلم؟

ثم أردفت بحزم ودموعها تتساقط:

- إذا لم تقم بنقلى فسوف أُقَدِّمُ استقالتى.

وأسرَعَت تخرج من غرفة مكتبه ودموعها تُغْرِقُ وجهها وجسدها كله يرتعش.

كانت نادمة لدرجة أنها تمنت الموت.. نعم تحبه ونعم أسلمت له نفسها بإرادتها الحرة.. ونعم كان الوقت الذى قضته بين أحضانه أمتع وقت مر عليها فى عمرها كله.. لكن عمر اللذة قصير وطريق الندم طويل..

كانت ليلة مُظّلِمَةً لا قمر فيها والبرد قارس والأمطار تهطل بغزارة لكنها ظلت تمشى تحت المطر هائمة على وجهها لا تشعر بما حولها ولم تسمع صوت هاتفها الجوّال الذى كان يصرخ فى حقيبتها حيث أهلها قلقون عليها لأنها تأخرت كثيرًا وأحوال الطقس سيئة، وأدركت أنها لن تستطيع أن تقود سيارتها والدموع تُغْرِقُ عينيها فَفَضَّلَت أن تمشى على قدميها ريثما تستطيع أن تتمالك نفسها، ثم أوقفت سيارة أجرة أَقَلَّتْهَا إلى البيت،

وهناك لم تستطع أن ترفع عينها فى عين أمها أو أطفالها وتعللت بأنها مُتْعَبَةً جدًا من العمل وأسرعت إلى حجرتها تختبئ فيها وأغلقتها عليها بالمفتاح وقضت ليلها كله تبكى حتى أذَّنَ الفجر فتسللت إلى الحَمَّام لتغتسل وتتطهر ثم عندما وقفت لصلاة الفجر عادت الدموع لِتُغْرِقَ وجهها وهى تشعر بالخجل الشديد لأنها تقف بين يدى ربها وهى خاطئة مُلَوَّثة وظلت تبكى وهى تصلى وتُطِيْلُ السجود وتدعو فى سجودها أن يغفر الله لها ويتوب عليها وظلت كذلك إلى قرب شروق الشمس حيث هدأت دموعها وخفتت رجفتها وقد داخلتها السكينة. ثم ارتدت ملابس الخروج لا لكى تذهب إلى العمل بل لتذهب إلى دار الإفتاء كى تسأل عن شروط التوبة الصحيحة. وكم كانت خائفة من أن لا يقبل الله توبتها وقد ارتكبت كبيرة يهتز لها عرش الرحمن فتموت مغضوبًا عليها.

وطوت مُصِيَبَتَهَا فى صدرها فلم تَبُحْ بها حتى لأختها عالية ومكثت فى منزلها ثلاثة أيام لم تذهب فيها إلى العمل وادَّعَت لهم فى المنزل أنها مريضة بنزلة برد.

أما عاصم فمنذ نزولها من المكتب تلك الليلة وهو يُلَاحِقُهَا باتصالاته على هاتفها المحمول ولكنها لم تَرُدّ على أى اتصال له وحار ماذا يفعل ..

والتقى مازن، ابن خالته، الذى جاء إليه فى منزله ولما جلسا معًا، قال مازن بحماس:

- جئتُ إليك بخبر حلو كنت تنتظره على نار.

ثم خفض صوته وقال هامسًا:

- الليلة الماضية كنت مع كلوديا وأخْبَرَتْنِى معاليك أن جوليا عادت من لبنان بالأمس ظهرًا وهى مشتاقة إليك كثيييرًا.

ثم رجع بظهره إلى الوراء ليُلْصِقَهُ فى ظهر المِقْعَد الذى يجلس عليه، وقال بحسد:

- يا لحظك النارى ! حلال عليك صاروخ الجمال...متى تريد أن تلتقيها؟

فقال عاصم بجمود:

- أنا لا أريد أن ألتقى أحدًا.

فقال مازن غير مُصَدِّق:

- أحد من؟ أقول لك جوليا.. جوليا التى ظللت تنتظرها شهرين إلى أن عادت أخيرًا بالأمس.

- أنا الآن لا أريدها ولا أريد غيرها.

فقال مازن وهو ينظر إلى عاصم بتعجب:

- آه يبدو لى أنها الفتاة التى تعمل معك فى المكتب تُثِيْرُ حنقك كالعادة.. أنا لا أعرف لماذا أنت مكتئب ألم تخبرنى عندما هاتفتك من يومين أنها استسلمت أخيرًا؟ لا تريد تكرار الأمر؟ لا يهم فلترافقها السلامة، وبينى وبينك أنت تعرف أول مرة هى أجمل مرة، ثم بعد ذلك كله يشبه بعضه.

فقال عاصم غاضبًا:

- لا تتحدث عنها هكذا.. أنا أريد أن أتزوجها.

فقال مازن باستغراب:

- ماذا؟ أهى حلوة إلى هذه الدرجة؟ الملابس للأسف تخفى الكثير.

ورمقه عاصم بنظرة تحذيرية..

فقال مستدركًا:

obeikan.com

- أقصد حتى ولو هل تُوَرِّطْ نفسك فى زواج من أجل ليلة ثانية معها؟

فقال عاصم ناهرًا:

- ألم أقل لك لا تتحدث عنها هكذا؟

ثم أردف بتأثر:

- أنا أحبها.

فقال مازن بدهشة:

- عاصم يحب؟ كيف؟

فأطرق عاصم برأسه فى الأرض ثم قال:

- أنا أيضًا كنت أظن مثلك أنى بعد أن أنالها سأفقد اهتمامى بها ولن أكترث بعدها لوجودها أو غيابها لكن الذى حدث أنى ازددت تَعَلُّقًا بها ورغبة فيها بل ما عدت أرى فى الدنيا كلها امرأة سواها، وأهْوَن علىَّ أن تُفَارِقَنِى روحى ولا تُفَارِقَنِى هى.

فقال مازن مُؤَمِّنًا:

- واضح طبعًا فها هى جوليا الصاعقة لا تراها.

وسكت قليلًا ثم أردف بجدية:

- وطبعًا أنت مهموم لأن الهانم تطلب زواجًا شرعيًا ومن الصعب أن تُقْنِعَ الوالد والوالدة التى هى خالتى أن يوافقا خصوصًا وأنك كنت متزوجًا من سلمى بنت الحسب والنسب.

فتنهد عاصم وقال بيأس:

- وهل أنا قادر على إقناعها هى أولًا؟ إنها من ليلتها وهى لا تُجِيْبُ على اتصالاتى الهاتفية وانقطعت عن الذهاب إلى العمل.

- ياه إلى هذه الدرجة؟ ماذا فعلت لها؟

- ولا أى شىء.. أقول لك بعد الذى حدث لا تريد أن تعطينى فرصة لِأُحَدِّثُهَا أو أراها، لأنها تُحِسُّ بالذنب وجو الخطيئة ولن يعفو الله عنا وكلام من هذا القبيل.

فقال مازن:

- آه فهمت.. شكلها متدينة فعلًا ولهذا أفورت ما حصل.

وسكت قليلًا ثم قال مُقْتَرِحًا:

- هل تُحِبّ أن أذهب أنا لأتكلم معها؟

فرد عاصم على الفور:

- طبعًا لا.. أقول لك أنى أريد أن أتزوجها.

- أعرف وهذا ما سأقوله لها.. سأقول لها أنك تريد أن تتزوجها.

- لن يصلح طبعًا فأنت فى حياتك كلها ما تكلمت مع امرأة محترمة.

- أنا؟ سامحك الله اذهب وحُلَّهَا وحدك إذن.. خسارة فيك المساعدة.

فقال عاصم وهو يُفَكِّر:

- طبعًا يجب أن أَحُلَّها ولكن لا أعرف كيف.

وسكت قليلًا ثم نظر فى ساعة يده وقال:

- كم الساعة الآن؟ السابعة والنصف.. هل تعتقد أن هذا موعد مناسب للزيارات المنزلية؟

Opelkan.com

فقال مازن باندهاش:

- ويحك هل تريد أن تذهب إلى بيتها؟ وإذا هى لا تجيب على الموبايل كيف ستستقبلك فى بيتها؟ أأنت أبله يا ابن خالتى؟ بالتأكيد لن تفتح لك الباب.

فقال عاصم:

- بل أنت الأبله وهل هى تعيش بمفردها؟ يمكن أن تفتح أمها أو أحد طفليها، وحتى لو هى نفسها التى فتحت، لن تستطيع أن تُوْقِفَنِى أمام الباب.. ستقول لهم أنها تمنعنى من الدخول لأى سبب؟

- وأنت ستذهب لتطلبها من والدتها هكذا مع نفسك؟

فقال عاصم وهو يَدُسُّ يده فى كُم سُتْرَتَهُ ليرتديها:

- إلهُ بعيدًا فأنت فعلًا أبله.

وتناول معطفه وذهب إلى منزلها، وكما توقع، فقد فتحت له والدتها التى بوغتت بوجوده أمامها.

وقال مُحْرَجًا:

- مساء الخير يا طنط.. آسف إذا كنت قد أتيت فجأة من غير اتصال قبلها ولكن خديجة منذ ثلاثة أيام..

وقاطعته والدتها قائلة بحماس:

- لا أبدًا يا بنى.. تفضل يا معالى الوزير.. تفضل.

وقادته إلى غرفة الإستقبال وبعد أن جلس،

قالت مُعْتَذِرَة:

- خديجة تُعانى من نوبة برد قوية كما أبلغت معاليك فى الهاتف.

وعرف أنها كذبت عليهم وقال:

- وأنا لأجل هذا قلت أَمُرّ لأطّمئن عليها، وبصراحة أيضًا حضرتك تعلمين أنى أُسْنِد إليها ملفات مهمة جدًا والعمل مُتَعَطِّل و...

فقالت والدتها مُتَفَهِّمَة:

- آه طبعًا كان الله فى عون معاليك.. أنا سأذهب لِأُحْضِرَها لمعاليك حالًا.. بعد إذنك.

ثم عند باب الحجرة وقفت واستدارات إليه من جديد وقالت مُتَذَكِّرَة:

- أنا نسيت أن أسأل معاليك ماذا تحب أن تشرب؟

- شاى بعد إذنك يا طنط.

- حاضر.

ثم ذهبت لتُحضر خديجة التى فوجئت بمجىء عاصم وارتبكت ولكن لم يكن أمامها إلا أن تخرج لمقابلته، ولما رآها تهلل وجهه، وقال وهو ينهض لمصافحتها:

- ما شاء الله ها أنتِ ذا بخير وعافية واضح أنكِ كنت تتدلَّلِيْنَ وتُرِيْدِيْنَ أن تأخذى عدة أيام إجازة.

ولولا أن والدتها واقفة لما مدّت يدها لمُصَافَحَتِهِ وما أن مست يده يدها حتى سحبتها بسرعة وأشارت إليه بالجلوس قائلة:

- تفضل معاليك.

ثم اختارت هى الجلوس على أبعد مقعد عن المقعد الذى يجلس عليه.

وقالت والدتها مُبَرِّرة:

- والله إنها كانت متعبة جدًا اليومين الماضيين معاليك ولم تكن تَتَدَلَّلْ ولا أى شىء من هذا.. لكنها اليوم الحمد لله تحسَّنَت.

ثم نهضت وقالت:

- بإذن معاليك.. سأذهب لأُحْضِرَ الشاي.

فقالت خديجة:

- اجلسى أنتِ يا أمى سآتى به أنا.

فقالت والدتها:

- بل ابقى أنتِ مع معالى الوزير فهو يريد أن يتكلم معكِ فى شئون العمل.. بإذن معاليك.

وخرجت وأغلقت باب الحجرة خلفها، فأسرع عاصم بالجلوس على المِقْعَد المجاور لخديجة ثم خطف يديها فجأة ورفعهما إلى شفتيه فقبلهما بحرارة وقال برومانسية:

- أوحشتينى كثيرًا.

فأسرعت تسحب يدها كمن لدغها عقرب وقامت من مقعدها وأولته ظهرها قائلة بتحذير:

- إياك أن تلمسنى ثانية.

فوقف واتجه نحوها قائلًا برجاء:

- اسمعينى أولًا ودعينا نتكلم بالعقل، ثم تعالى اجلسى بدلًا من أن تدخل والدتك علينا ونحن واقفين هكذا فتستريب فى الأمر.

فقالت محذرة:

obeikan.com

- لكن لا تجلس إلى جوارى.

- لا يصلح لأننا نحتاج إلى الحديث بصوتٍ مُنْخَفِض حتى لا يسمعنا أحد.

وَهَمَّ أن يُمْسِك يدها يَشُدَّهَا لتجلس، إلا أنها نظرت إليه نظرة تحذيرية، فرفع كلتا يديه مُسلّمًا وقال بإذعان:

- حاضر.

ثم أنزلهما وجلس وجلست فى المقعد المجاور، على مضض، ومال عليها هامسًا على الفور:

- لا تكونى مجنونة واسمعينى بسرعة قبل أن تأتى والدتك .. أنتِ يجب أن تذهبى إلى العمل غدًا لا يمكن أن تأخذى إجازة أكثر من هذا.

فقالت بعناد:

- لن أذهب وإما أن تنقلنى أو أستقيل.

- ولماذا أنقلك؟ أقسم لك بالله العظيم ثلاثًا، أنا أنوى أن أتزوجك، لكن موضوع كهذا لا تصلح فيه العَجَلَة لأنه يلزم له وقت وترتيبات.. فهذا زواج.. زواج وليس لعبة.. ثم لو أنا ابن كلب وأكذِبُ عليكِ كما تعتقدين فلماذا ألهَثُ خَلْفَكِ وأُلِحُّ عليكِ الآن ألا تتركينى بعدما نِلْتُ غرضى مِنْكِ كما تَدَّعِين؟ على العكس لو كنت هكذا كان الأوْلى بى إذن كى أُرِيْحُ رأسى أن أُجِيْبَ طلبك فأنقلك أو أقبل استقالتك وأطوى صفحتك وقد انتفت حاجتى إليكِ .. يا خديجة أنا أحبك والله العظيم أحبك وأريدك بالحلال ولكن امهلينى وقتًا.

فقالت خديجة ساخرة:

- يا سبحان الله الآن أصبحت تريدنى بالحلال؟

فرد عاصم مداعبًا:

- أنا لم أكن أريد ولكن أنتِ مُصِرَّة فماذا أفعل؟

ثم ابتسم عندما رأى عبوسها وأكمل:

- أنا كنت أمزح طبعًا أنا أريدك أن تكونى زوجتى أمام الدنيا كلها وساعتها يا حبيبتى أنا الذى سأجعلك تستقيلين لأنه لا ينبغى أن تعمل حرم معالى الوزير معه من أجل الوساطة والمحسوبية والكلام الذى تردده الصحف دائمًا.

- لكن أنا لن أستطيع أن أدخل هذا المكتب مرة أخرى أنا تُبْتُ وأريدُ أن يقبل الله توبتى.

- وهل أنا أدعُوَكِ إلى فِرَاشى؟ أنتِ ذاهبة لتعملى وأنا لا أنوى أن أتهجم عليكِ وأغتَصِبَك.

فقالت بتحسر:

- ليتك اغتصبتنى فما كنت لِأُقَاسِمُكَ الذنب وقتها.

ثم كأنها تذكرت أكملت:

- ثم أنت تُمْسِك يدى وتُقَبِّلَهَا كما فعلت الآن وأشياء كثيرة من هذا القبيل وأنا أريد أن تكون توبتى توبة نصوح.

- ولو أنى لا أعرف ما معنى نصوح هذه إنما أنا موافق.. هل تُحِبّيْنَ أن أُقْسِمَ لك أنى لن ألمسك ولا حتى سلام باليد إلا عندما نتزوج؟

- كلا.. لا تُقْسِم، فأنا أعرفك.

فابتسم وقال بِخُبْث:

- تخافين علىَّ من عذاب النار لو حَنَثْتَ بقسمى.. أنا أذوب فيكِ عشقًا.

ثم اعتدل فى جِلْسَتَهُ وقال بلهجةٍ مُغَايِرَة وقد سمعا طرقًا على الباب:

Obeikan.com

- ثم أنت لا تذهبين لتلعبى كوتشينة.. مصالح الناس مُتَعَطِّلَة وهذه ليست مزرعة أبينا.

ودخلت والدة خديجة وهى تحمل صينية الشاى فقامت خديجة وحملتها عنها وقَدَّمَت لعاصم الذى ابتسم قائلًا:

- أتعبناكِ يا طنط سلمت يداك.

ثم نظر إلى خديجة وأكمل وهو يتناول منها قدح الشاى:

- غدًا يا خديجة أراكِ فى مكتبك العمل مُتَعَطِّل.

ثم همس لها:

- وأنا أتكلم بجدية وأعنى ذلك حقًا.

***

وانصرف عاصم من عندها وفى طريق عودته فكر كيف يُفَاتِحُ والده فى موضوع الزواج من خديجة ومتى؟

أما الوقت فلابد أن يكون بعد أن تُنْهِى خديجة خلافاتها مع طليقها أولًا ثم تبقى المهمة الأصعب كيف يُقْنِعُ والده؟ فهو يعرف أول تعليق لوالده عندما يحادثه فى الأمر " ماذا كان يعمل والدها مجرد دكتور نَكِرَة فى وزارة الصحة "، أما والدته فلابد أنها ستعترض على أن خديجة مُطَلَّقَة ولديها أولاد وإذا رغب فى الزواج فستبحث له عن فتاة أصغر سنًا، فى العشرينات، على الرُغم من أن فارق السن بينه وبين خديجة يقارب العشر سنوات – وسَتُفَضِّلُ والدته أيضًا أن تكون العروس عذراء، حتى الحزب ربما تكون لديه هو أيضًا ملاحظات على خديجة .. وزفر فى ضيق.. سيكون إقناع الجميع بالموافقة على هذا الزواج أمرًا عسيرًا ولكن لا مفر من

خوض المعركة فهو لا يستطيع الإستغناء عنها أو التضحية بها تحت أى ظرف.

***

أما خديجة فقد ذهبت إلى مكتبها فى الصباح وهى مُنْقَبِضَةَ الصدر.. كان كل ما قاله عاصم عندما زارها بالأمس مُطَمْئِنًا ولكن لا تدرى لماذا هى خائفة من وُلُوجِ المكتب؟.. ربما لأنها لا تريد أن تتذكر ما حدث.. أو ربما هى خائفة أن يتكرر مرة أخرى.. كانت مُحِقَّة فى شعورها بالإنقباض وليتها ما ذهبت.. فقد كانت تنتظرها وعاصم كارثة من العيار الثقيل.

Obeikan.com

المَعْرِفَة

obeikan.com

وجدت فوق مكتبها علبة ملفوفة بأناقة كأنها هدية وملتصق بالغلاف ويتدلى منه ظرف صغير مكتوب عليه من الخارج: "خاص خديجة رفعت الأسيوطي" وأسرعت تفتح الظرف وأخرجت منه الورقة الصغيرة التى كانت بداخله وقرأت " عزيزتى خديجة أرجو توخى الحذر أثناء تشغيل السى دى (CD) ويجب أن تكونى وحدك تمامًا.. انتظرى مكالمة فى التاسعة مساء اليوم.. د. سليم ".

وعلى مكتب عاصم كانت علبة مُطَابِقَةً مع اختلاف أن الخطاب مُوَجَّه لعاصم

أما خديجة فقد أخذت الإسطوانة المدمجة (CD) ووضعتها فى حقيبتها وهى تتعجل الذهاب إلى بيتها لتشاهد الأسطوانة.. لم تتوقع خيرًا، ولكنها كذلك لم تتوقع إطلاقًا المادة التى تحتوى عليها الاسطوانة المدمجة.

وأما عاصم فقد مَزَّقَ الورقة بعد أن قرأها وألقى بها فى سلة المهملات وخطر له أن تكون الإسطوانة مُحْتَوِيَة على فيروس يُدَمِّرُ الملفات الخاصة بالعمل فقرر أن يُرْجِئَ مشاهدته لحين أن يقوم بتشغيله فى منزله فى أحد الحواسب القديمة المُهْمَلَة والتى لا تحتوى على أى شىء مهم، كما أن عاصم لم يكن مُتَحَمِّسًا لمشاهدة الاسطوانة، بل فكر أن يُعِيْدَهَا إلى سليم كما هى، فلم تُعْجِبْهُ لهجة التحذير التى جاءت بالخطاب، وليؤكد له أنه ليس لديه ما يخشاه، لكن ازدحام جدول أعماله ذلك اليوم، جعله ينسى قصة الإسطوانة فلم يذكرها إلا وهو يُخْرِجُهَا من حقيبته فى المنزل ولابد أنه كان قد أخذها دون أن ينتبه فى وسط الأوراق التى جمعها من فوق مكتبه فى آخر اليوم، ومادام قد جاء بها فليشاهدها على سبيل التسلية، ووضعها بلا اكتراث فى جهاز قديم لديه، فى حجرة المكتب، وقام بتشغيلها.. ولم يُصَدِّق عينيه.. بعد أن شاهد أول دقيقتين من الإسطوانة المُدْمَجَة وغَلَتِ الدماء فى عروقه وضرب بكف يده سطح المكتب بقوة حتى أنها – أى يده – شُجَّتْ

أما خديجة فقد شاهدت الإسطوانة بعد عودتها إلى المنزل بساعة وبعد أن اختلت بنفسها فى حُجْرَتِهَا، وما أن تبيّن لها ما تحويه الأسطوانة، حتى أُغْمَى عليها لدقائق ثم أفاقت فأسرعت تُخْرِجُ الإسطوانة من الجهاز وتُخْفِيْهَا وسط ملابسها فى الخزانة وكل ذلك وهى تولول وتبكى ولما تمالكت نفسها قليلًا ارتدت ملابس الخروج واستأذنت والدتها فى أنها ذاهبة لزيارة عالية وبدون الطفلين.

وبعد أن دخلت خديجة أغلقت عالية الباب وهى تهتف بقلق:

- خيرًا يا خديجة.. أىُّ موضوعٍ هذا الذى لم تستطيعى أن تحكيه لى على الهاتف؟

.. كان الشُحُوب يكسو ملامح وجه خديجة وأسرعت بالجلوس على أقرب مِقْعَد وكأن قدميها لا تحملانها ثم تلفتت حولها وقالت بحذر:

- أين أولادك؟

- فى غرفتهم يستذكرون دروسهم.

فقالت خديجة بصوتٍ واجف:

- مُصِيْبَة يا عالية.. مُصِيْبَة.

فقالت عالية بقلق:

- يا ساتر يارب ما الأمر؟

فقالت خديجة وقد بدأت دموعها تتساقط:

- أبدأ من أين؟ أنا.. أنا..

ثم أطرقت فى الأرض بخجل وقالت بصوتٍ خفيض:

obeikan.com

- أنا أخطأت مع عاصم.

وللحظة لم تستوعب عالية ثم هتفت باستنكار:

- ماذا قُلْتِ؟

فقالت خديجة وهى تنتحب:

- ورب الكعبة.. ورب الكعبة أنا ندمت بعدها أشد الندم وتبت، لكن يبدو أن الله لم يقبل توبتى وإلا كان سترنى ولم أُفْضَح هكذا.

فقالت عالية بغضب:

- السافل فَضَحَكِ؟ كم حَذَّرْتُكِ منه عاصم هذا.

- عاصم ماذا يا عالية؟ أقول لكِ أخطأت معه فهل سيفضح نفسه؟

ثم أردَفَت وهى تؤنب نفسها:

- إنه سليم.. حَذَّرَنِى عاصم منه كثيرًا وأنا لغبائى لم أسمع له.

- ومَن سليم هذا أيضًا؟

- هذا الرجل يُعْتَبَر الرجل الثانى فى الوزارة بعد الوزير مباشرة وظل كذلك لمدة طويلة جدًا إلى أن جاء عاصم حيث أزاحه من منصبه وأظن أن سليم ينتقم منه الآن ويرد له الصفعة وأنا المسكينة الضحية بينهما بلا ذنب.

- ضحية كيف؟ وما علاقة سليم بما حدث بينَكِ وبين عاصم؟

فقالت خديجة بخجل:

- يبدو أنَّهُ ثَبَّتَ كاميرا مراقبة أو تجسس مُتَقَدِّمَة فى مكتبى وصوَّرنا بها.. لأن.. لأن ما حدث بينى وبين عاصم حدث فى حجرة مكتبى أنا هناك فى

الوزارة، ثم بعث لى باسطوانة بها ما حدث ومعها خطاب تهديد، وأظن أنه بعث لعاصم مثلهما.

فقالت عالية بغضب:

- ابن الكلب!

فقالت خديجة بجزع:

- أرأيتِ الكارثة التى حاقت بى؟

ثم انفجرت فى البكاء، وحاولت عالية تهدئتها وقالت:

- لا تبكى... لها حل إن شاء الله.

فقالت خديجة من وسط دموعها:

- حل؟ إننى ومن وقت أن مرض معتز وكل يوم تُفْجِئُنِى نازلة جديدة أشد من التى كانت قبلها.

وأخذت تنتحب وضَمَّتْهَا عالية إلى صدرها وهى تتميز من الغضب، من سليم وعاصم، الثانى أغواها والأول يُهَدِّدُهَا بشرفها ليستغلها فى حربه ضد الثانى.

وعندما جاءت الساعة التاسعة دَقَّ هاتف خديجة المحمول فارتعبت، وقالت لعالية:

- إنه سليم كم أنا مُرْتَعِبَة وأُحِسُّ أن قلبى سيتوقف عن النبض.

فقالت عالية ناصحة:

- أَفْهِمِيهِ أن لا ذنب لكِ فيما بينه وبين عاصم وأنَّكِ امرأة والرجل الحق لا يفضح امرأة.

فقالت خديجة:

- كم أنتِ طيبة يا أختى العزيزة.. أتظنين أن هؤلاء الناس يفكرون مثلنا؟

وتناولت هاتفها بيدٍ مُرْتَعِشَة وضغطت زر الإجابة ثم وضعت الهاتف على أذنها، وجاء صوت سليم هادئًا شامتًا وهو يقول:

- ماذا يا خديجة أكنتِ نائمة أم ماذا؟

فمسحت خديجة دمعة شاردة وقالت:

- لا.. أبدًا الموبايل فقط كان بعيدًا عن يدى.

فقال سليم ساخرًا:

- أنا أيضًا قلت أنه من غير المعقول أن يأتيكِ نوم بعد أن تُشَاهدى السى دى فهو مثير لدرجة أنه يفتح العينين عن آخرهما ويجعل النوم يَهْرُب بلا رجعة أليس كذلك؟

وانفجرت خديجة فى البكاء.

فقال سليم مُحَذِّرًا:

- لا.. لا.. أنا لا أريدك أن تبكى حتى تستطيعى أن تسمعينى جيدًا.

فقالت خديجة وهى تحاول أن تتمالك نفسها:

- ما الذى تريده؟

فقال سليم ساخرًا:

- بل قولى ما الذى لا أريده؟

ثم استدرك قائلًا بجشع:

obeikan.com

- أنا أريد كل شىء يا خديجة.. كل شىء.

ووقع قلب خديجة بين قدميها، وقالت:

- لا أفهم.

فقال سليم بوقاحة:

- أنتِ تُعْجِبِيْنَنِى منذ رأيتك وازداد شغفى بكِ حين شاهدتك مع عاصم، ومثلما كُنْتِ حلوة هكذا معه أنا أيضًا أريد أن أذوق حَلَاكِى.

ونفرت الدماء من عروقها وقالت باستنكار:

- يا سافل.. ماذا تظننى؟ أنت..

فقال مُقَاطِعًا بحزم:

- انتبهى لكلماتك ولا تنفعلى هكذا.. أنتِ روحك فى يدى.

ثم استدرك ساخرًا:

- ثم لماذا أنتِ غاضبة؟ هل أنت لا تنامين إلا مع رئيسك فى العمل وحده لأنها من المقتضيات الوظيفية؟ أم أنكِ من أصحاب نظرية بيزنس آند بليشر (Business & pleasure)؟ أيًا ما كان يجب أن تأتى من أجل مصلحة العمل ومصلحة رئيسك فى العمل، ثم من يدرى؟ قد أُعْجِبُكِ أنا أيضًا وتُحِبّيْنِى أكثر من عاصم.

فقالت خديجة بغيظ:

- حقير.

فقال سليم بجدية:

- اسمَعِى يا حُلْوَتِى أنتِ ليس لديك اختيارات سأنتظرك غدًا فى فيلتى الساعة السادسة حاولى أن تُنْهى عملك مبكرًا كى لا تتأخرى عن موعدى فأنا مشتاق إليكِ بدرجة لا تتخيلينها وسأقضى ليلتى أَحْلُم بِكِ أيتها الجميلة.

وسكت لحظة ثم استدرك:

- وبالمناسبة إذا كان جو المكاتب يُثِيرك أكثر أنا لدىَّ فى الفيلا حجرة مكتب رائعة يمكن أن تستمتعى فيها كثيرًا .

ثم أردف بلهجة آمرة:

- هاتى ورقة وقلم واكتبى العنوان.

وأخذت خديجة تكتب فى قهر ودموعها تُبَلِّلْ الورقة..

ولما انتهى من إملائها قال مُحَذِّرًا:

- إياكِ أن تتأخرى عن موعدنا دقيقة واحدة لِئَلَّا أغضب عليك.. أراكِ فى الغدِ يا حُلوة.

وأغلق الخط وانهارت خديجة فوق مِقْعَدها وهى تُوَلْوِل وتقول:

- يا ربى ما هذا البلاء؟ هل أقتل نفسى كى أرتاح؟

***

أما سليم فما أن أغلق الخط مع خديجة حتى رن جرس الباب الحديدى لسور الفيلا وعرف سليم أنه عاصم ففتح له البوابة الإلكترونية ثم عاد وفتح سليم لعاصم باب الفيلا فدخل عاصم مثل العاصفة هائجًا وأمسك سليم من تلابيبه، وقال والشرر يَتَّقِدُ من عينيه:

obeikan.com

- يا سافل يا قذريا منحط يا و...

وَخَلَّصَ سليم قميصه من قبضة عاصم وابتعد عنه قائلًا ببرود:

- اهدأ يا معالى الوزير.. الفيلا فيها خدم وسكيوريتى (security).

ثم خَفَضَ صوته قائلًا بسخرية:

- إنهم نائمون الآن وصوتك العالى سيوقظهم ومن المؤكد أنك حريص ألا يسمع أحد شيئًا وتقع الفضيحة أليس كذلك معاليك؟

ثم جلس بهدوء واضعًا ساقًا فوق ساق وقال باستعلاء:

- اجلس حتى نستطيع أن نتكلم.

وجلس عاصم على مضض

بينما أكمل سليم قاصدًا إغاظته:

- لكن أتعرف أنك ابن حلال فأنا لتوى أنهيت مكالمتى مع خديجة وأبلغتها أنى أريدها عندى هنا فى الفيلا غدًا الساعة السادسة.

فانقَضَّ عاصم على سليم من جديد وقال باستنكار وغضب:

- ماذا تقول أيها الوضيع ؟

فقال سليم بهدوء وهو يُخَلِّصُ نفسه من قبضة عاصم:

- هذا الانفعال سَيُخَرِّبُ كل شىءٍ يا معالى الوزير ينبغى أن تهدأ كى نستطيع أن نتحدث.

كان سليم مُسْتَمْتِعًا برؤية عاصم على هذه الحالة ويشعر بالشماتة فيه بل وأراد أن يحرق قلبه ويُمَرِّغ أنفه فى التراب وكل ذلك سيحدث مادامت هذه الإسطوانة معه

وعاد عاصم ليجلس على طرف المِقْعَد نصف جِلسة مُتَحَفِّزًا وأكمل سليم:

- أنا لا أفهم لماذا تريد أن تَحْتَكِرَها؟ خُصُوصًا وأنت تعلم أنها تروقنى و..

فقال عاصم مُقَاطِعًا:

- أنا وخديجة متزوجين.

فأطلق سليم ضحكة عالية.. كان يعرف أن عاصم يكذب، وقال ساخرًا:

- بالله؟

فقال عاصم بصوتٍ خانع:

- نحن تزوجنا بورقة عُرْفِيَّة وسَنُحَوِّلَهُ إلى زواج رسمى قريبًا.

ثم استدرك مُهَاجِمًا:

- ثم ما شأنك بها؟ أنت تريد الانتقام منى أنا.. غدًا سأمضى قرار عودتك للعمل فى الوزارة.

فضَحِكَ سليم مُسْتَخِّفًا ثم قال ببساطة:

- ومن قال أنى أريد العودة إلى الوزارة؟

فقال عاصم بائسًا:

- حسنًا.. سأُقَدِّمُ أنا استقالتى من المنصب.. هل هذا يُرْضِيك؟

كان عاصم يعلم أن سليم يحقد عليه ويظن أنه الأولى بالمنصب الوزارى واعتقد أنه إذا تنازل عنه فإن سليم سيكتفى بهذا القدر من الإنتقام..

لكن سليم فاجأه قائلًا:

- لا.

فقال عاصم حائرًا:

- فما الذى تريده إذن؟

فقال سليم بثقة:

- توجد أرض تابعة للوزارة أُرِيْدُكَ أن تُخَصِّصُهَا لشخص حبيبى بالأمر المباشر.. التفاصيل ستكون غدًا فوق مكتبك.

لم يكن يعرف أن سليم سَفَّاحٌ فى انتقامه إلى هذا الحد، وقال عاصم بسرعة:

- لكن أنا لا أستطيع أن أفعل ذلك.

فنظر إليه سليم باحتقار ثم قال ساخرًا:

- فما الذى تستطيعه؟ استغلال الموظفات اللائى تعملن فى مكتبك جنسيًا والتحرش بهن؟ فى مجتمعات الغرب فضائح السياسيين الجنسية تَقْلِبُ الدنيا وهم أُنَاس فرى (free) تَخَيَّل أنتَ الوضع هنا فى مجتمعنا الشرقى المحافظ.

فقال عاصم، وهو يهرب بعينيه، خانعًا:

- حاضر سأدرس الموضوع.

فقال سليم آمرًا:

obeikan.com

- أنت لن تدرس شيئًا.. سَتُنَفِّذ على الفور.

- حاضر، ولكن أخرج خديجة من اللعبة.

فقال سليم ببرود:

- لا أستطيع فقد قلت لك أنها تُعْجِبُنِى.

غلت الدماء فى عروق عاصم وقال مهددًا:

- وأنا سأقتلك لو حاولت أن تمسها.. خديجة تَخُصَّنِى أنا وحدى هل تفهم؟

فقال سليم بتحدٍ:

- أتُهَدِّدُنِى بالقتل فى بيتى؟

فقال عاصم وهو ينهض:

- هذا ليس تهديدًا.

ثم رفع سبابته ووجهها نحو سليم مُحَذِّرًا وأكمل:

- هذا ما سيحدث فعلًا لوحاولت أن تقترب منها بأى شكل سأقْتُلُكَ يا سليم.. سأقتلك.

وخرج مُسْرِعًا من الفيلا وهو حانق غاضب .. كان يشعر أن سليم قد طَوَّق عُنُقَهُ بحبلٍ غليظ يَجُرُّهُ منه كيف شاء وإلى أين شاء.. لتذهب الوزارة إلى الجحيم لكن خديجة خط أحمر، وكان قد تسلل من الفيلا التى يسكنها من الباب الخلفى وأخبر الحراسة أنه ذاهب فى زيارة عائلية ولا يريدهم معه وكذلك السائق، واستقل سيارة صغيرة بزجاج داكن يستخدمها دائمًا للهروب من المُصَوِّرين، عندما يكون ذاهبًا إلى مكان أو موعد قد يتسبب

فى إحراجه إذا عُرِفَ أنه ذاهب إليه، وهاتف خديجة وهو فى السيارة بعد خروجه من منزل سليم وأتاه صوتها بائسًا وهى تقول:

- أرأيت إلى ماذا وَصَلْتُ على يديك؟ لقد أصبحتُ مومس يطلبونها للمُضَاجَعَة.

- خديجة نحن يجب أن نتزوج حالًا أين أنتِ الآن؟ سأمُرُّ عليكِ ونذهب إلى أيِّ مأذون شرعى لِأَعْقِدَ عليكِ.

فقالت بتحسر:

- وما الفائدة؟ لقد صَوَّرنا فى المكتب.. وهل يوجد رجل يدخل بزوجته فى مكان العمل؟ يا عاصم الفضيحة قادمة لا محالة.

فقال عاصم بعصبية:

- كفاكِ ولولة أين أنتِ؟ فى البيت؟

- بل أنا عند عالية.

- يا إلهى رحمتك.. هل أخبرتِ عالية؟

فردت ببراءة:

- ورمضان وهو موجود معنا الآن.

وعندما سمع عاصم ذلك قبض على عجلة القيادة بقوة وهتف بانزعاج:

- يا لليلة السوداء.. أجُنِنْتِ يا خديجة؟ ليس سليم من سيفضحنا أنتِ التى تفعلين وأمام من؟ فتى وضيع مثل رمضان وأنتِ تعرفين بالتأكيد سيشمت فىّ..

وازداد حُنْقَهُ وغضبه لدرجة أنه كاد يصطدم بالسيارة التى أمامه إذ كان ضاغطًا على دواسة البنزين فزدات السرعة فجأة من شدة غيظه، وتفادى الارتطام فى اللحظة الأخيرة وأوقف السيارة جانبًا وأكمل حانقًا:

- ها أنا ذا أوشكت على عمل حادثة بِجُمْلَة المصائب أو يا ليتنى فعلتها إذن لَمِتُّ واسترحت من كل هذا.

فقالت خديجة بهلع:

- أبعد الله عنكِ الشر، ثم صَدِّقْنِى رمضان لا يُفَكِّر هكذا، وأنا أخبرته لأن..

فقال عاصم مُقَاطِعًا وبنفاد صبر وهو يُدِيْرُ السيارة لينطلق بها مرة أخرى:

- خديجة؟ ألم تُخْبِرِيه؟ انتهى.. وربما نستفيد منه ليشهد على عقد الزواج.. أنا عشر دقائق وأصبح عندك.

وأغلق الخط وألقى بالهاتف على المِقْعَد المجاور له فى سخط.

كان رمضان قد أتى مُهَرْوِلًا وقد أقلقه صوت عالية فى الهاتف ولما اجتمع بهما – أى عالية وخديجة – ورأى الشحوب الذى يكسو وجه خديجة عرف أن الأمر خطير وسأل خديجة بقلق:

- ما بكِ يا أستاذة خديجة؟ مشاكل جديدة مع مطلقك؟

فقالت عالية باقتضاب:

- معتز ليس له علاقة بالأمر.. إنه حديث آخر.

وانفجرت خديجة فى البكاء من جديد

وقالت عالية لائمة:

- ألم أقل لك يا رمضان لا داعى لمجيئك.

فقال رمضان:

- كيف؟ الأستاذة خديجة مثل أختى والذى يؤذيها يؤذينى أخبِرَانى فقط ما القصة فربما أستطيع المساعدة.

ولم تكن عالية تنوى أن تخبر رمضان أولًا كى لا تفضح اختها وثانيًا كانت تخشى أن تهتز صورتها أمامه ويفقد احترامه لها ولعائلتها إذا عرف بما حدث بين عاصم وخديجة..

لكن خديجة كانت فى حالة انهيار تام وتفكيرها مُشَوَّش كما أنها كانت تثق فى رمضان وتتعامل معه على أنه زوج أختها، وإن لم يحدث بعد، وهكذا اندفعت تحكى خديجة لرمضان كل ما حدث، فاحْمَرَّ وجهه من شدة الغضب، ونظر لعالية بعتاب وقال باستنكار:

- كيف لم تُرِيْدِى إخبارى بأمرٍ خطيرٍ كهذا؟

ثم أكمل بصوتٍ هادر من شدة الغضب:

- الحيوان ابن القحبة..أين الورقة التى كَتَبْتِ فيها العنوان؟

فبحثت عنها خديجة وعالية تقول بقلق:

- ماذا ستفعل يا رمضان؟

وعثرت خديجة على الورقة وأعطتها له فتناولها ودَسَّهَا فى جيب قميصه وهو يقول بحزم:

- سأفعل ما يجب فعله.

فقالت عالية وقد تسارعت نبضات قلبها:

- ماذا تقصد؟

فقال رمضان بغموض:

- هذه القصة يجب أن تنتهى وسأُنْهِيْهَا بطريقتى.

وعندها رَنَّ جرس هاتف خديجة المحمول، وقالت وهى تتناوله من منضدة قريبة:

- هذا عاصم أكيد السافل هاتَفَهُ هو الأخر.

ثم تحدثت معه المكالمة المذكورة آنفًا، وعندما أغلقت الخط أخبرتهم بما قاله

فقال رمضان:

- فكرة جيدة مسألة عقد الزواج هذه وأنا والحمد لله هُوِيَّتِى معى.

ثم دَسَّ يده فى جيب سرواله ليتأكد من وجودها

فقالت عالية بتحسر:

- ليته فعل ذلك من البداية فما كانت هذه المصيبة ستقع.

فقال رمضان مُهَوِّنًا:

- لا داعى للعتاب كُلُّ شىءٍ نصيب ومكتوب له وقته.

وسكت قليلًا ثم أردف:

- يا عالية خذى أختك اغسلى لها وجهها وهندميها قليلًا حتى لا يستريبَ المأذونُ ويَشُكُّ فينا.

فقالت خديجة مُعْتَرِضَة:

- أنا لا أستطيع الوقوف على قدمى.. اتركونى فى حالى.

obeikan.com

وأجهشت فى البكاء من جديد ونظر رمضان إليها بإشفاق.. وكان يتعجل وصول عاصم لأنه يريد أن يبدأ التحرك وإنجاز مهام عديدة فى إطار الخُطَّةِ التى وضعها لنفسه.

وقال لخديجة وكأنه تذكر:

- أستاذة خديجة أنا أريد أن أذهب معكِ غدًا إلى العمل.

فقالت خديجة:

- عمل؟ أيُّ عمل؟ وهل تظنان أنى سأخطو بقدمى نحو هذا المكتب النحس مرة أخرى؟ وبالذات وأنا فى هذه المصيبة السوداء.

فقالت عالية وقد وصلها ما يُفَكِّر فيه رمضان:

- يا خديجة افهمى رمضان يريد أن يذهب مَعَكِ ليرى أين توجد الكاميرا التى صوركما بها سليم وينزعها من المكتب.

فقالت خديجة:

- وهل ستستطيع العثور عليها؟

فقال رمضان:

- سأحاول وأدعو الله أن يُوَفِّقَنِى.

فقالت خديجة بلا اكتراث:

- وحتى لو لم تجدها لقد أَدَّتْ مَهَمَّتُها والصور معه الآن.

فقال رمضان مُصِرًّا:

- لكن لو عثرنا عليها سيكون أفضل لأنه من الممكن أن تكون لها ذاكرة ويكون ما تم تصويره لازال فى هذه الذاكرة ولم يُمْسَح بعد ونحن نريد أن نُلَمْلِمَ كُلَّ شيءٍ.

فقالت عالية:

- معك حق.

ثم أردفت بخليط من الغيظ والإعجاب:

- ولكن سليم هذا داهية بحق زرع الكاميرا فى مكتب خديجة لإن إجراءات الأمن فى مكتب عاصم كان يمكن أن تَكْشِفُهَا وفى نفس الوقت هو يعلم أن أهم الملفات ومعظم الأسرار موجودة فى مكتب خديجة.. فعلًا إنه مجرم يستغل ذكاؤه فى الشر.

وسمعوا جرس باب الشقة يدق فأسرعت خديجة نحو الباب قائلة:

- أكيد عاصم.

وما إن رأته حتى ألقت بنفسها بين ذراعيه وانهارت فى البكاء من جديد واحتضنها عاصم بقوة ودخلا وأغلق الباب بسرعة ثم ابتعد عنها قليلًا ووقف فى مُوَاجَهَتِهَا ومسح دموعها بيده بحنان وقال هامسًا:

- لا تخافى لها حل.

وقبض على يدها بقوة ثم ذهب ليجلس وتبعته مُنْضَمّين لرمضان وعالية

وقال عاصم:

- أنا كنت أنوى أن نمشى فورًا لكن لم أستطع رأسى ستنفجر من الصداع لهذا فَكَرْتُ أن أصعد لأشرب فنجان قهوة بعد إذنك يا عالية وليتَكِ تناولينى قرص دواء للصداع ثم نذهب بعدها.

وذهبت عالية إلى المطبخ لِتُعِدَّ القهوة بينما أخرج عاصم علبة سجائره وتناول منها سيجارة فى توتر وارتطم بَصَرَهُ برمضان فشعر بالخجل وقد تذكر أن خديجة حكت له كل شىء، ثم فعل شيئًا لم يكن من الممكن أن يفعله أبدًا فى ظروف أخرى لقد مال بجذعه نحو رمضان الجالس فى المِقْعَد المقابل، وقال بتواضع وهو يُقَدِّم له علبة سجائره:

- سيجارة؟

فابتسم رمضان فى وداعة وقال بلطف:

- لا شكرًا أنا أقلعت عن التدخين نهائيًا منذ خمسة أشهر.

وكان فعلًا قد أقلع عن التدخين لأن عالية لا تحبه أن يُدَخِّن وأيضًا لكى يكون قدوة لأولادها، رغم أنه أتت عليه فترة كان يدخن فيها بشراهة، وقت خَشْيَتَهُ ضياع عالية منه، وقبل أن يتصارحا بحبهما.

ودَسَّ عاصم العُلْبَةَ فى جيب معطفه وهو يقول:

- أفضل شىء.. أنا أيضًا أتمنى أن أتوقف عن التدخين.

فقالت خديجة:

- ولكنك لم تحكى لى عندما هاتفك سليم ماذا قال لك؟

فقال عاصم باقتضاب:

- لم نتحدث فى الهاتف لقد ذهبت إليه فى بيته.

ثم نفث دخان سيجارته بقوة، وقالت خديجة بدهشة:

- ماذا؟ ذهبت إلى بيته؟

وحكى لهم عاصم مُلَخَّصًا سريعًا لما دار بينه وبين سليم...

فقالت خديجة بهلع:

- ويحه هذا السافل ! وماذا ستفعل؟

فقال عاصم:

- لا أعرف.. أهم شيء لديَّ الآن أن أحْمِيَكِ منه.

فقال رمضان:

- لا تسأل عنه ولا تخشَ على أستاذة خديجة فلن يستطيع الاقتراب منها أبدًا.

فنظر إليه عاصم بدهشة، وقالت عالية مُوَضِّحَة:

- رمضان سيحاول أن يصل للأصول التى يُهَدِّدَكُما بها، أليس كذلك يا رمضان؟

فقال عاصم:

- إنه ليس ساذجًا إلى هذه الدرجة.. أكيد أنه يتحسب لذلك وسَتُخَاطِرُ بلا فائدة.

فقال رمضان بإصرار:

- حتى لو فيها مَوْتِى، لا أستطيع أن أقف وأشاهد من بعيد.

فنظر إليه عاصم باستغراب ثم قال:

- لا أعرف ماذا أقول لك.. أعنى لم أتوقع أن يكون هذا هو رد فعلك خصوصًا بعد كل ما فعلته ضدك.

قال الجملة الأخيرة فى خجل

obeikan.com

فقال رمضان بسماحة:

- يا معالى الوزير المَثَل يقول " أنا وأخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب ".

فقال عاصم بإعجاب:

- أصيل يا رمضان.

وسكت لحظة ثم أردف:

- دعنا إذن نخطط ونعمل معًا.

فقال رمضان:

- لا يا معالى الوزير أنت منصبك حساس وتحت الأضواء كما أن سليم سيتوقع منك أىَّ شىء وأكيد أنه يحتاط مِنْكَ أنتَ بالذات أما أنا فهو لا يعرفنى وستكون هذه نقطة فى صالحنا.

فقال عاصم بحيرة:

- لكن كيف ستعمل وحدك؟ أنا عندى ابن خالتى..

فقال رمضان مُقَاطِعًا:

- لا نريد أن نُوَسِّعَ دائرة من يعرف القصة.

وسمعوا صوتًا معدنيًا، وقالت خديجة:

- هذا موبايلى يظهر أنها مسج (رسالة) (message).. يارب أستر.

وتناولت هاتفها وفتحت الرسالة فقرأتها ثم ألقت الهاتف جانبًا فى غضب، وقالت:

- السافل بعث لى صورة فاضحة ويؤكد على موعدنا وإلا بعدها بخمس دقائق سَتُصْبِح هذه الصورة عن طريق البلوتوث (Bluetooth) على كل موبايل فى الوزارة.

كانت صورة لها وهى عارية، وأكملت مُتَهَكِّمَة:

- واضح أنه أخرجنى من الموضوع فعلًا كما أمرته يا عاصم.

فقال عاصم بغضب:

- ابن الزنا إنه يسعى إلى حتفه.

فقال رمضان بنفس اللهجة الغاضبة:

- يجب أن يدفع ثمن استهانته بشرفنا.

فقالت عالية مُنَبِّهَة:

- الساعة جاوزت الحادية عشر حاولوا اللحاق بأىِّ مأذون أولًا وعندما تعودون استكملوا الحديث، وبالمناسبة يا خديجة لقد هاتفتُ أُمَّنَا وقلت لها أنكِ سَتَبِيْتِيْنَ معى الليلة.

***

وبحثوا كثيرًا وبطريقةٍ عشوائية حتى وجدوا مأذونًا فى تلك الساعة المُتَأخِّرَة ولحسن الحظ لم يتعرف المأذون على عاصم – كوزير – ولعله كان يُغَالِبُ النوم فلم ينتبه لذلك بل لقد طلب من عاصم أن يملأ هو البيانات بنفسه فلم يَطَّلِعَ على بطاقته ولا بطاقة رمضان أو خديجة، وأما الشاهد الثانى فقد كان حارس العقار، وهذا الأخير شَبَّهَ على عاصم ولكن ظنه ممثلًا تليفزيونيًا وإن لم يتذكر اسم المسلسل الذى شاهده فيه، وأخيرًا تم عقد القران وتنفس عاصم الصعداء، فإضفاء الشرعية على ما حدث سَيُغَيِّرُ

المسميات وتتغير بالتالى ردود الأفعال ففضيحة الزنا قطعًا ليست كفضيحة إفشاء أسرار علاقة حميمة بين رجل وزوجته، ففى الحالة الأولى سيكون هو وحده المُلام وسَتُصَبُّ فوق رأسه اللعنات، أما فى الحالة الثانية فإن سليم سيناله قسطٌ وافرٌ من الإستهجان لأنه تلصص على أعراض الآخرين كما أن الحزب لن يَدْعُمَهُ فى الحالة الأولى بل قد يرون فيه كبش فداء لإلهاء الشعب بقصص ساخنة ومُثِيرَة وصَرْفَهُم عن التفكير فى المعيشة المُرة ووقائع الفساد المُسْتَوْحِشَة.

أما خديجة فلو لم يكن الزواج قد تم فى مثل هذه الظروف لكان أُغْمَى عليها من شدة الفرحة وقد تحقق حُلْمُ حياتها أخيرًا وباتت زوجة شرعية لعاصم، بل المفارقة أن يوم زواجهما ينفصلان فى المبيت، هى ستنام مع أختها وهو سيبيت فى منزله، وإن لم يغمض لأحدهما جفن.

ومِثْلَهُم كان رمضان صامتًا طوال الطريق فقد كان هو الآخر يُفَكِّرُ فيما سيفعله وقد كان يرغب فى قتل سليم لأنه من وجهة نظره اعتدى على شرف خديجة كونه سمح لنفسه بأن يتلصص على جسدها تمامًا كأنه واقعها دون رضاها لا فرق، لعنة الله على التكنولوجيا الحديثة! ولكنه حاليًا سيكتفى بمحاولة سرقة الأصل الذى يُهَدِّد به سليم عاصم وسيبذل مجهودًا شاقًا كى يجمع كل ما له علاقة بالإسطوانة اللعينة التى تحوى هذه المصيبة كما يتوقع أن داهية مثل سليم لابد أنه يحتفظ بأشيائه الثمينة فى مكانٍ خاص.. أين وكيف ومتى؟ والوقت أمامه ضَيِّقٌ جدًا، ونقطة أخرى تُؤَرِّقُهُ بشدة..

ووجد نفسه يقول لعاصم:

- هل تظن معاليك أن سليم يحتفظ بِكُلِّ ما يَخُصُّ السى دى فى فيلته فقط وأنه لا توجد نُسَخٌ أخرى فى مكانٍ آخر؟

كان عاصم يرغب هو أيضًا فى قتل سليم، ولكنه يُدْرِك صعوبة تحقيق ذلك، ثم ومع تهديده له بالقتل عندما ذهب إليه فى بيته، سيجعل الأمر مُغَامَرَةً خَسَارَتُهَا أَشَدُّ من نَفْعِهَا، فأن يَدْرَءُ عن نفسه فضيحة زنا بواسطة جريمة قتل ليس إلا غباءً مُطْبِقًا يربأُ بنفسه أن يتورط فيه !

وقال عاصم مُفَكِّرًا:

- أنا عندما ذهبت إليه هددته بالقتل ولا أذكر أنه ألمح بِشَئٍ كهذا.. كان يتكلم وهو واثق أننا سَنُنَفِّذ ثم لا تنسَ أن الحكاية كلها بدأت من أربعة أيام وربما من ثلاثة، منذ أن حصل على الصور ووضعها على سيديهات وَجَهَّزَهَا وطبع منها ثم بعث بها إلينا..أعنى أنها مُدَّةٌ قصيرة فمتى سيكون فَكَّرَ أننا قد نُحَاوِلُ التخَلُّصَ منه؟ ومن أين سيأتى بالشخص الذى يثق فيه ويكون قادرًا على تحمل تبعات مصيبة كهذه؟

فقال رمضان:

- صحيح من سيقف فى وجه وزير له حصانة إلا لو كان كبيرًا مثله أو يكون مسكينًا وفى هذه الحالة ستكون مصلحته أن يَبْتَزَّ معاليك لأنه لن يستفيد شيئًا من فضحك.

فقال عاصم مُتَنَهِّدًا:

- كم أتمنى أن تكون تخميناتُنَا صحيحة.

فقال رمضان بتسليم:

- نحن سنفعل ما نقدر عليه والسِتْرُ يأتى من عند الله.. بعد إذن معاليك أريد أن أنزل قُرْبَ فيلا سليم.

فقال عاصم مُنْدَهِشًا:

- الآن؟ لماذا؟

فقال رمضان ساخرًا:

- سأحوم حول مسرح الجريمة وأجمع معلومات.

فقال عاصم مُحَذِّرًا:

- ولو أمسكوا بك؟ إن لديه سكيوريتى (security).

فقال رمضان:

- الناس كلها نائمة الآن حتى موظف الأمن أكيد نام وإن شاء الله لن يرانى أحد ثم لإنى لن أقوم بِعَمَلٍ خَطِر.. سأجمع معلومات فقط.. المداخل والمخارج.. الموجودون بالفيلا، وأشياء من هذا القبيل، والليل ظلامه سيكون ساترًا، كما أنه ليس لدينا وقت.

ثم قال مُسْتَدْرِكًا:

- أنا أيضًا أُرِيْدُ معاليك أن تصف لى شكل سليم صحيح أنه سيد المكان ولكن زيادة فى التوضيح.

فقال عاصم:

- آه طبعًا أولًا هو أعزب فلن تجد غيره والخدم ثم من السهل تمييزه لأن ملامح وجهه أوربية خالصة وعيناه زرقاوان وجميلتان.. أليس كذلك يا خديجة؟

قال الجملة الأخيرة ساخرًا لكن خديجة استمرت فى صمتها وبكائها...

فقال عاصم بضيق:

- لا فائدة.. أنا أعرف ستواصلين البكاء حتى الصباح.

obeikan.com

فقالت خديجة بندم:

- بل حتى آخر العمر لإنى أنا التى فَعَلْتُ ذلك فى نفسى.

فقال رمضان باهتمام:

- أنزلنى قريبًا من الفيلا، وليس عندها بالضبط، حتى لا يلمح أحد سيارة معاليك.

فقال عاصم:

- حاضر يا رمضان.. حاضر.

فقال رمضان مُسْتَدْرِكًا:

- ومن الأفضل معاليك أن تَكْتُب ورقة زواج عُرْفِيَّة بتاريخ قديم سابق لتاريخ السى دى المُصَوَّر.

- فعلًا.. يجب أن أفعل ذلك، شكرًا لأنك نَبَّهْتَنِى لهذا الأمر الهام.

وسكت لحظة ثم مد يده إلى الخزانة الصغيرة الموجودة فى مُقَدِّمَةِ السيارة (التابلوه) وأخرج مظروفًا قَدَّمَهُ إلى رمضان قائلًا:

- مؤكد ستحتاج لمن يعاونك بأجر.. خذهم وإذا احتجت للمزيد من النقود أخبرنى.

وأوشك رمضان على رفض النقود ولكنه تذكر أنه سيحتاجهم فعلًا فَقَبِلَهُم على مضض.

وبعد أن نزل رمضان وأثناء عودة خديجة برفقة عاصم إلى منزل عالية رَنَّ جَرَسُ هاتِفِهَا فنظرت فى الرقم وأظلم وجهها وهى تقول بخفوت: إنه.. سليم.

وشعر عاصم بالدماء تفور فى رأسه بينما أجابت خديجة بتوتر: نعم.

- ها أنتِ مستيقظة مثلى.. لقد فَكَّرْتُ يا حُلْوَتِى أن النوم الهنىء للرجل لا يَتَأَتَّى إلا بِرُقَادِ امرأة جميلة بين ذراعيه بعد أن تكون قد ملأت فراشه بهجة وحياة، اطلبى من عاصم أن يأتى بِكِ إلىَّ الآن هو يعرف العنوان جيدًا.

وهوى قلب خديجة بين قدميها وقالت وبحروف مرتعشة:

- و.... لكن... أنا...أنا حسنًا لن... أعنى لَدَىَّ ما يأتى للنساء كل شهر وأنت تعر...ف أعنى...لن أستط

- هذا لايمنعنى عنك.

قالها مُقَاطِعًا، فقالت وقد بدأت فى البكاء:

- ولكن أنا مريضة جدًا ولدى تَدَفُّقْ شديد وإن أنت فعلت ذلك ستؤذينى وتؤلمنى.

- حسنًا أيتها الشرقية العنيدة سأتظاهر بِأَنِّى صَدَّقْتُ كَذِبَتَكِ فأنا أَكْرَهُ إرغامَكِ بالذات فى هذا الأمر، ولكن كونى عاقلة واحذرى أن تضطرينى إلى إكراهك.

وأغلق الخط فَرَمَت هى هاتفها فى حقيبتها بعنف بينما قال عاصم والشرر يتطاير من كلماته:

- ماذا كان يريد ابن الزنا؟

- لا شىء.

- خديجة

- عاصم أوصِلْنِى إلى البيت بسرعة فأنا أشعر أنى سَأَسْقُطُ من شدة التعب وأحتاج أن أنام.

ولم تخبره لأنها خشيت أن يُعْمِيَهُ الغضب فيذهب لقتله حالًا وخصوصًا وقد لمحت مُسَدَّسًا فى خِزَانَةِ السيارة حين فتحها ليُنَاوِلَ رمضان النقود، ولتحمل عبئها فى صدرها وتصمت، فأحيانًا يكون أفضل ما يمكن أن تفعله هو ألا تفعل شيئًا !

***

هل يستطيع رمضان أن يفعلها؟ كان عاصم يتمنى ذلك ولكن هل يمكنه أن يعتمد عليه حقًا؟ وهل يثق به؟ نعم إنه يثق به ومن دونما سبب وجيه، لكنه لا يثق فى أنه قادر على تنفيذ الأمر دون مساعدة منه، وعاد يفكر هل يخبر والده؟ هل يخبر أحد القيادات الكبيرة فى الحزب والذى تربطه به صلة طيبة؟ إنه إذا أخبر والده فلابد أنه بعد توبيخه وتعنيفه سيستعين بهذه القيادة وهذا الرجل بماله من ثِقَلٍ سياسى ونفوذ، إذا أمر، فلا يستطيع سليم أن يعصاه ولكن توجد نقطتان، الأولى، لماذا سيتطوع الرجل الكبير ويتوسط فى أمرٍ كهذا؟ أمن أجل الانتخابات؟ نعم لقد رأوه الأنسب للترشح فى الدائرة التى اختاروه لها وَفُرَصِ فوزه ستكون كبيرة لكن ذلك لا يمنع أن أىَّ مُرَشَّحٍ آخر منهم سيفوز ولو كانت القضية قضية فساد مالى لكان أمرًا يُمْكِنُ التغاضى عنه لكن فضيحة أخلاقية تعنى من وجهة نظرهم أنه مُسْتَهْتِر ولا يُقَدِّر المسئولية وإذا لم يكن يستطيع حماية أسراره الحميمة فكيف يستطيع حماية أسرار الحكومة والحزب؟ والنقطة الثانية أنه من السهل جدًا أن يُبْدِى سليم إذعانه للرجل الكبير ثم يُسَرِّب ما لديه إلى وسائل الإعلام بطريقة غير مباشرة ودون أن يَظْهَر فى الصورة والمؤكد أن القصة إذا وصلت للجرائد والشاشات فإن الجميع سيَتَخَلَّوْنَ عنه.. إن لعبة السياسة حَسَّاسَة وتَوَازُنَاتِهَا دقيقة ورُغم ذلك لا يستطيع أحد التنبؤ بما سيحدث ودائمًا تحدث المفاجآت هنا، لإن الأمر خاضع

للأهواء ومزاج الكبار، وليس للتفكير العلمى أو المبادئ البديهية الثابتة، دور فى وضع الخطط التى تحكم وتدير.. إن عاصم يعرف كل ذلك إضافة إلى أنه يكره أن يرى أحدهم سوْءته.. سيستمع لنصيحة رمضان ولن يُخْبِرَ أحدًا فمثل تلك المصائب السِتْرُ فيها هو الأصل وإلا لماذا يتمنى أن يقتل سليم؟ فالموتى لا يتكلمون، وهل سيفعلها رمضان؟ ليس أمامه إلا الإنتظار..

***

لم ينم ثلاثتهم وفى الصباح ذهب عاصم إلى الوزارة ووجد الملف فوق مكتبه جاهزًا على توقيعه وكان كما توقع.. كارثة يريد سليم توريطه فيها، ونَحَّى الملف جانبًا وقرر أن يُنْجِزَ أعماله أولًا ويُرْجِئُ الملف إلى آخر اليوم عَلَّ شيئًا جديدًا قد يحدث، وكانت تتملكه رغبة قوية بأن يذهب إلى سليم ويخنقه بيديه.. متى ينتهى هذا الكابوس؟

أما خديجة فقد صلت الفجر وذهبت مع رمضان إلى مكتبها قبل بدء العمل، وأخذ رمضان يبحث حتى وجد ما يبحث عنه، كانت الكاميرا دقيقة جدًا ومُخَبَّأَةً فى لَوْحَةٍ فنية مُثَبَّتَة على الحائط فى المكتب، وكانت اللوحة هدية من سليم لخديجة بمناسبة انتقالها للمكتب الجديد وقتها، واعتبر رمضان ذلك بداية جيدة، وانصرف رمضان وانصرفت خديجة معه مُتَعَلِّلَةً بشعورها بالتعب فجأة، وقد أذِن لها عاصم وهو يشعر بالإشفاق عليها وبالذنب تجاهها فَنَزَقَهُ وطَيْشَهُ هما اللذان قاداهما إلى ما هما فيه الآن.

***

ورجعت خديجة إلى منزل عالية حيث ظلت واقفة على سجادة الصلاة تصلى وتدعو كالمحكوم عليه بالإعدام الذى ينتظر أمرًا بالعفو قبل أن يُنَفَّذَ فيه الحكم وكلما مرت ساعة زاد شعورها بالخوف والفزع وكانت

تفكر أيهما أفظع أن تمنح نفسها لسليم كرشوة جنسية أم أن تُفْضَحَ أمام كل من تعرف؟ أن تتعرى أمام رجل واحد أم يراها كل الناس عارية؟ أيهما أسوء؟ ليت الموت يزورها الآن فَيُنْقِذْهَا من المصير المُظْلِم وبدأت تدعو الله أن يقبضها إليه الساعة حتى لا تخوض فى الوحل بقدميها ثانية.

***

أما رمضان فقد كان أكثرهم خوفًا لإنه يريد أن يفى بما وعد به عالية.. أن يستر خديجة وسَيُنْقِذْ مستقبل عاصم، برُغْمَ كل ما فعله معه هذا الأخير، لأنه صار مع خديجة فى خِنْدَقٍ واحد.. وكل ذلك وهو يواجه داهية مثل سليم ولا يعلم عن عدوّه إلا أقل القليل.

وبنى رمضان خُطَّتَهُ على أساس تخدير الحراسة والتسلل إلى الفيلا مُقَنَّعًا ومعه اثنين من الأشقياء الذين يعرفهم من بلدته والمقيمين فى القاهرة، وقاموا بتقييد سليم وضربه وتهديده ليعترف بمكان كل ما يتعلق بالإسطوانة التى يُهَدِّد بها عاصم وخديجة، وقد أوحى رمضان لسليم أنه من أقارب خديجة وأن المسألة تتعلق بِسِتْرِهَا والحفاظ على شرف العائلة، ولم يَكْتَفِ رمضان بذلك فقام بتخدير سليم والبحث بنفسه فى كل مكان بمسكن الأخير، ثم كان عليه بعد ذلك أن يُسَافِرَ إلى شاليه يملكه سليم فى العين السخنة، ليحصل على نسخة مُخَبَّأَةً هناك، اعترف سليم بها بعد أن جرح أحد الرجلين الذين استعان بهما رمضان، عُنُقَ سليم بسِكِّينٍ مُهَدِّدًا إياه بالذبح إذا كان يُخْفِى شيئًا.

***

عاد رمضان إلى منزل عالية فى غُضُونِ الثالثة صباحًا وما ان فتحت الباب ووجدته أمامها حتى ألقت بنفسها بين ذراعيه لتدفن خوفها وقلقها عليه بين أحضانه وضَمَّت نفسها إليه بقوة لتتأكد أنه بخير وأنه عاد إليها، فقد كان يُخَاطِرُ بحياته من أجلها ومن أجل أختها...

obeikandl.com

وهمس لها بحنان:

-لا تخافى لقد تَمَّ كُلُّ شىءٍ على ما يُرَام والحمد لله.

ثم تَحَرَّكَ بها بِرِفْقٍ حتى دخلا وأغلق الباب خلفهما، وظَلَّا مُلْتَصِقَيْنِ كُلًا منهما يستمع لنبض قلب الآخر لمدة دقيقتين ثم ابتعدت عنه عالية قليلًا لتتمكن من التَطَلُّعَ فى عينيه ثم قالت بصوتٍ مُتَهَدِّجْ:

-أنتِ كنزى.

-وأنتَ جَنَّتِى.

قالها وهو يَوَدُّ لو تسكن حضنه إلى الأبد !

وسمعت خديجة صوت رمضان فتركت حجرتها وخرجت إليه على الفور، وهى تدعو الله أن يكون قد جاء حاملًا الفَرَجَ معه ونظرت إليه مُتَسَائِلَةً وقلبها يُوْشِكُ على القفز من بين ضلوعها من شدة الخوف، فقال مُطَمْئِنًا:

- لم يعد هُناك ما يمكن أن يُهَدِّدَكِ به.. لقد دَمَّرْتُ كُلَّ النُسَخِ حتى الأجهزة نفسها اللاب توب والموبايل وكل شىء يمكن أن تكون عليه ولو لقطة واحدة أو صورة لكِ.

ونظرت إليه خديجة غير مُصَدِّقَةً وقالت بحذر:

-أتعنى ذلك حقًا؟ وكيف تكون مُتَأَكِّدًا أنه لم يُخْفِ نُسْخَةً ولم يُخْبِرْكَ عنها سليم ليس سهلًا هكذا.

-أما أنا فأخشى أن يتعقبك ويؤذيك.

قالتها عالية بقلق، وقال رمضان مُطَمْئِنًا:

لا أظن أنه يُخْفِى شيئًا ولا أظن أيضًا أنى أُهِمَّهُ ليَتَعَقَّبَنِى فلابد أنه يُدْرِك أنى مُجَرَّد أداة وحسابه سيكون مع عاصم، ولقد اتصل به فعلًا وأخبره أنه سيتصل بالشرطة ويَتَّهِمَهُ بِمُحَاوَلَةِ قَتْلَهُ وَسَرِقَتَهُ لكن عاصم رد عليه بأنه لا يملك أىَّ دَلِيْلٍ على ذلك ولو كان يملك لما اتصل به الآن وتوجه إلى الشرطة مباشرة خصوصًا وأنه وزير له حصانة تستوجب دليلًا دامِغًا ليُمْكِنَ رفعها عنه وتوجيه اتهام له، وهذا ما جعلنى شِبْه مُتَأَكِّد أن سليم لم يعد يملك أيَّة نُسْخَةٍ من الشريط المُصَوَّر.

وتفكرت خديجة قليلًا فيما قاله فبدا لها منطقيًا، ثم فجأة نقرت الأرض بجبهتها وخرت ساجدة شكرًا لله على أن أنقذها من الفضيحة والدنس ثم استوت جالسة على الأرض وأجهشت فى البكاء.. ولم تكن تدرى لماذا تبكى وهل هى دموع فرح على خلاصها من تلك المصيبة أم دموع ندم على ضعفها الذى أورَدَهَا ذلك المنحدر أم فقط هو طريقة لتتخفف من الضغط النفسى الهائل الذى عانته بشدة مؤخرًا...

والتفتت عالية لرمضان وقالت كأنها تذكرت:

-ويحى أكيد أنك تتضور جوعًا سأُحْضِرُ لك الطعام حالًا.

وذهبت إلى المطبخ، فلحق بها وقال:

-إنما أتضور جوعًا إليكِ أنتِ.

ووجد نفسه يَضُمُّ عالية إلى صدره، ضَمَّهَا إليه بقوة، فأحَسَّت كم هو قوى وجميل والتصقت به أكثر.. ثم أبعدها عنه قليلًا وراح يُمْطِرُهَا بِقُبُلَاتِهِ عشوائيًا وبِنَهَمٍ فى كُلِّ أنحاء وجهها ورقبتها وشعرها ،الذى انحسر عنه غطاء الرأس ووقع على الأرض، وكان يهمس لها: أحبك.. أحبك.. أحبك..

وقال وهو يلهث:

- حبيبتى لم أعد قادرًا على الإنتظار.. أريد أن نتزوج حالًا، ولقد أخبرنى عاصم أنه أنهى اليوم كل التصاريح والأوراق المُعَطَّلَة الخاصة بمكتبى ويمكننى أن أبدأ العمل فيه من هذه اللحظة.

واحمرت وجنتا عالية وشعرت أنها تُحَلِّقُ فى سماواتٍ بعيدة من السعادة والبهجة..

***

" انتهت اللعبة بفوزى أنا أما أنتَ فأنت لا تَصْلُح لأن تفوز فى غير لعبة الإسكواش "

هذا ما قاله عاصم لسليم شامِتًا ورُغْمَ ذلك فقد كان عاصم غير مطمئن فهو لا يستطيع أن يأمن جانب سليم ولا يستطيع أن يتأكد أنها الهزيمة القاضية بل كان يعرف أن فى جُعْبَةِ سليم كثير من الأذى والمكائد سَيُهَاجِمَهُ بها ورُغْمَ عشقه للسُّلْطَةِ والنفوذ إلا أن تلك المحنة كشفت له، شأن المِحَنَ دائمًا، أن فى حياتنا ثَمَّة ما هو أهم مما اعتقدنا بأهميته وقتًا طويلًا... إن النفوذ والسلطة لاشك لهما سحرهما وحلاوتهما التى لا تُقَاوَم ولكن سِحْرَ الحُبِّ أقوى وحلاوته أشد.. إنه يُرِيْدُ خديجة.. يُرِيْدُ أن يتفرغ لعشقه لها ولن يتسنى له ذلك طالما بَقِىَ فى منصبه الذى يحاربه سليم بسببه.. وقرر أن يتخذ خُطْوَة فائقة الشجاعة، سوف يحسبها سليم انتصارًا له، وذلك بتقديم استقالته من الوزارة !

ولم يُبْلِغ والده بما اعتزمه، كى لا يضعف أمام رفض والده المؤكد لتلك الخُطْوَة وتعنيفه له، ولذلك التقى الرجل الكبير مباشرة الذى أبدى اندهاشه من قرارٍ كهذا، فالوزراء هنا لا يخرجون من منصبهم الوزارى إلا بالوفاة أو بإقالة من رئاسة الوزراء أما أن يستقيل ولا يُقَال فكانت سابقة تعجب منها الرجل الكبير، وحاول أن يفهم منه السبب الذى يريد أن يستقيل من أجله خصوصًا وقد رَشَّحَهُ الحزب لخوض معركة البرلمان،

وقد كان فوزه مضمونًا ليحمل الحصانتيْن، ولم يكن الرجل الكبير يعرف أن معرفة عاصم لترشيح الحزب له للبرلمان كان أحد الأسباب القوية التى دفعته للتعجيل بالإستقالة فهو لا يريد أن تتسلط عليه الأضواء أكثر ويَكْثُرُ الذين يحومون حول ماضيه لينبشوا فيه.. كل ما يبحث عنه الآن هو الأمان من الفضائح والعيش بسلام بعيدًا عن مُعْتَرَكِ السياسة ومذابح السلطة، واذا ظل مُحْتَفِظًا بصورته النظيفة تلك فيمكنه الرجوع إلى الساحة فى أىِّ وقتٍ مادام باقيًا كواحد من أهل الثقة ولأن الوجوه القديمة هى المفضلة فى الحكم هنا دائمًا !

وهكذا خرج عاصم من غواية السلطة إلى غواية الحب !

فمنذ خلق الله آدم، حين غلبته شهوته للمعرفة وللخلود وللسُلْطة فأكل من الشجرة ليعرف لماذا حرمها الله عليه وطمعًا فى الخلود وفى الملك، نقع جميعًا أسرى للغواية (المعرفة – السلطة - المال – الجمال – الشهرة- الحب...... الخ) نُحَارِبُ من أجلها ثم نُحَارِبُ ضِدَّهَا ! وتَخْلِقُ الغِوَايَةُ لنا مساراتٍ جديدة دائمًا، تُبَدِّلُ مصائرنا فى الحياة !

***

" الجحيم هو الآخرون " حكمة بليغة لصموئيل بيكيت.. لماذا دائمًا يتحمل البسطاء خطايا وأخطاء الكبار؟.. لماذا تعطى الدنيا للغنى كل شىء وتأخذ من الفقير كل شىء؟ حتى فى الحُبّ فقد دفع رمضان ثمنًا باهظًا لحبه لامرأة ليست من طبقته.. ربما لِيُثْبِتَ لهم أنه جدير بها، لقد قَدَّمَ حياته ومستقبله – اللَّذَيْنِ لا يَمْلِكُ غيرهما – قُرْبَانًا لترضى عنه عشيرتها، وما يظنهم يرضون أبدًا..

وحتى بعد أن افتتح مكتبه وتوجه لأسرة عالية طالبًا زواجها، رفضه أهلها بل لقد هدده أحد شقيقها بالقتل إذا اقترب منها ! ولكن عالية التى ظلت طيلة حياتها تمشى على خَطٍّ واحد من المثاليات وتقاليد العائلة.. الابنة

ouelrkan.com

العاقلة المُطِيْعَة.. تَمَرَّدَت هذه المرة، " على الإنسان أن يختار فى حياته ولو مرة على الأقل الشىء الذى يُحِبَّهُ حتى لو كان اختيارًا خاطئًا ليشعر أنه يعيش حقًا وإلا لا معنى لوجوده فى الدنيا ! " هكذا قالت وهكذا فعلت فلم تَتَخَلَّ عن رمضان فتزوجته حيث كان عاصم ومازن ابن خالته هما شاهدا عقد القَران الذى لم يَحْضُرْهُ أحد من أسرتها عدا خديجة التى كان مَغْضُوبًا عليها مثلها، ولم يحضره أيضًا أى فرد من أسرة رمضان لأنهم هم أيضًا مُعْتَرِضُونَ على هذه الزيجة ! ولكن كلًا منهما – عالية ورمضان – اتخذ قلب حبيبه سكنًا وأهلًا وموطنًا...

ولم يختلف الحال كثيرًا مع خديجة فعاصم عندما أخبر والده أنه تزوجها ويريد إشهار هذا الزواج نظر له والده على أنه معتوه فمهما بلغ إعجابه بها فليُعَاشِرها دون زواج أو بورقة عرفية على أقصى تقدير إذا أبدَت تَمَنُّعِهَا، لكن أن تكون زوجة بعَقْدٍ رسمىّ وأمام الناس فهذا سَيُنْزِلُ من صورة عائلته كثيرًا أمام العائلات العريقة المماثلة كما سيستثير غضب عائلة مُطَلَّقَتِهِ بما لها من وزن ونفوذ فلكأنه فَضَّلَ تلك الفتاة ذات الأصل الوضيع- مقارنة بعائلتهم- على ابنتهم ذات الحسب والنسب الرفيع، كما بدا لوالده أيضًا أن تلك اللَّعُوبُ، كما يراها، هى السبب الأساسى فى استقالة ابنه من الوزارة أى أنها ستتسبب فى القضاء على مستقبل عاصم السياسى، فكيف يمكن بعد كل ذلك أن يُرَحِّبَ بها زوجًا لابنه البكر وخليفته فى قيادة العائلة وإدارة أعمالها؟!!

أما خديجة نفسها فقد غضب أهلها منها لأنها تزوجت دون علمهم وإن لم يصل الأمر إلى حد الطرد والمقاطعة- مثلما حدث مع عالية- ففى النهاية عاصم وزير ومن عائلة مرموقة وشرف لأية عائلة مُصَاَهَرَتُهُم، والغَنِىُّ مَغْفُورٌ له التجاوز أما الفقير فَمُتَجَاوِز ومُخْطِئ حتى ولو بحسب الأصول المُتَّبَعَة والشرع !

***

obeikan.com

وهذه بلادنا تَقِفُ على أكتاف الفقراء وَيَطَأُ فوقها الأغنياء بأحذيتهم.. يدافع البسطاء عن شرف الكبار ومجدهم، ويظل هؤلاء خدمًا وأولئك سادة وبينهما أمثال خديجة وعالية القمة لا تُرَحِّبُ بِهِم مهما سَعَوا إليها وبذلوا من جَهْد، والقاع أيضًا يَلْفِظَهُم وهو يَشْعُرُ أَنَّهُم لا ينتمون له.

ولازلنا ننسج على نفس المِنْوَال بِذَاتِ الخيوط المتهالكة من القِدَمْ ثم نسأل مُنْدَهِشِيْن لماذا يَهْتَرِئُ النسيج؟

إنها ندوب عميقة مهما حاولنا تجميلها و إخفائها بعبارات رنانة و تشريعات و قوانين من قبيل " العدالة الإجتماعية " و " الكل سواسية أمام القانون و أمام الله " و " الديموقراطية " و غيرها، تظل تلك الندوب موجودة تحت الجلد لنعيش بها مشوهين من الداخل و غير قادرين على أن نتغلب عليها و نتخطى تأثيرها على حياتنا !

***

- قل لى يا صاحبى أين توجد النهايات السعيدة؟

- فقط فى أفلام الأبيض والأسود !

تمت بحمد الله

بقلم: منال جلال

obeikan.com

obeikan.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

ن للنشر والتوزيع

Noon_publishing@yahoo.com
ت -02 35860372- 011-27772007

obeikan.com